حديث عن المرأة المصرية المعاصرة

(دراسة ثقافية اجتماعية)

تأليف

الدكتور سيد عويس

المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

١٩٧٧

* قرد موالف ولا غزال شارد ،
* الحب عاوز كلفة علشان تدوم الالفة ،
* من آمنك لم تخونه ولو كنت خاين ،
* مالت لك مالت لغــيرك ،
* الجواز نص الدين ،
* قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى عند أحبابى ،
* العشرة ما تهونشى الا على ابن الحرام ،
* اللى يختشى من بنت عمه ما يخلفشى منها غلام ،
* اللى بلا أم حاله يغم ،
* الأم تعشش والأب يطفش ،
* أعز الولد ولد الولد ،
* اللى ما يربيه أبوه وأمه تربية الأيام والليالى ،
والى ما تربيه الأيام والليالى يربوه أولاد الزوانى ٠

(من الامثلة الشعبية المصرية)

إهـــداء

الى الــلاتى أرى المستقبل المشرق العظيم من عيونهن ،
مستقبل مصرنا الخالدة ، يصنعنه مع زميلاتهن وزملائهن
بالكفاح الايجابى ، الى حفيداتى العزيزات :
منال ومها وهبة وايناس ..

(سيد عويس)

المقدمة

فى ضوء خبراتى المتواضعة ، والكثير منها خبرات ثقافية اجتماعيــة منتظمة اكتسبتها فى خلال الفترة من عام ١٩٣٧ حتى الآن ، سأتحدث فى هذا الكتاب عن : « المرأة المصرية المعاصرة » : عن بعض المفاهيم المتعلقة بها ، وعن محاولة مقارنتها فى الوقت الحاضر بالمرأة المصرية فى الماضى فى نطاق بعض الحقائق الثقافية الاجتماعية القديمة المستمرة ، وعن النظرة نحوها ، وعن بعض أنماط سلوكها ، وأخيرا وليس آخرا عن محاولة مقارنــة المرأة المصرية المعاصرة بالمرأة المصرية فى المستقبل ٠٠

واننى اذ أتقدم الى القارىء بكل هذا فاننى لا أحاول أن أصور الواقع أو أن أصفه فحسب ، بل أحاول أن أنطق هذا الواقع ، أنطقه بالحقائق وأجعله ينبىء بالمستقبل ٠ كل ذلك بقصد التغيير الى الافضل ٠ وأرجو أن يلاحـظ القارىء أن مفهوم « التغيير » غير مفهوم « التغير » ٠ فالتغيير هو فى الواقع تغير مقصود ٠ أى هو تغير يكون بالضرورة فى ضوء التخطيط ٠ وأرجو أن يلاحظ القارىء ، أيضا ، أن التغيير الى الأفضل يهدف الى غاية انسانية ، وأن هذا التغيير الى الافضل ، فى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، قد أصبح أمرا ضروريا وهدفا ملحا ٠ واذا كان التغير المقصود يكون بالضرورة فى ضوء التخطيط ، فان الاخير أى التخطيط لا يكون الا فى ضوء العلم بمعناه العصرى ٠

وفى ضوء ما سبق أرجو أن يتوقع القارىء أن تتضمن الدراسات التى يضمها هذا الكتاب ، فى حدود قدراتى وخبراتى ، كـــل ما هو موضوعى وجاد ٠ على أن يأخذ فى الاعتبار أن هذه القدرات هى قدرات شخص ذى تخصص محدود ٠ وان هذه الخبرات لا تقول كل شىء ، لأنها لا تستطيع أن تقول الا بعض الأشياء٠ فهى خبرات تتضمن فى بعض الأحيان بعض الانطباعات وبعض الآراء ، وان كان همها الأول أن تقتصر على الحقائق ٠ **وهى فى هذا الضوء لا تهدف الى التعرف على « الشخصية القومية » للمرأة المصرية المعاصرة٠** لأن محاولة ذلك فى ضوء غموض هذا المفهوم ومثاليته أمر ليس هينا بل هو أمر مستحيل ٠ وأن الكاتب ببساطة لا يمكن أن يدعى القدرة على تحقيــق ذلك ٠ ان هدف الأهداف ، كما ذكر الكاتب آنفا ، هو محاولة التغيير الى الأفضل ٠ أى دراسة ما هو كائن دراسة علمية لكى نغيره تغيرا مقصودا الى

ما يجب أن يكون أو حتى الى ما يمكن أن يكون فى ضوء قيمنا ومبادئنـــا ومثلنا العليا الايجابية ٠٠

ولعل الكتاب الحالى أن يكون نموذجا يحتذيه الآخرون حتى يتيسر تحقيق هذا الهدف الكبير ٠ ورجائى المخلص أن لا يكون مجرد صرخة فى واد ، أو أن يفسر تفسيرا خاطئا ٠ فشهداؤنا الأبرار ينتظرون بحق أن نكمل أعمالهم الرائعة التى بذلوا من أجلها أنفسهم فى سبيل مصرنا الخالدة ٠ ورفاقهم الذين عادوا يحرسون هذا الأمل الكبير ، فهم ينظرون الى ماذا نفعل ، أو سنفعل من أجل ذلك ٠ ومن حقهم أن لا تطول نظرتهم أو يطول انتظارهم ٠ وانى أعتقد أنه لن يحدث مثل ما كان يحدث فى الماضى القريب ، أو ما كان يحدث فى الماضى البعيد ، عندما كان شعب مصرنا الخالدة يكتفى فى الكثير من الأحيان بالمشاهدة والانتظار ٠ فالظروف أصبحت غير الظروف ، والحال أصبح غير الحال ٠ والشعب المصرى العظيم يسير قدما ولن ينكص على عقبيه أبدا ٠٠

ومع ذلك فاننى أرجو حرصا على تفادى التفسير الخاطىء أن نتفق على معانى المفاهيم العلمية التى تضمنتها الدراسات التى يضمها الكتاب الحالى ٠ والملاحظ أن هذه المفاهيم عديدة ، وقد حرصت على أن أشرح هذه المفاهيم فى فصول الكتاب شرحا وافيا ٠ وربما كان هذا الشرح فيه الكفاية ٠ وهو فعلا كذلك ٠ ولكنى أود هنا فى هذه المقدمة وقبل أن يقلب القارىء صفحـات الفصل الأول من هذا الكتاب ثم ينتقل الى غيرها أن أركز على تعريف مفهوم « العلم » بمعناه العصرى ، فقد أصبح مفهوم العلم منذ عهد غير بعيد جزءا من الشعار الذى ترفعه الدولة فى جمهورية مصر العربية الا وهو شعار « العلم والايمان » ٠ والاهتمام بهذا المفهوم ، بمعنى أنه الخبرات الانسانية المنتظمة ، مرجعه الى أننا نوجد فى عصر أصبح فيه العلم وسيلة مباشرة من وسائـــل الانتاج ٠ أى أنه أصبح يتغلغل فى كل أمور الحياة ٠ حياة الانسان فى عصرنا الحالى ٠ ومن حق هذا العلم فى هذا الضوء أن يتفرد بالحكم فى شئون الفكر ٠ ومجتمعنا المصرى المعاصر كمجتمع نامى يحتاج الى العلم العصرى حاجته الى الحياة ٠ ويجب أن لا يقف فى سبيل تحقيق ذلك محاولة تزييف معنى مفهوم العلم ، أو المقارنة بين العلوم المادية والعلوم الانسانية ، كالادعاء بأن دائرة بحث العلماء انما هى المادة ، وانما هى المحس ، وأن المنهج العلمى انما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة ، واذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم ، أو محاولة تزييف نتائج العلم فى بعض المجتمعات ٠٠

فالمعروف أنه ليس كل متعلم عالما ، وان كان العالم يكون بالضرورة

متعلما ٠٠ فالعلم خبرات انسانية ، ولكنها خبرات انسانية منتظمة يحصل عليها العالم عن طريق منهج معين هو المنهج العلمى ٠ ومعلومات المتعلم هى خبرات انسانيه أيضا ، قد تكون خبرات منتظمة او خبرات غير منتظمة يحصل عليها المتعلم بالتلقين والحفظ احيانا أو بالممارسه أحيانا أخرى ٠ وشتان ما بين عالم الذرة أو عالم الاجتماع ، وبين عالم الدين ، عالم الازهر مثلا ٠٠

والمنهج العلمى ، على عكس الحفظ والتلقين ، يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعيه ، وهو اذ يفعل ذلك يكون دائما مهتديا بالشعار القائل « لا شىء يأتى من لا شىء » ٠ وهو يحاول دائما أن يكون منهجا لفهم الحياة بقصد تغييرها ٠ ويسعى دائما الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ ٠ اى التعرف على العوامل التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة أنه كمنهج لا يبحث أبدا ولا يهمه أن يبحث أبدا عن الاجابة عن السؤال لماذا ؟ على وجه الاطلاق ٠ بل هو فى بساطة يدرس الظواهر الماديه والانسانية دراسه واقعية ، أى يقوم بدراسة العلاقات بين الاشياء وقوانين حركتها الداخلية ، فى ضوء الطبيعه والمجتمع ، وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقيه والعمليات العقليه فحسب ٠٠

ويلاحظ أن مفهوم « الخبرات الانسانية المنتظمة » يعنى الخبرات التى تفسرها القوانين التى يكشفها الانسان عندما يستخدم المنهج العلمى فى دراسه الظواهر ، ماديه كانت أو انسانية ٠٠ فالعلم العصرى ليس فقط سجلا للآراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الآراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية(١) ٠٠

ويقصد بالمواجهة الموضوعية الوصول الى حقائق المادة أو حقائق المجتمع أى الى حقائق الوجود ٠ والقدرة على هذا الوصول فى ضوء المنهج العلمى مكفوله ، على الرغم مما قد يقال أحيانا بأن الانسان لا يستطيع أن يصل الى حقائق الانسان ، لأن الانسان مغاير جوهريا للطبيعة ٠ ومن ثم فان المنهج الذى يصلح لاستكشاف ظواهر الطبيعه لا يصلح لاستطلاع احوال الانسان٠ ان الواقع يدحض هذه الآراء ٠ فالملاحظ أن الانسان فى ضوء المنهج العلمى قد استطاع أن يعرف الكثير عن نفسه فى ميادين علوم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها ، وقد استطاع فى مجالات هذه العلوم أن يغير اتجاهات الناس وأن يعالجهم وأن يتحكم فى تصرفاتهم وأن يتسلط على معاشهم ٠ وقد نجح فى كل ذلك نجاحا مرموقا ٠ والعلوم الانسانية تطبق الآن مناهج مشابهة

لتلك التى تتبعها العلوم المادية ، وقد نجحت فى هذا المجال نجاحا مرموقا ٠ وأصبح التعاون بين العلوم المادية والعلوم الانسانية وثيقا فى سبيل تحقيق أهداف التنمية الشاملة للمجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ٠ والنتيجة المتوقعة لكل ذلك أننا نجد أن العلوم الانسانية لا يمكن أن تقل شأوا عن العلوم المادية ٠ وأننى أرى أن تحقيق كل ذلك قد يتأكد اذا استمر اتجاه أهداف البحوث الانسانية الى الأهداف التطبيقية عن طريق الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة الاجتماعية ككل فى ضوء وضوح رؤية نظرى يؤمن بالتغيير الى الافضل ، وذلك بقصد تحقيق التنمية الشاملة لهذا المجتمع ، وبهذا يتحقق أثراء خبراتنا الانسانية المنتظمة فى هذا المجال الحيوى، أى اثراء النظرية بربطها بالتطبيق ربطا جدليا وتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع جميعا ٠٠

واذا لم يكن كل شخص متعلم بالضرورة عالما ، فان المجتمع المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه التاريخية الحالية فى حاجة الى المتعلمين والى العلماء على السواء ، والملاحظ أن نسبة الأميين غير المتعلمين فى هذا المجتمع نسبة فادحة ، فهى تبلغ نحو ٧٠٪ وربما تكون أكثر من ذلك(*) ٠ ومما يثير دهشتى أن هذه النسبة كانت هى نفس النسبة تقريبا عندما كنت يافعا ٠ وقد بلغت الآن سن الكهولة وبقيت نسبة غير المتعلمين المصريين كما كانت منذ أكثر من أربعين عاما ٠ واننى أتساءل ولعل القارىء أن يتساءل أيضا عن عوامل بقاء هذه النسبة مرتفعه واستمرار هذا البقاء على الرغم من قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ حتى الان ٠ ان الذين أرادوا ذلك لم يريدوا الخير أبدا لمصرنا الخالدة ، ومع ذلك فد نجد بعضهم يرى أن يحرم الجماهير الأميين غير المتعلمين من حقهم الشرعى لكى يحكموا أنفسهم بأنفسهم لانهم أميون غير متعلمين ٠ وكان ذنب ذلك يقع على كاهل الجماهير وحدهم ٠ ولا يرى هذا البعض أن من حق الجماهير أن يقفوا ضد ذلك ٠ فهم على الرغم من كونهم أميين غير متعلمين ، مواطنون يؤدون للوطنية على مر الزمان واجباتها ٠ **فالوطنية كما يعلم القارىء لا يمكن أن تحتكر** ، لأن الوطن وطن الجميع ٠ ومن حق الاغلبية ان تأخذ من الاقلية حقوقها عنوة ما دامت تؤدى على الدوام واجباتها ٠

(*) نشر فى الجرائد المصرية اليومية فى يوم ١٩٧٧/٤/٤ أن نسبة الامية فى مصر قد انخفضت فى تعداد عام ١٩٧٦ الى ٥٦ر٥٪ بينما كانت ٧٠ر٥٪ فى تعداد عام ١٩٦٠ ، وذلك بالنسبة للأفراد من سن عشر سنوات فأكثر ! وبالنسبة للاناث أصبحت نسبة الامية فى تعداد عام ١٩٧٦ فى محيطهن ٧١٪ !

ويكفيها شرفا الشهداء من بناتها وأبنائها الذين نقدمهم من أجل مصر فى الحرب وفى السلم على السواء • وفى ضوء تطبيق المنهج العلمى يكون من المتيسر دراسة عوامل بقاء هذه النسبة المرتفعة على الرغم من مرور حوالى الخمسه والعشرين عاما على ثورة عام ١٩٥٢ • وفى ضوء هذا المنهج أيضا يكون من المتيسر ايجاد الأساليب والوسائل التى تستطيع أن تواجه هذه المشكلة الاجتماعيه الخطيرة مواجهة فعالة ••

ويلاحظ أننا نجد فى بعض الأحيان أن بعض الناس يخشون العلم العصرى ، ويظنون بالعلماء الظنون • فالذين عانوا من ويلات الحروب ، مثلا ، يودون لو أتيحت لهم الفرصة فيفترسوا العلماء الذين اخترعوا آلات الدمار • وحتى فى وقت السلم ، نجد أن صرعى حوادث السيارات أكثر من القتلى بسبب جرائم القتل العمد مع سبق الاصرار والترصد • ولا يمكن أن نتوقع واحدة من الامهات التى قتل ولدها تحت عجلات احدى السيارات التى يقودها أحد هواة جنون السرعة ، أن تكون فى عداد المعجبات بالسيارة أو بمن اخترعها • وحتى بعض رجال الدين ، نجدهم لسبب أو لاخر يعتبرون العلم خطرا شديدا على الانسانية(٢) ••

ولكن يلاحظ أن التطبيق العلمى لا ينتج شرا دائما • ففى ضوء العلم لا يمكن أن يكون شيئا مطلقا • ومن ثم فمن العدل أن نسجل للعلم العصرى آثاره ومآثره • ولن نستطيع أن نفعل ذلك ، لأن السجل حافل ، ونجده فى محيط العلوم الماديه وفى محيط العلوم الانسانية سواء وهى متعاونة بعضها مع بعض فى سبيل تحقيق أهداف التنمية الشاملة فى المجتمعات الانسانية ، أو وهى غير متعاونة • ويكفى ما يلاحظه أى شخص عادى من تأثير البخار وتأثير الكهرباء فضلا عن تأثير الذرة ، على الطبيعة وعلى شئون الناس فى كل بقعة من البقاع على وجه الارض أو فى الفضاء فى وقتنا الحاضر ، ومما يرجى من تأثير كل ذلك فى المستقبل ، مستقبل الطبيعة ومستقبل الناس — واذا كان العلم العصرى يدمر العدو ، فانه يحمى أيضا من يقاتل هذا العدو • وليس بالضرورة أن يكون هذا العدو الانسان فحسب • فقد يكون ميكروبا مؤذيا أو أثرا من آثار الطبيعة العاتية • واذا كان العلم العصرى يستخدم فى وقت الحرب كسلاح رهيب فتاك ، فان بعض آثاره التى يصل اليها العلماء فى أثناء الحرب تنقذ الارواح فى وقت السلام • واذا كان العلم العصرى فى بعض المجتمعات الرأسمالية المتقدمة قد أنتج الحضارة الاستهلاكية المعاصرة ، التى اختزلت الانسان الى بضاعة تنتج البضاعة وتستهلك البضاعة ، وجعلت منه مستهلكا سلبيا يفعل الحب ولا ينفعل ، والذى أصبح فى كنفها كلما ازداد

ثراؤه الكمى بامتلاك الأشياء ازداد فقره النوعى من امتلاك الضجر له وابتعاد حلم السعادة الحقيقية المعاشة التى تجعل منه انسانا كاملا لا انسانا مشطورا على ذاته ومعزولا عن الآخرين الذين لم تعـــد علاقاته بهم الا عـــلاقات بين أشياء – **فان ذلك لا يمكن أن يكون مرجعه الى العلم العصرى الذى عرف سر الطبيعة والمجتمع وأمكنه بطاعتهما أن يتسلط عليهمـــا ويتحكم فيهما(٣) ٠** ان ذلك مرجعه الى ارتباط العلم بأيديولوجية معينة أو بفلسفة معينة ٠ ولا يعيب العلم ذلك ٠ فالعلم يجب أن يكون بالضرورة للمجتمع ٠ والمجتمعات متباينة ، وأيدلوجياتها أو فلسفاتها السائدة متباينة كذلك ٠ والعلم اذ يتعرف موضوعيا على ما هو كائن فى الطبيعة وفى المجتمعات لكى يفهمها ، يحاول أن يغيرها الى ما يمكن أن يكون أحيانا أو يغيرها الى ما يجب أن يكون أحيانـــا أخرى ٠ ويكون التغيير فى المجتمع الاشتراكى بالضرورة فى سبيل مصلحـة الملايين ، وفى المجتمع الرأسمالى يكون التغيير بالضرورة فى سبيل مصلحـة حفنة من أعضاء المجتمع أو حكومة تحكم باسم هذه الحفنة من الناس الذين لا هم لهم الا أن يملئوا جيوبهم بالأرباح الوفيرة(٤) ٠٠

ولعلنا نحن المصريين فى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر أن نكون أولى الناس الذين يجب أن يستخدموا العلم العصرى ٠ فنحن أولا نعيش فى بلد نامى يحاول أن ينهض لكى يبنى نفسه ويجددها ، ولكى يعمر ما خربته القوة الغاشمة والجشع والاستغلال ٠٠ ونحن ثانيا قد صدقنا العلم العصرى ونحن نبنى مدننا وجامعاتنا ومعاهدنا ٠٠ ومدارسنا ومصانعنا ٠٠ وعندما بنينـــا السد العالى ٠٠ وعندما بنينا جيشنا لكى نطهر به الأرض من أدران احتلالها – فصدق هذا العلم معنا ٠ ونحن ثالثا نلاحظ فى ضوء البحوث والدراسات التى أجريت فى واقعنا الحى أن هناك أكثر من مصر أخرى غير تلك التى بنت هذا الصرح الشامخ من الانجازات الانسانية العظيمة ٠٠ فهناك مصر ثانيـة لا تزال تعيش فى رواسب الماضى البالية ٠ ترى أهلها يعيشون فى الخرافات وتعيش فيهم الخرافات ٠ أى أنهم يسيرون فى حياتهم على قواعد أو مبادىء سلوكية لا يحيدون عنها ، وهى قواعد أو مبادىء سلوكية قد أكل عليها الدهر وشرب ٠٠ ولكنهم يفعلون ذلك ويستمرون ، وتبدو عليهم السعادة من أجل ذلك ٠ تراهم يؤكدون مثلا فى أثناء كتب الكتاب أنه « اذا انحطت حتة سكر تحت لسان العروسة وبعدها انحطت فى كوباية وشربها العريس يتفقوا ويتوفقوا مع بعض !! » وتراهم يذكرون عن يقين أن الست العاقر « اذا طلعت السلم بالمندار (بالعكس) تقدر تحبل بعدها !! » ويتبرعون دون أن يسألهم أحد بالوصفات ، فاذا تأخر أحد الاطفال عن التكلم قالوا على سبيل المثال « دق المية فى الهون يخلى العيل اللى ما بيتكلمش يتكلم »(٥) ٠٠

وترى هؤلاء الناس اذا ذكر أمامهم العلم العصرى كانت الصورة الذهنية له غير الصورة التى ذكرتها آنفا • كانت صورة تعكس محتوى« علم السميا »• وهو علم له فروع سبعة أو وسائل سبع هى : علم الاعداد وعلم الاوفاق وعلم الحروف وعلم الطبائع الاربعه وعلم الكواكب والافلاك والبروج والمنازل وعلم الاختيارات النجومية وسعدها ونحسها وشرفها واتصالاتها ثم علم الاسماء والرقى والدعوات •• والملاحظ أن علم السميا فى ضوء منهجه لا يمكن أن يكون علما عصريا •• ومع ذلك نجد الداعين اليه يشيعون بكل الآساليب أن من يمارس فروع هذا العلم أو وسائله يستطيع بها أن يتصرف على جميع ما فى الكائنات من خير وشر وجلب وطرد ، فأهداف هذا العلم فى أعمال الخير كالترياق ، وفى أعمال الشر كالسم الناقع • ومفهوم الخير هنا مفهوم غامض • أى أن معانيه عديدة •• ويتوقف كل معنى على اختيار الممارس ، وما ينطبق على مفهوم الخير يسرى على مفهوم الشر كذلك •• وهناك علوم أخرى غير هذا العلم بفروعه ووسائله ، فهناك علم « الكوتشينة » ، وهناك علم « الفنجان »، وهناك علم « الكف » ، وهناك علم « الطوالع » طوالع الرجال والنساء وما يسمى بالطالع الحدسى ، وغيرها •• وكل هذه العلوم الزائفة تعيش وتزدهر فى مصرنا الثانية فى ظــــل مناخ اجتماعى ثقـــافى لا يرى الاعتراف بالعلم العصرى(٤) ••

وهناك مصر ثالثة لا تعترف بالعلوم الزائفة السابقة علنا ، وان اعترفت بها ممارسه • وهى لا تعترف أبدا بالعلم العصرى لا علنا ولا ضمنا • والعلم عندها ولا علم غيره هو « العلم اللدنى » • وهم يقولون كل شىء عن هذا العلم ولا يثبتون شيئا عن وجوده ،فلا أدلة عندهم تدل على وجوده أو الفائــــدة المرجوة منه سواء كان ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة • وللوصول الى هــذا العلم مستويات ومنازل ، وأساليب الوصـــــول اليه عديدة • ومن أساليب الوصول الهامة أسلوب « حلقة الذكر » ، ومعلوم أن تعاليم الاسلام الجليلة تدعو ضمن ما تدعو الى ذكر الله سبحانه وتعالى ، فان من يذكر الله جل وعلا يذكره • فهو عند ظن عبده به ، وهو معه حين يذكره ، على أن يكون ذكر الذاكرين ذكر الله تعالى الوارد فضله فى الكتاب العزيز والسنة المقدسة •• وهو المتلقى من رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة •• ومع ذلك نلاحظ أننا نجد بعض الجماعات اذ يذكرون الله نجدهم يقولون « لا ايلها ايلا الله » باشباع همزة اله فتولدت عنها ياء ومد هائه ، فصارت على صيغة المثنى ، واشباع همزة الا فتولدت عنها ياء ، واثبات ألفها مع شدة صوت غليظ ، ومنهم من يقول « لا يلها الا الله » بتفخيم أداة النفى مع اخراجها من أقصى الحلق وابدال همزة اله ياء واشباع هائه فتولدت عنها

ألف وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعي مع قوة صوت منكر وخروشة من الجوف ويسمونه « تدويكا » ، ويزجرون اتباعهم اذا ذكروا بالاسم خالصا كما جاء به القرآن ونطق به النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة المسلمين ، ويوبخونهم على ذلك ، ويقولون لهم أخرجوا « الدوكة » من جوفكم بقوة وغلظ صوت لأجل أن تستنير قلوبكم !! وحلقة الذكر قد أصبحت فى الوقت الحاضر ظاهرة اجتماعية قد تعددت وظائفها • فهى تعقد فى الموالد وفى الافراح وفى المواسم ، نجد ذلك فيما يسمى « بالحضرة » ، وفى حفلات الزواج ، وفى حفلات « الموالد » ، وفى حفلات « الطهارة » وفى شهر « رمضان » • وقد تكون حلقة الذكر الاسلوب الوحيد للاحتفال ، وقد تكون أحد الأساليب للوفاء بالنذور(٧) ••

وذكر الله جل وعلا لا يمارس وحده فى حلقة الذكر • فالملاحظ أن الصلاة على النبى المختار تمارس كذلك •• ويترنم أعضاء الحلقة بأوصاف النبى صلى الله عليه وسلم ويرددون أوصافه العديدة • فهو مربوع القامة أبيض اللون جميل الصورة وفصيح الكلام ، كاملا فى ذاته مكملا فى أوصافه الخلقية ، ما خلق الله قبله ولا بعده مثله فى الأنام ، عظيم الرأس أسود الشعر تتيه فى محاسنه العقول الزكية ، وتتحير فى كمال جماله الافهام ، قمرى الجبين حواجبه نونية ، كحيل الطرفين أهدب العينين ظريف القوام ، أبيض الخدين مشربا بالحمرة وجناته ضوئية ، ووجهه كأنه البدر ليلة التمام ، يجرى الحسن فى خديه كما تجرى الشمس فى مسالكها الفلكية ، كوكبى الأنف يزول من ضيائه الظلام ، ياقوتى الشفتين مفلج الأسنان اذا تكلم خرج النور من بين ثناياه اللؤلؤية ، واسع الفم سلسبيل الريق جميل الابتسام ، كث اللحية شديد الهيبة معتدل العنق فى صفاء الفضة النقية ، وله عينان فى ظهره يرى بهما من خلفه كما يرى من فى الأمام :

صلو يا أهل الكمال — على النبى باهى الجمال
من حوى كل المعال — قدره ما زال عال
قدره عالى مفخم — دائما سامى مكرم
جاهه جاه معظم — وجهه فاق الهلال
وجهه بدر مدور — جل من انشا وصور
رأسه مسك وعنبر — شعره داجى الليال(٨)

والملاحظ أن حلقة الذكر ، تعتبر احدى الجماعات المرجعية الهامة لأعضائها • وهى فى هذا الضوء ذات فعالية كبيرة فى تماسكهم وترابطهم • وقد تعتبر حلقة الذكر من النوافذ الاجتماعية التى يستطيع عن طريقها أن

ينفس بعض أعضاء مجتمع مصر الثالثة عن الشعور بالعداوة الجماعي المتولد من التوترات والاحباطات الموجودة في هذا المجتمع . وقد تشكل جماعات « حلقات الذكر » فضلا عن ذلك « جماعات ضاغطة » لها قوتها ونفوذها في محيط مئات الالوف ان لم يكن الملايين من البشر . وهي بهذه الصفة تستغل في سبيل مصلحة الآخرين(٩) ..

ويرى البعض أن نتائج العلم العصرى غير كافية ، فهى لا تتصل بالحقيقة المطلقة بسبب . ونحن لسنا فى حاجة الى الحقيقة المطلقة . ان مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه الاجتماعية والثقافيه والاقتصادية والسياسية لا يحتاجها . انه يحتاج الحقيقة التى تسير قطع دابر عدونا الماكر الغدار ، والتى تيسر القضاء على الامية وعلى البلهارسيا وعلى الجرائم وعلى تعاطى المخدرات وغيرها من المشاكل الاجتماعية . ان الحقيقه المطلقة لا تواجه هذه المشاكل الاجتماعيه الخطيرة ولا تواجه غيرها مثل مشاكل الاسكان والمرور والنقل والهجرة الداخليه والصراع الثقافى بين الأجيال ..

وقد يرى اخرون أن العلم العصرى هو أفكار مستوردة ، ونحن لكى نحيا منتصرين سعداء ، يجب أن نلتصق بطين مصر الثقافي التصاق الطفل بثدى أمه .. **والملاحظ أن العلم العصرى قد بشر ببداياته علماء مسلمون أفاضل** ابتداء من جابر بن حيان ، أى منذ القرن الثامن الميلادى . وان استيراد الأفكار من خارج نطاق الثقافة الاسلامية موضوع وارد . ويكفي أن نذكر في هذا الصدد العصر الاسلامي الذهبى فى خلال المدة من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر الميلادى والترجمات لامهات كتب الاغريق الى اللغة العربية . كما نذكر الجهود التى بذلها علماء وفلاسفة أفاضل من أجل ازدهار العلم والفلسفة من أمثال الكندى (مات فى عام ٨٧٣ م) ، والفارابى (مات فى عام ٩٥١ م) ، والرازى (مات فى عام ٩٢٥ م) ، وابن سينا (مات فى عام ١٠٣٧ م) ، والبيرونى (مات فى عام ١٠٤٨ م) ، وابن رشد (مات فى عام ١١٩٨ م)(١٠) ..

وبالنسبة لمجتمعنا المصرى المعاصر ، فاننى اذ أسلم بأن محاولة التغيير الشاملة فيه يجب أن تميز بين النظم القديمة الأصيلة فى هذا المجتمع وبين النظم القديمة الدخيلة وبين النظم المستحدثة .. فاننى أرى أنه مهما بدا الصراع بين القديم والمستحدث ، **فان الوعى الموضوعى بهذا الصراع أمر ضرورى** . فالملاحظ أن الأصيل القديم يمكن أن يتغير أو يتطور أو يعدل ، وأن الدخيل القديم أو المستحدث فى ضوء المصالح الحقيقية لأعضاء المجتمع يمكن أن يكون كذلك ، أى يتغير أو يتطور أو يعدل . فالمصريون قد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال تاريخهم القديم المستمر ، واستبدلوا

لدينهم دينا آخر مرة أو مرتين ، وجمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم وألوان ثقافاتهم ، واتصلوا بالعالم الخارجى واقتبسوا (استوردوا !!) عن أصله ونقافاته فى الشرق والغرب على السواء . والمجتمع المصرى المعاصر فى الوقت الحاضر ، وبخاصة ، بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، يواجه ظاهرة التغيير فى تراثه الاجتماعى بعناصره الثقافيه الماديه وغير الماديه : ويسير فى سبيل تحقيق أهداف الاستراتيجيه على أرضه قدما على هـــدى ما قام به فى المـــاضى باستمرار من الأخذ والعطاء ، والجمع بين القديم والجديد . فالجديد فى مجتمعنا لم يكن دائما لينسخ القديم ، وانما كان التوفيق بين القديم والجـــديد ، وان تسبب فى جعل بعض نظمنا الاجتماعيه فى جملتها معقدة غايه التعقيد ، هـــى القاعده فى هذا المجتمع العريق(١١) .

وهناك مصر رابعة هى مصر « الفهلوة » ، أعضاؤها يدعون العلم عـــلى اختلاف أنواعه ، فهم العلماء العصريون تارة ، وهم العلمـــاء المزيفون حفظة التراث المصرى الأصيل تارة أخرى ، وهم العلماء اللدنيون الواصلون العارفون تارة ثالثة .. ولعل وجود هؤلاء أن يكون مرجعه الى ضعف العلماء العصريين فى الوقت الحاضر ، ومن ثم الى غلبه العلمـــاء الآخرين . والتعرف على أهـــل « الفهلوة » ليس صعبا . فأنت تجدهم الأشخاص الذين يبحثون باستمرار عن أقصر الطرق وأسرعها لتحقيق الأهداف الدنيوية والأخروية على السواء . وأنت تعرفهم عندما يتجنبون العناء والجد المطلوبين عادة فى اجتياز العقبات للوصول الى تحقيق هذه الأهداف والغايات .. تراهم يتجنبون استخدام الوســـائل الطبيعيه لتحقيق هذه الأهداف والغايات ، ويكون همهم ليس انجاز العمل على أكمل وجه وانما انجازه وتحقيق أهدافه وغاياته حتى لايقال عنهم أنهم عاجزون عن ذلك . ومن سمات هؤلاء أيضا ما نلاحظه عندما يعجزون عن تقبل الحقائق الموضوعية ، أى عندما يعجزون عن تقبل الواقع وفقا لما تفرضه الظروف الحرجة من تصرف سريع ، مما يضطرهم الى اخفاء العيوب والفشل والنقائض بغيـــة انقاذ المظاهر والحفاظ على ماء الوجه(١٢) . انهم الأدعياء الذين يعرفون كل شىء ويرون أن غيرهم لا يعرف شيئا . انهم الذين رفعوا فى يوم منكود شعار « أهل الثقة » أولا ، ثم « أهل الخبرة » أخيرا وآخرا وكأن البلد بلدهم وكأن الوطنية قاصرة عليهم . والفهلويون فى كلمـــــة ، هم الانتهازيون الملونون المتلونون المنافقون ..

والاهتمام بالعلم المصرى لا يعنى مطلقا أن الحياة فى ظله ستكون جافة ولا يطيقها البشر .. بل على العكس ستكون هذه الحياة فى ظله أكثر يسرا . فالانسان عن طريقه سيكون أكثر حرية . فالحرية الحقيقية بمفهومها العلمى

هنا تعنى القدرة على فهم الموقف الاجتماعي أو المواقف الاجتماعية التى يواجهها الانسان فهما موضوعيا . **ان قدرة الانسان على هذا الفهم هى الحرية فى ذاتها** .. أى أن مجرد فهم الشخص منا للموقف **الذى يواجهــه** يعنى حريتــه فى التصرف ازاءه ، وأن مجرد عــدم فهمــه للموقف الذى يواجهــه يعنى قيده بالاغلال ، أغلال هذا الموقف .. أى أن الحرية تعنى التسلط على الظواهــر الطبيعية والظواهر الانسانية .. والمواقف الاجتماعيــة ان هى الا مظهر من مظاهر الظواهر الطبيعية أو الظواهر الانسانية أو احداها .. والتسلط على الموقف الاجتماعى يعنى فهم هذا الموقف(١٣) ..

ولا يحق للقارىء أن يتهمنى بأننى مــع العلم المصرى على حساب الفــن بأنواعه ، لأن الفن بأنواعه أحد مصادر المعرفه الانسانية غير المنتظمة . وهــو مصدر هام يحتاج اليه الانسان ما عاش .. ولعل الفن الصادق أولى ، فى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، بالزواج وبالغلبة .. **ان الفن الصادق بكل أنواعه نشاط انسانى ينبع من الحياة ويصب فى الحياة وييسر مواجهه الحياة** اننى اذ أرفع شعار أن يكون العلم العصرى حكما أعــلى فى شئون الفكر فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، أؤكد أن الفن الصادق بأنواعه فى ضوء انسانيتنا ضرورة لا يمكن أن يستغنى عنها بحال . واذا كان الاقتناء فى مجال الثروة والسلع المادية وما شابهها لا يمثل عندى أهمية انسانية كبرى ، **فان الاستغناء عن الفن الصادق بأنواعه يعتبر بحق اهدارا للانسانية ..**

واذا كان العلم المصرى كخبرات انسانية منتظمة مصدرا من مصــادر المعرفة الانسانية ، فالدين مصدر آخر لهذه المعرفة .. وعلى الرغم من أن العلم العصرى يعمل فى ظل الشعار القائل «لاشىء يأتى من لاشىء» وفى ظل الشعار «لا شىء مطلق» ، ويسعى دائما فى هذا الضوء الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ ، فانه من الملاحظ أن الوصول الى النتائج فى نطاق العلم العصرى يحتاج الى البرهنة الموضوعية ، أما الوصول الى النتائج الدينية فلا يحتاج الا الى الايمان .. ولقد كان « نيقولا كوبر نيكوس » (١٤٧٣ - ١٥٤٣) أسقفا من أساقفة الكنيسة ، وكان بطبعه شديد التدين ، وكانت الكنيسة فى عصره تدعو الى العقيدة الدينية التى تقتضى حينئذ أن تكون الأرض ، موطن الانسان ، مركز الكون ، وأن تكون كذلك ثابتة لا تتحرك .. ولم يمنع كل هذه الأمور كوبر نيكوس من أن يكون باحثا موضوعيا ، رأى أن الشمس هى مركز النظام الشمسى . وعلى الرغم مما حدث للفيلسوف «برونو» (١٥٤٨ - ١٦٠٠) عندما جهر بقبوله للنظام الكوبرنيكى وعد ذلك منه خروجا وهرطقة على الكنيسة وحوكم فى عام ١٥٩٤ وحكم عليه وألقى فى غياهب السجن ، وفى عام ١٦٠٠

حكم عليه بالموت حرقا — لم يمنع كل هذا « كبلر » (١٥٧١ — ١٦٣٠) و « جاليليو » (١٥٦٤ — ١٦٤٢) وغيرهمامن أن يكونوا باحثين موضوعيين .. فالعلم العصرى يقتضى الموضوعية والا لا يكون علما .. **وهناك فرق بين ان يقول العالم العصرى « أنا اعرف » ، وبين أن يقول « أنا أشعر » أو « أنا أعتقد »**. أى أن قضية الموضوعية فى العلم تتعلق بالعلم نفسه ، بقيمته أو بعدم قيمته . فالعالم العصرى اما أن يكون موضوعيا أو انه لا يكون عالما .. أى أنه اذا خلع رداء الموضوعية ، عن رهبة أو عن غير رغبة ، فقد خسر نفسه قبل أن يخسره العلم .. ان الذين يزيفون الحقائق الموضوعية أو يشوهونها ، عن رهبة أو عن رغبة ، لا يمكن أن يكونوا علماء عصريين أو يكونوا باحثين علميين عصريين ، لأنهم فى بساطة أشخاص مزيفون(١٤) ..

وفى هذا الضوء ، نلاحظ أن العلم العصرى فى استطاعته أن يبحث الظاهرة الدينية ، وأن الدين فى ضوء طبيعته لا يحاول دراسة الظواهر العلمية وما يتصل بها ، فالعلم العصرى فى ضوء منهجه يواجه الظواهر المادية والانسانية ، ومنها الظاهرة الدينية ، على السواء .. فهو يدرسها ، أى الظاهرة الدينية ، فى المجتمعات البدائية وفى المجتمعات الزراعية وفى المجتمعات الصناعية المتقدمة .. وهو يدرس هذه الظاهرة وهى فى عنفوانها ويدرسها وهى تخبو وتحتضر .. ويدرس العلم العصرى آثار ظاهرة الدين فى التغير الاجتماعى وفى الميدان السياسى ، كما يدرس الحركات الدينية فى الماضى السحيق وحتى وقتنا الحاضر(١٥) ..

وفى ضوء **الظروف الاجتماعية والثقافية فى المجتمع المصرى** المعاصر ، نلاحظ أن الدين الاسلامى يلعب دورا خطيرا فى حياة الناس .. ومن ثم فالعلم العصرى يهتم بهذا الدين اهتماما كبيرا .. ان الدين الاسلامى فى مجتمعنا حقيقة لا يمكن التغاضى عنها ، والعلم العصرى من أجل ذلك يلاحظ هذه الحقيقة ويدرسها دراسة موضوعية بقصد فهمها ومحاولة الافادة من نتائج هذه الدراسة .. وتدخل فى هذا النطاق ملاحظة موضوعات اسلامية شتى ودراستها .. ومن هذه الموضوعات ما يكون تاريخيا مثل دراسة سير الشخصيات الاسلامية والغزوات ونشأة الخلافة .. ومن هذه الموضوعات ما يكون اجتماعيا كمكانة المرأة فى الاسلام ومكانة الطفل فى الاسلام مثلا .. ومن هذه الموضوعات ما يتصل بالفقه والشريعة والأخلاق والحكومة والمؤسسات الحربية وغيرها .. وقد يكون الاهتمام بدراسة العلم العصرى فى ظل الاسلام موضوعا من الموضوعات كذلك ..

ولأن الدين الاسلامى حقيقة ويلعب دورا خطيرا فى حياة المسلمين ، فانا نلاحظ أحيانا أن موقف العالم منه وبخاصة العالم الامبريالى موقف عداء لا مراء فيه ٠٠ والعلم العصرى يرى أن هذا العداء لا يمكن أن يكون موجها الى الدين الاسلامى من أجل الدين الاسلامى فحسب ، على الرغم من أن الغزو الاستعمارى للعالم العربى لم يعد للذاكرة ذكريات الحروب الصليبية فحسب ، بل انه هو نفسه كان صليبيا ، وكان يتظاهر بذلك ٠٠ وعلى الرغم من انه من المعروف أنه عندما أحتل الفرنسيون سوريا زار الجنرال الفرنسى الغاصب « غورو » قبر صلاح الدين قائلا : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين . **ذلك لأن هدف الاستعمار، كما يعلم القارىء ، هو أولا وقبل كل شىء ، أن يحقق احتكار السوق الوطنية كما يحقق تبعيتها للسوق الامبريالية ٠٠**

واذا كانت الفلسفة تتأثر بالعلم العصرى ، فهى تؤثر فيـــه كذلك ٠٠ فالفلسفة ، وبخاصة المادية ، كما يعلم القارىء ، تستند الى هـــذا العلم ٠٠ والملاحظ أن العالم العصرى مثله مثل أى انسان ، وهو يطبق المنهج العلمى ، يعيش فى ظل فلسفة اجتماعية معينة ٠ أى يكون له موقف تجاه الانســـان والعلاقات الاجتماعية والمجتمع والحياة بصفة عامة ، ويكون هذا الموقف عادة من وراء سلوك هذا العالم عندما يحدد أهداف بحثه وعندما يختار موضـــوع بحثه وعند تفسير النتائج التى يستخرجها من هذا البحث ٠ وقد تكون هذه الفلسفة بقصد التغيير ، كما ذكرنا من قبل ، من أجل مصلحة الملايين من أعضاء المجتمع ، أو يكون هذا التغيير كما هو فى المجتمع الرأسمالى من أجل حفنة من أعضاء هذا المجتمع ٠٠ والملاحظ أن سيادة فلسفة اجتماعية معينة فى مجتمع ما أمر متوقع ٠٠ فالمجتمعات متباينة ، ومن ثم فان فلسفاتهـــا الاجتماعيـــة السائدة متباينة كذلك ٠ وتأثر الباحث العلمى وهو يحدد أهداف بحثه وعند اختيار موضوع من الموضوعات وعند تفسير نتائجه لا يمكن أن ينفى موضوعية هذا الباحث ٠٠ لأن هذا أمر متوقع ٠٠ والعبرة كل العبرة تكون فى موضوعية الحقائق المجموعة وتحليلها واستخراج نتائجها ، وبخاصة فى محيط الظواهر الانسانية ، أو فى عدم موضوعية ذلك ٠٠ فاذا كانت أهداف الباحث العلمى المعاصر أهدافا غير تطبيقية ، أى لا تهدف الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع أو كان موضوع البحث لا يتسم بالشمول ولا يدرس ككل فى علاقاته المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الأخرى ، واذا كان الباحث العلمى لا يهتم بربط النظرية بالتطبيق ، فانه من الملاحظ أن ترجمة نتائج هذا البحث الى برامج والى تشريعات والاستفادة منها فى التخطيط لا يمكن أن تتحقق(١٦) ٠

وإذا نلخص ما سبق ، نلاحظ أنه اذا كان العلم العصرى هو حصيلة الخبرات الانسانية المنتظمة ، فان الخبرات الانسانية غير المنتظمه لا يمكن أن تكون علما عصريا • هى مجرد خبرات غير منتظمة •• وفى هذا الضوء نلاحظ أن العلم العصرى كحصيلة الخبرات المنتظمة هو أحد مصادر المعرفه • مثله فى ذلك مثل الفن والدين والفلسفه • مع ملاحظة أن الفن قد يستند الى العلم العصرى وأن الفلسفة وبخاصة الفلسفه المادية قد تستند الى هذا العلم كذلك •• ولكن العلم العصرى فى ضوء منهجه لا يستند الى منهج فن من الفنون أو الى منهج فلسفة من الفلسفات •• وقد يدرس هذا العلم الظواهر الدينية أوما يتصل بها • ولكن الدين فى ضوء طبيعته لا يحاول دراسة الظواهر العلمية أو ما يتصل بها •• ولا يعنى هذا أن الفنان أو رجل الدين أو الفيلسوف أو العالم لا يكون ملما بفروع المعرفة على تباينها ، بل على العكس يجب على كل واحد منهم أن يغترف من هذا المعين ما استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى يكون على بينة موضوعية بما يحيط به من واقع انسانى أو مادى •• ومن ثم يثرى خبراته المنتظمة وتتسع آفاق فكره •• ولعل ذلك أن ييسر وضوح الرؤية أمامه ، فاذا عمل من أجل أسرته أو من أجل الحى الذى يعيش فيه أو قريته أو مدينته أو مجتمعه الكبير ، فانه يستطيع أن يعمل عملا صالحا ••

ومنذ عام ١٨٣٠ سبقنى الى بعض ما ذكرته آنفا العلامة « رفاعة رافع الطهطاوى » فى كتابه القيم « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » أو « الديوان النفيس بايوان باريس » ، اذ يقول :

« وأما علماؤهم فانهم منزع آخر لتعلمهم تعليما تاما عدة أمور ، واعتناقهم زيادة على ذلك بفرع مخصوص ، وكشفهم كثيرا من الاشياء ، وتجديدهم فوائد غير مسبوقين بها ، فان هذه عندهم هى أوصاف العالم ، وليس عندهم كل مدرس عالما ، ولا كل مؤلف علامة ، بل لابد من كونه بتلك الاوصاف ، ولابد له من درجات معلومة ، فلا يطلق عليه ذلك الاسم الا بعد استيفائها والارتقاء لها ••

ولا تتوهم أن علماء الفرنسيس هم القسوس ، لأن القسوس انما هم علماء فى الدين فقط • وقد يوجد من القسوس من هو عالم أيضا ، وأما ما يطلق عليه اسم العلماء فهو من له معرفة فى العلوم العقلية التى من جمنتها علم الأحكام والسياسات • ومعرفة العلماء فى فروع الديانة النصرانية هينة جدا ، فاذا قيل فى فرنسا هذا الانسان عالم ، لا يفهم منه أنه يعرف فى دينه ، بل انه يعرف علما من العلوم الأخر ••• »(١٧) •

ولا أذيع سرا اذا صارحت القارىء بأن الحافز الى كتابة موضوع هـــذا الكتاب هو العلامة « رفاعة رافع الطهطاوى » .. انه كان عاملا حاسما ضمن عوامل أخرى حاسمة أيضا .. ففى عام ١٩٦٩ خرج من المطبعة كتاب « تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر » بقلم السيد الدكتور رفعت السعيد .. وقد سعدت بهذا الكتاب سعادتى بكل كتاب قيم أقرؤه .. وقد وقفت طويلا امام اهتمام الطهطاوى بالمرأة المصرية منذ أكثر من مائة عام (المرشد الأمين : عام ١٨٧٣) وبخاصة مطالبته بالمساواة للمرأة على أسس علمية اذ يقول : « ... فاذا أمعن العاقل النظر الدقيق فى هيئة الرجل والمرأة ، فى أى وجه من الوجوه ، فى أى نسبة من النسب ، لم يجد الا فرقا يسيرا يظهر فى الذكورة والأنوثة وما يتعلق بهما .. فالذكورة والانوثة هما موضع التباين والتضاد .. »(١٨) .

واذا كان الطهطاوى يقف الى جانب المرأة المصرية منذ ذلك التاريخ ،وكان داعية الى المساواة للمرأة ، فانه كان لا يقول ذلك بلسانه فقط وانما كان يعمل بما يقول .. فقد عثر على وثيقة فى دار المحفوظات كتبها الطهطاوى بخطــه ووقعها بامضائه ، وختمها بخاتمه ، وقد سجلها الدكتور السعيد فى كتابه ، وهذا نصها :

> « التزم كاتب هذه الاحرف رفاعة بدوى رافــع لبنت خاله المصونة الحاجة كريمة بنت العلامة الشيخ محمد فرغلى الانصارى، أنه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجـــة أخرى ولا جاريه أيا كانت ، وعلق عصمتها على أخذ غـيرها من نساء ، أو تمتع بجارية أخرى ، فان تزوج أيا ما كانت .. كانت بنت خاله بمجرد العقد طالقة بالثلاثه ، وكذلك اذا تمتع بجارية ملك يمين .. ولكنه وعدها وعدا صحيحا ، لا ينتقض ولا يخل ، أنها ما دامت معه على المحبه المعهودة ، مقيمة على الامانة والعهد لبيتها ولاولادها ولخدمها وجواريها ، ساكنة معــه فى محل ســكناه ، لا يتزوج بغيرها أصلا ، ولا يتمتع بجوار أصلا ، ولا يخرجها من عصمته حتى يقضى الله لأحدهما بقضاه ... » .

ولعل السطور السابقة ، كما يقول الدكتور الســعيد فى غنى عن أى تعليق .. ولعل الطهطاوى يقف بهذه الوثيقة شامخا أمام التـــاريخ موقفا فريدا فى احترام أفكاره وفى الايمان بحق المرأة فى المساواة(١٩) .

والطهطاوى هنا **يحرم على نفسه تعدد الزوجات ، بل ويحرم على نفسه الطلاق ، طالما كانت زوجته على العهــــد باقية وللأمانة الزوجية مؤدية ..**

يل ان الوثيقة تشير الى ملمح هام من ملامح خلق هذا الرائد العظيم ، فالرجل كان يعيش في عصر لم يكن الرقيق قد حرم فيه بعد ، وفى منزله كان يوجد الرقيق ، عبيدا واماء ، وكان التفسير السائد للشريعة الاسلامية يبيح التمتع والاستمتاع بما يشاء الانسان مما يملك من الجوارى ، ومــع ذلك لله نجد **الطهطاوى « يحرم » على نفسه هذا الاســـتمتاع ، ويخلص فى « وحدانية » الحب لزوجته الواحدة**(٢٠) ٠

واهتمامى بالمرأة المصرية المعاصرة يرجع أيضا الى يقينى بأن مجتمعنـــا المصرى المعاصر لابد أن يتغير عن قصد الى الافضل ، لانه يستحق ذلك ، لأنه دفع ثمنا فادحا على مر الزمان من أجل ذلك ٠ واننى أرى أن هـــذا التغيير لا يمكن أن يبدأ من فراغ ٠ فالاسرة المصرية المعـــاصرة يجب أن تتغير الى الافضل ٠ ومن عوامل هذا التغيير أرى أن ترتفع المكانة الاجمتاعيه للمرأة المصريه بكل ادوارها الاجتماعيه ، حتى تصل مكانة كل دور اجتمـــاعى من أدوارها الى مكانة الدور الاجتماعى الذى تؤديه كأم ٠ والدور الاجتماعى للأم فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، على وجه العموم ، كما يعلم القارىء ، ترتفــع مكانته فى الآفاق ٠ ولا تضارع مكانته الاجتماعية فى هذا المجتمع مكانه مثله فى مجتمع آخر ٠ وقد قال الكثير من أبناء مصر البررة ذلك مرارا وتكرارا ، وقد قلت ذلك فى دراساتى المنشورة وغير المنشورة ، وفى مقـــالاتى وفى محاضراتى ، مرارا وتكرارا ٠ ومع ذلك فان مكانة المرأة المصريه وبخاصة فى محيط الريف المصرى وفى محيط الأحياء الشعبية فى المدينة لا تعامل المعاملة الانسانيه التى يجب أن تعامل بها ٠٠ ان حق الأدوار الاجتماعيه التى تقوم بها المراة المصريه المعاصرة فيما عدا دور الام حق مهضوم ٠ وقد آن الاوان أن تسترد المرأة المصرية المعاصرة هـــذا الحق كاملا ٠٠ **واننى أرى أن الدعوة الى الديموقراطيه لا تثمر أبدا فى مجتمعنا المصرى المعاصر ما دامت مكانة الادوار الاجتماعيـــة للمرأة المصرية فيما عـــدا دور الأم مكانة منخفضـــة ٠٠ ان** الديموقراطية لا يمكن أن تكون مجرد كلمة ٠ انها كالأمومة وكالابوة ممارسة٠ وممارسه الديموقراطيه تبدأ فى الأسرة وتستمر خارجها ٠٠ والرجل المصرى المعاصر بكل أدواره الاجتماعية ابتداء من دوره كزوج هو مصـــــدر السلطة ورمزها ٠٠ والسلطه يجب ألا تحتكر ، مثلها مثل الوطنية تماما ٠٠ فالمصلحة العامه هى مصلحة الجميع ، كمـــا أن الوطن هو ما فى ذلك من شك وطن الجميع ٠٠ واذا كانت ممارسة الديموقراطية تحتاج الى الانتماء الى جماعة أو الى منظمة خارج الأسرة ، فان هذه الممارسة لابد وأن تبدأ فى الأسرة حتى لا يحتكر الرجل المصرى السلطة ولا يبقى للمرأة المصرية الا بعض السلطة (المعنويه) اذا كانت أما ٠ ولعل من الانصاف أن أذكر الامام « محمد عبده »

الذى مات فى عام ١٩٠٥ أى منذ أكثر من سبعين عاما ٠٠ فقد أنصف المرأة فى كتاباته وفتاواه ، وقال فى المعنى الذى أحاول الآن أن أعرضه على القارىء وهو يتحدث عن « قوامة الرجال على النساء » قولا أكمـــل بلاغة وأوضح تعبيرا ، فهو يقول :

« واعلموا أن الرجال الذين يحـــاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم(٢١) » ٠٠

ولعل مكانة المرأة المصرية المعاصرة أن ترتفع اذا نظرنا الى شخصيتهـا الدينامية نظرة شاملة لا الى العامل التكوينى لهذه الشخصية فحسب ، أى الى الدور البيولوجى الاجتمـــاعى الذى تؤديه المرأة أية امرأة فحسب ٠٠ فالملاحظ أن المرأة لا يمكن أن تكون امرأة بالمعنى الدارج فحسب ، أقصـد لا يمكن أن يكون مفهوم المرأة بمعناه الضيق فحسب ٠٠ أى بمعناه البيولوجى الاجتمـــاعى فحسب ٠٠ **ومن السذاجة أن ندعو الى تنظيم النسل عن طريق اغراء المرأة المصرية المعاصرة بالمحافظة على جمال جسمها ، اذا هى لم تنجب** الذرية الكثيرة العدد ٠ ان هذه نظرة الرجل المصرى المعاصر نحو المرأة ، أنها نظرة قاصرة كل القصور لا ترى فى المرأة الا جسمها ٠٠ وهى نظرة قاصرة لأنها نظرة جزئية ٠٠ ومن الغريب أن يستوى الرجل المسئول المثقف والرجل غير المثقف فى هذه النظرة(٢٢) ٠

وحتى هذه النظرة الشاملة التى أدعو اليها ، وحدها ، لا تكفى ٠٠ بل يجب أن يتيح المجتمع للشخصية الاجتماعيـة للمرأة أن تنمو ٠٠ وهى تنمو كلما نمت المرأة جسميا ونضجت عقليـا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراتهـا الثقافية الاجتماعية ٠٠ أى كلما زادت علاقاتها الاجتماعية واتسعت مجالات هذه العلاقات ، ومن ثم تعددت أدوارها الاجتماعية التى تؤديها للمجتمـع الذى تعيش فيه ٠٠ ومع ذلك فاننا فى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر لا نزال فى مسيس الحاجـة الى النظرة الشـاملة الى شخصية المرأة المصرية الدينامية ٠٠ وأننا فى مسيس الحاجة ، أيضا ، الى مناقشة بعض المفـاهيم الاجتماعية التى لهـا صلة وثيقة بهذا المجال ، وعلى رأسها مفـاهيم الحب والجنس والعفة والعرض والشرف ٠٠٠ الخ ٠ ان مجرد مناقشة هذه المفاهيم فى ضوء ظروفنا الثقافية الاجتماعية حتى تتضح معانيها ، يشكل خطوة الى الامام ، خطوة نحو الصحة النفسية الى الأمام ، وقد حاول الطهطاوى ، مثلا ، منذ أكثر من مائة عام (١٨٧٣) ، أن يناقش مفهوم « الحب » ، فعنده أن « من أحسن الاحسان الى البنات تزويجهن الى من هوينه وأحببنه(٢٣) » ٠٠

وعنده تطلق « المحبة » على ما يرادف العشق والمودة والصداقة ، فتعرف على الأول بأنها : الانجذاب الطبيعي الحاصل من تصور أوصاف المحبوب ، من الحسن ونحوه ، فيتولد العشق فجأة بدون فكر ولا نظر ، على حسب مزاج العاشق قوة وضعفا ، فقد يعشق الانســـان المرأة لوسامتها أو لتبسمها أو لسماع صوتهـــا أو لرشاقة قدها • ثم يقوى العشق تارة بنفسه ، وتارة بأسباب جديدة جاذبة ، كما أنه ينقطع بأسباب نادرة ، كقساوة قلب المعشوق وهجره واساءته والغيرة عليه •• ومما لا يسامح فيـــه في مذهب المحبين التشريك في المحبة ، والتبديل والتغيير فيها(٢٤) ••

واذ يدعو الطهطاوى الى قيام الزواج وتأسيس المنزل على أســـاس من « الحب » فان « الحب » عنده « فن » لا « شهوة » ، وبينه وبين « الشهوة » من البعد ما بينه وبين « الصداقة » من علاقات !! فهو يقول :

« فمعرفة ارضاء أحد الزوجين للآخر **فن نفيس** ، وان كان صـــعبا فى حد ذاته لأنه يستدعى كمال التربية ، والاتصاف بالعـــدل ، وقوة العقل ، وذكاء الفطنة ، واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحســـين أحوال المنزل المشترك بينهما ، وتنظيمه وتربيته وتنظيفه بقدر ما يمكن ، ومعرفة الاعتناء بالوسائل التى تستدعيها « الصداقة » بين الزوجين لاشتراكهما فى المنفعـــة العمومية ، فروابط الوداد الاكيدة بين الزوجين يتولد فيهما اعتمادية أكيدة فى أفعالهما وأقوالهما ، وجمع قلوب بعضهما على بعض ، فيكون كل منهمـــا قوى الوداد شريف الفؤاد ، فاذا حصل بينهما التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة ، التى قضت بثبوتها الزوجية ، واقتدى الأولاد بالوالدين فى المحبـــة العمومية وفى الاشغال المنزلية الموجبة للعمارية(٢٥) » ••

و « العفة » ، عند الطهطاوى ، هى أمانة كل من الزوجين لصـــاحبه • وهى « فضيلة دقيقة ، تفيد أن لا يصدر من أحد الزوجين ما يخدش صداقته للآخر ، وفى الحقيقة ، وجود هذه الفضيلة ينبغى أن يحرص عليها ولو كانت عزيزة ، وقل من يتصف بها فى أعلى درجات كمالها ، مع دقة النظر اللازمة لذلك •• فهى عصمة معنـــوية ، وهى أســـاس روابط الجمعيـــة البشرية (المجتمع) ، لأن عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط أحـــد الطرفين بالآخر ، ومشروط فيه الأمانة ، ضمنا ، على الوجه الذى قضته الحكمة الالهية ، فتقصير أحد الزوجين فى تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للأمانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء » •• ويرى الطهطاوى أنه « بالنظر للعرف ان تكون الأمانة فى المرأة آكدة ، **وان كانا مشتركين فيها** » •• وتراه فى ضوء ظروفه

التاريخية والثقافية والاجتماعية يعمم فيرجع ذلك الى « أن عوائد **جميع** البلاد وطبائع **جميع** المدن **وعرف** أرباب السياســـة والدول والملل كل ذلك يقضى بأنه لا يليق من النساء الا كمال الصيانة والعفة ، وسلوك سبيل الحياء ، أكثر مما يطلب من الرجال » .. ومهما يكن من الأمر « فان الحياء ممدوح ، وعدمه مذموم ، وأن الله اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء (أى لا يستحى من الله أو من الخلق أو منهما) » .. ويلخص الطهطاوى شرحه فيرى أن مجمع العفة والتصون قوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » (٢٤ م النور : ١١) ، فقد نهيت المرأة أن تنظر الى غير زوجها ، كما أن الرجـــل كذلك ، لصدق المحبة(٢) .

والملاحظ أن المجتمع المعـــــاصر غيره فى عام ١٨٧٣ ، وأن محـاولة الطهطاوى ، اذ يناقش مفاهيم الحب والجنس والعفة ... الخ مجرد بداية .. وقد لا يرضينا بما انتهى اليه من نتائج .. ومـــع ذلك فان فضله لا ينكر ، وشجاعته لابد أن تذكر ، فقد كان سباقا .. واذا كنت أدعو الى مناقشـــة معانى هذه المفاهيم فى ضوء ظروفنا الثقافية الاجتماعية المعاصرة حتى تتضح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر ، فاننى أرجو أن ننتهى الى بعض النتائج .. ولعل الوصول الى هـــذه النتائج أن ينقذ أعضاء هـــذا المجتمـــع وبخاصة الأعضاء الاناث من الكثير من الظلم والعنت ، ومن الكثير من القلق ومن الكثير من التوتر .. وهذه أمور لا داعى لوجودها ونحن نهدف الى بناء المجتمع الجديد .. والمجتمع الجديد تبنيه النساء المصريات ويبنيه الرجـــال المصريون على السواء . وصيانة هذا المجتمع هو بالضرورة صيانة للعرض ، وليس التضحية من أجل رفعته هو بذل من أجل سلامة الشرف .. ولن يكون عرضا أعظم من هذا العرض ، ولن يضع المجتمع الجديد شرف رجاله فى مكان أسمى من هذا المكان .. واننى أتساءل ، ولعل القارىء أيضا يتساءل معى ، لماذا يكون العرض هو عرض الرجل المصرى المعاصر وحده ، أو يكون الشرف هو شرفه وحده ؟ ان العرض وان الشرف فى ضوء الموضوعية هما للمرأة مثل ما هما للرجل سواء بسواء ..

ويتضمن الكتاب الحالى خمسة فصول ، هى :

١ ــ بعض المفاهيم المتعلقة بالمرأة المصرية المعاصرة ..
٢ ــ بعض الحقائق الثقافية الاجتماعية المصرية المستمرة ..
٣ ــ النظرة نحو المرأة المصرية المعاصرة ..
٤ ــ من أنماط سلوك المرأة المصرية المعاصرة ..
٥ ــ المرأة المصرية بين الحاضر والمستقبل ..

ومهما يكن من الأمر فاننى أود من الصميم أن يلقى هذا الكتاب عناية النقاد ورعاية القارىء واهتمامه ، وأن لا يكون كما ذكرت من قبل ، مجرد صرخة فى واد ، أو أن يفسر تفسيرا خاطئا ٠٠ فالهدف هو التغيير الى الأفضل ، تغيير مجتمعنا المصرى المعاصر الى الأفضل ٠ ولا يمكن لهذا الكتاب وحده أن يحقق هذا التغيير المنشود ٠ ولكن لعل القارىء الجاد أن يرى الاهتمام بالمرأة المصرية المعاصرة فيه مجالا للابتداء فى هذا التغيير ، أو لعله أن يجد تحقيق أهداف هذا الاهتمام مظهرا يدل على هذا التغيير ٠ فالملاحظ أن عملية التغيير الى الأفضل التى تهدف الى قيام مجتمع مصرى أفضل يعيش فيه الأشخاص والجماعات تحت ظل السعادة والطمأنينة والعدالة والانصاف عملية جذرية وشاملة ، أى أن زواياها عديدة ٠٠ فهى تتضمن البناء الاجتماعى ، والبناء الاقتصادى ، والبناء السياسى ، والبناء الايديولوجى أو الثقافى غير المادى جميعا ٠ وتعنى هذه العملية ، فى الواقع ، مواجهة الكثير من التحديات ٠ وليست هذه التحديات هى ، فحسب ، عمليات الانتاج والتعمير ، ورفع مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسى الثائر ، وغرس المبادىء الاشتراكية والديموقراطية بأنماطها العديدة ، ومواجهة العنصرية والامبريالية العالمية وأذنابها فى الداخل وفى الخارج ، وتطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص — بل هى ، أيضا ، خلق المناخ الثقافى الاجتماعى الايجابى الذى فى ظله يمكن أن تواجه كل هذه التحديات ٠٠ واننى اذ أدعو الى ضرورة وجود هذا المناخ الثقافى الاجتماعى الايجابى ، أدعو فى حقيقة الأمر الى تنظيم ثورة ثقافية عارمة فى مجتمعنا المصرى المعاصر تهدف أول ما تهدف أو يجب أن تهدف أول ما تهدف الى تطهير المتناقضات الثقافية فى هذا المجتمع ، والى التخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها ٠ أى أن هذه الثورة الثقافية يجب أن تعمل توا عن طريق قادتها القادرين المخلصين فى ضوء العلم عملها الضرورى الفعال ٠

وقد أكون مخطئا ، ومن حق القارىء أن يخطئنى ، اذا قلت انه على الرغم من ريادة الطهطاوى ، والامام محمد عبده ، وعبد الله النديم ، وقاسم أمين ، وعائشة التيمورية ، وملك حفنى ناصف ، وهدى شعراوى ، وغيرهم فى مجال انصاف المرأة المصرية فى كتاباتهم ، وعلى الرغم من اهتمامهم الكبير برفعة شأنها ، على مدى أكثر من مائة عام ، فانهم لم يروا أن التغيير المنشود هو بالضرورة تغيير جذرى وشامل ، ولا يمكن أن يكون تغيرا سطحيا أو جزئيا ٠ وفى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة ، نلاحظ أن المكانة الاجتماعية للمرأة ستظل منخفضة فى المجتمع

الرأسمالي ، مثلا ، ما دامت علاقات الانتاج الرأسمالي قائمة . وفي مجتمعنا المصري المعاصر « عندما تصفى علاقات الانتاج الرأسمالي تصفية نهائية ، نتوقع وجود جيل من الرجال لا تسمح له الفرص أبدا لشراء استسلام المرأة ، سواء بالمال أو بأية وسيلة أخرى من وسائل السيطرة الاجتماعية . كما نتوقع ، أيضا ، وجود جيل من النساء لا يضطرون أبدا للاستسلام لأي رجل لأي سبب سوى الحب الانساني الحقيقي . هذا ما نتوقعه ونحن متفائلون(٢٧) » .

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم أن هذا الكتاب ما كان ليخرج الى النور **لولا الفرصة التي أتاحها « الانفتاح » السائد في المجتمع المصري المعاصر .** فالانفتاح لا يمكن أن يكون اقتصاديا أو سياسيا فحسب ، فهو بالضرورة يكون أيضا انفتاحا فكريا يهدف الى التعرف على الأوضاع الثقافية الاجتماعية في هذا المجتمع ، بقصد مواجهة كل ما يقف منها في سبيل بناء الانسان المصري الكريم مواجهة ايجابية تيسر هذا البناء .

ولا يسعني وقد تم اعداد هذا الكتاب الذي بدأت التحضير له منذ شهر نوفمبر عام ١٩٧٢ ، الا أن أتقدم بالشكر والتقدير الى جميع من حفزوني للقيام بهذا العمل ، والا أن اعترف بفضل كل من عاونوني أو تعاونوا معي حتى أصبح في صورته الحالية . واخص منهم بالذكر أعضاء اسرتي : السيدة حرمي وابنتي آمال وتيسير وأبنائي أحمد وسمير ومسعد ، والسيدة الزا ثابت مديرة جمعية الخدمات الاجتماعية بحي بولاق ، والدكتورة ناهد صالح الخبير الاول بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية والسيدة الفنانة مارجو فييون (M. veillon) ، والاستاذ الفنان ألفونس نسيم ، والاستاذ فوزي عبد العظيم النجار أمين عام نقابة المهن الاجتماعية ، والاستاذ محمود السيد محمود الخبير الاحصائي بالجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، والاستاذة نازج محمود عاشور على المساعدات القيمة التي تفضلوا بتقديمها لي في اثناء اعداد هذا الكتاب .. كما أذكر بالشكر والتقدير الاستاذ عمر مصطفى الذي قام بنسخ النسخة الأصلية للكتاب على الآلة الكاتبة ..

ومن الصميم أرجو أن يمثل هذا الكتاب عطاء متواضعا مني من أجل مصرنا الخالدة التي عاشت لتعطى على الدوام ، وكان عطاؤها عطاء انسانيا سخيا ، عطاء الحب في سبيل المزيد من الحب ..

والرجا التوفيق والسداد .

المراجـع والتعليقات

١ ـ سيد عويس : علم الاجتماع فى بلد اشتراكى ، القـــاهرة ، مجلة الطليعة ، ديسمبر ١٩٧٠ ، (انظر أيضا ، عبد الحليم محمود : الاســـلام والعلم ، القاهرة ، مجلة الأزهر ، يونيو ١٩٧٠ ، صفحة ٣٠٧) •

٢ ـ J.B.S. Haldane, "What Is Life ?" London, Lindsay Drumond, 1949, pp. 133 - 134. —

٣ ـ العفيف الأخضر : نصـــوص حـــول الموقف من الدين (تقديم) ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٢ ، صفحات ١٤ ـ ١٨ •

٤ ـ علم الاجتماع فى بلد اشتراكى •

٥ ـ نجيب اسكندر ابراهيم ورشدى فام منصور : التفكير الخرافى ، بحث تجريبى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ •

٦ ـ سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقـــافية المصرية المعاصرة ، القـــاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، صـــفحات ٢٤٣ ـ ٢٦٥ •

أنظر أيضا :

أبو معشر الفلكى : طوالع الرجال والنســـاء ، والطالع الحـــدسى ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية •

٧ ـ حديث عن الثقافة : صفحات ١٤٨ ـ ١٥١ •

٨ ـ المناوى : مولد المناوى ، القاهرة ، شركة الشمرلى ، ١٩٧١ •

٩ ـ سيد عويس : الانشاد فى الحضرة الصوفية (تقديم) ، القـاهرة ، مطبعة الكيلانى ، ١٩٧٠ ، صفحتا ١٤ ـ ١٥ •

١٠ ـ Maurice Gaudefroy - Demombynes, "Muslim Institutions" London, George Allen and Unwin Ltd., 1950, pp. 205 - 206. —

١١ ـ حديث عن الثقافة : صفحات ٥٤ ـ ٥٧ •

١٢ — حامد عمار : فى بناء البشر ، دراسات فى التغير الحضارى ، والفكر التربوى ، مركز تنمية المجتمع فى العـالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٤ ، صفحات ٨٠ — ٩١ ·

١٣ — سيد عويس : تقرير أولى عن أعمال لجنة السياسة العلميـة للمركز (دراسه غـير منشورة) ، المركز القومى للبحوث الاجتماعيـة والجنائيه ، القاهرة ١٩٦٩ ، صفحة ١٥ ·

١٤ — المرجع السابق : صفحتا ١٥ — ١٦ ·

١٥ — Roland Robertson, "Sociology of Religion", Penguin Book, Great Britain, 1972.

١٦ — علم الاجتماع فى بلد اشتراكى ·

١٧ — محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ، مع النص الكامل لكتابه : تخليص الابريز ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٤ ، صفحتا ٢٩٨ — ٢٩٩ ·

١٨ — رفعت السعيد : تاريـخ الفكر الاشتراكى فى مصر ، القـاهرة ، دار الثقافه الجديدة ، ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤ ·

(انظر أيضا : محمد عمارة : التمدن والحضارة العمران ، الأعمـال الكاملة لرفاعه رافع الطهطـاوى ، الجزء الأول ، بيروت ، المؤسسة العربيه للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحه (٢٠١) ·

— ومع ذلك فلعل القارىء أن يلاحظ ماذا يحدث عادة فى المجتمـع المصرى المعاصر اذا ما أصبح شخص ذكر عن طريق اجراء عمليـة جراحيـه انثى أو أصبحت أنثى عن طريق اجراء نفس العمليـة ذكرا ، ان هذا التغيير البيولوجى يترتب عليه تغيير فى نظرة هذا المجتمع نحو هذا الشخص ، ويترتب عـلى ذلك تغيير فى مكانته الاجتماعيه بل فى حياته على وجه العموم · ونلاحظ أيضا نظرة المجتمع المصرى المعاصر نحو الشخص « الخنثى » ، أنها تكون عادة نظرة تتضمن المهـانة لهذا الشخص مثلها مثل النظرة نحـو الشخص « الخصى » !

١٩ — تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ، صفحتا ٣٤ — ٣٥ ·

٢٠ — التمدن والحضارة والعمران ، صفحتا ٨٦ — ٨٧ ·

٢١ ـ محمد عمارة : الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده ، القاهرة ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ ، صفحة ٦٩ ٠

٢٢ ـ كمال الحسنى : من حديث أذيع له فى محطة الشرق الأوسـط فى مساء يوم ٨ مايو ، ١٩٧٥ ٠

٢٣ ـ محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، الجزء الثانى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣ ، صفحة ٧٤٦ ٠

٢٤ ـ المرجع السابق : صفحتا ٥٥١ ـ ٥٥٢ ٠

٢٥ ـ نفس المرجع : صفحة ٦٣٥ ٠

٢٦ ـ نفس المرجع : صفحتا ٥٧٣ ـ ٥٧٤ ٠

٢٧ ـ سيد عويس : المرأة كسلعة ، القاهرة ، مجلة الهلال ، العدد الثالث ، مارس ١٩٦٥ ، صفحتا ١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

الفصل الأول

بعض المفاهيم المتعلقة بالمرأة المصرية المعاصرة

١ ـ المفهوم العام للمرأة المصرية المعاصرة ••

٢ ـ مفهوم المرأة المصرية فى التراث الثقافى المصرى •

٣ ـ مفهوم الطفل فى المجتمع المصرى •

٤ ـ بعض المفاهيم الأخرى •

١ ـ المفهوم العام للمرأة المصرية المعاصرة

اذا قرأ شخص من الأشخاص ما يكتبه الكثير من الادباء المصريين عن المرأة المصرية يقرأ عجبا • واذا استمع شخص آخر لما يذيعه بعض المذيعين أو الاذاعيين المصريين عن المرأة المصرية ، يستمعون لأمور لا تتصل بالواقع الحى لمجتمعنا بسبب : ان المرأة المصرية فى آراء أولئك وهؤلاء ، كما يقول « فرويد » ، لغز محير • وهى شخص لا يمكن أن يفهم ، بل يجب ان لا يفهم • وهى شخص يحاول هؤلاء المصريون الذكور أن يلصقوا عليه صفات الذكاء أحيانا والبلاهة أحيانا أخرى ، وصفات العاطفة الدافئة أحيانا والعاطفة الباردة أحيانا أخرى ، وصفات الكذب والبهتان أحيانا والمراوغة وعدم الصراحة أحيانا أخرى • وقد يرى بعضهم ان المرأة المصرية هى شخص « مستهلك » على عكس الرجل المصرى فهو شخص « منتج » • ويفسر هذا البعض هذا القول بان الرجل يعمل ويكسب ويعطى المرأة (الزوجة) بعض ما يكسب او كل ما يكسب لكى (أى لتستهلك) • **ويسمى هذا البعض ما يرى ان الكثير من هذا الانسان استثمار** • فالمرأة المصرية فضلا عن انها تلد ابناء المجتمع فهى تسهم فى تربيتهم ، وان أنفقت لتصنع طعاما مثلا فهى تحفظ حياة اعضاء الاسرة منهم أى حياة زوجها وحياتها وحياة الابناء • والولادة والاسهام فى تربية الابناء وحفظ حياتهم وحياة زوجها وحياتها ، كما يعلم القارىء ، كلها انتاج ، بل أعظم انتاج • ولا يقتصر الامر على هؤلاء ، ولكننا نجد بعض الفنانين المصريين الآخرين فى أعمالهم التشكيلية او المرئية أو المسموعة لا يجدون صفات اخرى تنصف المرأة المصرية • فالكل أى هؤلاء الكتاب والمذيعين والاذاعيين والفنانين المصريين ينعتون المرأة المصرية بصفات يأبونها على أنفسهم ، صفات مطلقة ، أى غير واقعية • وحتى الرجال العاديين نجد الكثير منهم يسلكون نفس المنحى • فالمرأة عندهم شيطان رجيم ، ولعن الله النساء ولو نزلن من السماء ، وان كيدهن عظيم ، ولا أمان للنساء ، واذا عرف الرجال ما تفعله النساء وهن فى خلوتهن ما تزوجوا قط !! واذا مرضت الزوجة يبلغ زوجها عن ذلك بقوله : « الفخدة عيانة » ، واذا احتاج المرض الى اجراء عملية جراحية مثلا فقد يرى الزوج أن يتزوج من أخرى فهذا أوفر وأرخص !! وقد يعلن أحدهم عن الزواج فيقول مداعبا أو ساخرا « أنا رايح البلد أجوز لى جاموسة » • كل هذه حقائق عن المرأة المصرية المعاصرة يعرفها كل من يحاول أن يقرأ صفحات كتاب

المجتمع المصرى المعاصر فى الأماكن التى يعيش فيها أعضاء المجتمع مثل القرية ومثل الحارة وبعض المنظمات الدينية والمحاكم وفى الأسواق ، أو فى محيط الفئات التى تضم الأعضاء الذكور من أعضاء المجتمع ، وحتى بعض الأعضاء الاناث !!

والملاحظ أن ظاهرة « الحريم » قد اختفت مظاهرها المادية من المجتمع المصرى المعاصر أو كادت ، ومع ذلك فان المرأة المصرية ما زالت هى الشخص المستضعف فى هذا المجتمع(١) ٠ والأدلة على ذلك كثيرة ومصادر ذلك عديدة٠ ويكفى لتأكيد ذلك أن يزور الشخص منا جمعيات تدعيم الاسرة أو محاكم الأحوال الشخصية ، أو يرجع الى الشكاوى التى تجأر بها النساء وهن يؤدين واجب العزاء ، أو وهن يزرن مقابر الأولياء والقديسين أو حتى وهن يزرن مقابر الاعزاء من الموتى الاقرباء المقربين ، (مثل الأب والأم والأخ والأخت والابن والابنة والزوج) ، أو مقابر الموتى الأقرباء من غير المقربين أو الموتى غيرهم ٠٠

وفى ضوء دراسة ل ٢٥ أسرة أحيلت الى أحدى جمعيات تدعيم الاسرة فى خلال الفترة من يناير عام ١٩٧٣ حتى أبريل عام ١٩٧٤ ، اتضح أن أكثر من يشكو هن النساء (٢١ حالة ، منهن ١٨ زوجة ، والباقى أرملة وابنة وأم زوجة) ٠ أما الحالات الأربع الاخرى فالشكوى فيها تأتى من الذكور ، من ثلاثة أزواج ومن ابن ٠ والملاحظ أن شكاوى الزوجات أنواع ، منها مماطلة الزوج فى التوقيع على قائمة « العفش » (أى الاثاث الذى دخلت به الزوجة بيت الزوجية) ، ومنها أن الزوج لم يدفع المهر أو أنه بخيل أو أنه دائم التشاجر مع الزوجة ، أو لأنه هجرها دون ما رعاية ٠ ومنها محاولة استغلال الزوجة حتى يشبع هواية لعب القمار ، أو محاولة سرقته أثاث المنزل ، أو تحريض زوجته على الفساد ، ومنها الطلاق بدون سبب ظاهر على الرغم من وجود أطفال ، أو الطلاق وهى حامل دون أن تعلم الزوجة على الرغم من استمرار المعاشرة الزوجية !! ومنها خيانة الزوج وتأكد الزوجة من ذلك ، ومنها اساءة معاملة الزوجة أو محاولة أجهاضها أكثر من مرة ، ومنها تسلط أم الزوج أو شقيقته (بموافقة الزوج) على الحياة فى الاسرة ٠٠

والسيدة الأرملة تشكو من أخت زوجها المتوفى التى تماطل فى دفع ايجار الحجرة التى هى نصيبها ونصيب أولادها من الميراث عن زوجها بعد وفاته منذ ١٣ عاما ، على الرغم من أنها ترعى ثلاثة أولاد قصر ٠ أى أننا فى هذه الحالة نجد امرأة تشكو امرأة أخرى ٠ أما الابنة الشاكية فقد كانت تشكو

أباها الذى تركها وهى صغيرة فى حضانة جدتها لوالدتها تحت رعاية خالها الذى استمر ينفق عليها حتى كون له أخيرا أسرة تناسليـــة ، فأصبحت مسئولياته أكبر مما ينبغى مما أدى بها الى طلب المساعدة فى الحصول على نفقة من أبيها الذى يملك ورشة لتصليح سيارات النقل • ومن الغريب أن نرى أن أم الزوجة الشاكية تؤكد أن زوج ابنتها الذى لم يدخل عليها قد عدل عن هذا الزواج ويريد الزواج منها هى أى من الام !!

والملاحظ أن هؤلاء النساء لا يزيد عمر أكبرهن على ٤٣ عاما ولا يقل عمر أصغرهن عن ٢٣ عاما ، وان معظمهن اميات وان وجدت بينهن واحــدة تحمل شهادة متوســـطة (الاعدادية) وأخرى تحمــل الشهادة الابتدائية ، ونلاحظ أن ست عشرة منهن لا يعملن • أما اللاتى يعملن فنجد من بينهن بائعة السجاير أو بائعة الحلوى أو الشغالة ، واثنتين يعملان على الآلة الكاتبة•

وشكوى الرجال قد قدمها ثلاثة أزواج • منهم اثنان يساورهما الشك فى سلوك زوجتيهما وذلك لان الاخيرتين تعملان فى الشقق المفروشة نضيق ذات يد الزوج وكثرة العيال • أما الزوج الثالث فهو يشكو هجران زوجته التى استمعت لحض أبيها على ذلك ، أى اننا فى هذه الحالة نجد رجلا يشكو رجلا آخر ، الاول هو الزوج والثانى هو الاب • والحالة الرابعة نجد فيها ذكرا يشكو ذكرا آخر ، أى نجد ابنا يشكو والده الذى يسىء معاملته كما يسىء معاملة والدته وأخته التى تكبره ، ويذكر الابن أن أباه يتعاطى المخدرات ويشرب الخمر ويضرب الام ، وفى مرة وهو فى غير وعيه حاول الاعتداء على الابنه !!(٢) •

واستمرار هذا المعنى المهين للمفهوم العام للمرأة المصرية يتجاهل أن المرأة فى بلادنا كانت ولا تزال العمود الفقرى للاسرة • وكيان الاسرة الصالح يتوقف الى حد كبير على صلاحية المرأة كزوجة وكأم • ومع ذلك فقد لا يرى البعض منا كما أوضحنا ، هذا الرأى • قد يرى هؤلاء فى المرأة عواملهـــا التكوينية فقط • أى أنهم يرون تباين هذه العوامل عنها فى الرجل • ويرون ، لذلك ، أن الرجل هو الاقوى والاعظم وأن المرأة هى الأضعف والأحقر • وما العوامل التكوينية فى رأيى سوى جزء من أجزاء شخصية المرأة الدينامية ، فهناك العوامل الاجتماعية الثقافية والعوامل النفسية والعقلية التى تكمــل الصورة الحقيقية لهذه الشخصية ••

وكما يرى هؤلاء عوامل المرأة التكوينية فحسب ، يرون كذلك دورا

اجتماعيا واحدا من الأدوار الاجتماعية التى تستطيع المرأة أن تقوم بها فى المجتمع ، أى مجتمع . وأقصد بذلك دورها البيولوجى الاجتماعى فحسب . ولا يرى هؤلاء الادوار الاجتماعية الأخرى التى قد تؤديها المرأة فى محيط الاسرة كأم وكزوجة وكأخت وابنة .. ولا يرون دورها كمدبرة لشئون البيت ، ودورها كصديقة لأبنائها وبناتها ، ودورها كزميلة لزوجها - وينسون فى غمار تعصبهم الأجوف أدوارها الاجتماعية الهامة ، فى خارج محيط الاسرة. وهى الأدوار العديدة التى تستطيع أن تشترك فى أدائها جنبا الى جنب مع الرجل ، فى كل المجالات ، فى سبيل بناء المجتمع(٣) ..

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن **مكانة المرأة « كأم » مكانة رفيعة** يقدرها ، على وجه العموم ، أعضاء مجتمعنا المعاصر على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم وثقافاتهم ومستوياتهم المادية حق قدرها . فالام عند الجميع « تعشش » ، والاب « يطفش » ، وعند الجميع نجد المثل السائد « اللى بلا أم حاله يغم » ، و « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، والأم هى أولا وقبل كل شىء كما تقول الاغنية « ست الحبايب » ..

ولكن من أجل شغف البعض بالتعميم الجارف ، نجد وصف المرأة يكون، فى العادة ، وصفا مزريا ، ويبدو لى أن المرأة المصرية عند الكثير من الكتاب والمذيعين والاذاعيين والفنانين المصريين ، **فى ضوء هذا التعميم الجارف** ، هى نوع معين من المرأة . ربما تكون هذه المرأة من تسكن الاحياء الراقية فى المدينة ، أو ربما تكون هذه المرأة المتمصرة وليست المصرية ذات الاصالة العتيدة . وينسى هؤلاء الملايين من الكادحات من الفلاحات والعاملات وربات البيوت .. ينسى هؤلاء أو يتناسون كل هذه الملايين ، كما ينسون أو يتناسون الملايين من الأمهات اللاتى يبذلن حبات قلوبهن فى سبيل صيانة الأسرة وحفظ كيانها على حساب راحتهن وأعصابهن .. فتعب أعضاء الاسرة عندهن « راحة » ، وسعادتهم لهن « سعادة » ، ولسان حالهن يقول « اللى يدى بلحة لابنى تنزل حلاوتها فى بطنى » و « ظل راجل ولا ظل حيط » ، و « قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى عند احبابى » !!

نجد من هؤلاء أحدهم يكتب بمناسبة عام المرأة « عام ١٩٧٥ » فيقول :

« كل عام وأنت أنيقة وجيهة شيك ! وامام تلك الباروكة الهائلة التى تكلل رأسك الجميل ، وهى من الشعر الطبيعى فى أغلب الظن . هل لى أن أتساءل ما هى المتعة التى تجدينها فى نظرات الاعجاب الموجهة من الناس الى شعر امرأة غيرك ؟ » ..

وينسى هذا الكاتب أو يتناسى أن نسبة من يلبسن باروكة فى ضوء خضم السيدات المصريات فى مجتمعنا المصرى المعاصر (حوالى ٩٠٠ ٠٦٤ ١٧ أنثى فى عام ١٩٧٢) نسبة ضئيلة جدا · انهن نادرات ··

ويؤكد هذا الكاتب تعميمه فى كل فقرة يتحدث عنها : عن حذاء المرأة ، أو بنطلونها « المحزق » أو عن « الريميل الازرق الفافع » أو عن « الكوافير » ، وكأنه يتحدث عن نساء المريخ وليس عن نساء المجتمع المصرى المعاصر !!(٤)

ونجد آخر يقول فى نفس المناسبة ، أى مناسبة عام المرأة « عام ١٩٧٥»، « آخر تقليعة ·· والتقليعات عادة لا تخرج الا عن المرأة ·· التقليعة على مستوى عالمى ·· هيئة الامم المتحدة قررت أن يكون عام ١٩٧٥ هو عـــام المرأة !! ·· لماذا ؟ ·· أيه السبب ؟؟؟ ما هى المناسبه ؟؟ ·· قيل ان المنظمات النسائية ـ وفى مقدمتها الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى ـ ضغطت على هيئة الأمم المتحدة لكى تتخذ المنظمة العالميه موقفا من قضية المرأة ، وتجعل عام ١٩٧٥ عام المطالبه بحقوق المرأة !! أكثر من هذا ·· تقرر أن يكون شعار عام المرأة العالمى عام ١٩٧٥ **هو المساواة والتنمية والسلام** !!·· رأنا لا ألبس فوق رأسى عمه خضراء ، وان كان هذا شرف كبير لى ، فحينما أختفى هذا الجيل الرائع من أجدادى الذين كانوا يلبسون العمة ، اختفى معهم الكثير من المثل والقيم والاخلاقيات الحميدة ·· ولكنى فقط أريد أن أسأل المرأة : « ماذا تريد أكثر مما أخذت ، أية مساواة تطالب بها ؟! ·· لقد وصلت الى منصب الوزارة ومجلس الشعب ورئاسة التحرير ، واذا كان الكـلام على المستوى العالمى فقد وصلت الى منصب رئيسة وزراء بل رئيسة جمهورية أيضا !! ثم اقتحمت المرأة مجالات جديدة تماما مثل السلك الديبلوماسى والشرطـة !! والفضاء والهندسة والزراعة وغيرها ، وتساوت معنا فى المرتبات وان كنا لم نتساوى معها فى الاجازات !! ثم أى سلام تطالب به المرأة ؟ هل هو السلام العالمى وانسحاب اسرائيل ؟!! أم السلام فى المنزل ؟؟ اذا كان السـلام فى المنزل فنحن الرجال أول من يطالب به !! بقى أن تعرف المرأة أنها حينمـا « اغترفت » حقوقها ، نسيت واجباتها **التى لا يمكن أن يقوم بهـا الا بنات** جنسها ·· فالواجبات المنزلية ومراعاة الاسرة والأولاد وتهيئة الجو المناسب فى المملكة الصغيرة لكى ينتج أفرادها للمجتمع الكبير ـ مثل النحل تماما ـ هذه الواجبات نسيتها المرأة فى لهثها ولهفتها وجريهـا وراء حقـــوق الآخرين لاغتصابها ·· !

« اننى أطالب هيئة الأمم المتحدة أن تجعل عام ١٩٧٦ عام الرجل ! لكى

نثبت للمرأة عمليا وبالارقام كم نكسب وكم ننفق على أنفسنا نحن الرجال وكم ننفق عليهن ؟؟ »(٥) ٠٠

هذا ما كتبه هذا الكاتب ٠ ويلاحظ أن كله مغالطات ٠ ويتضمن الانكار للجميل ٠ **ويتسم بالتعميمات الجارفة** ٠ ويمشى الغرور فى كل ثناياه ٠ آنه لمن نكد الدنيا أن تتاح لمثل هذا الكاتب فى الربع الاخير من القرن العشرين ، فى مجتمعنا ، الفرصة لكى ينشر هذا الكلام المسموم ٠ بئس ما كتب وما أتعسه من قائد ثقافى لا يرى ما تحت قدميه ٠ ولعــل البعض أن يقــول انه يداعب ، أى أن كل ما ذكره هو مجرد دعابة ٠ ولكنى أقول أنه فى موضعه قدوة غير حسنة وغير رشيدة وهذا بلاؤنا أو بعض بلائنا ٠ ان تيار الحقيقة والتقدم والتغيير الى الافضل سيجرف حتما هذا الهراء٠٠انه التيار العصرى الذى لن تقف فى سبيله عقبات أو جهالات ٠ ويكفى أن يلاحظ القارىء المدقــق المعانى السخيفة التى تملأ سطور ما كتب ٠ يكفى أن يلاحظ مثلا ربط الكاتب بين « العمة الخضراء » وبين المثل والقيم والاخلاقيات الحميدة ! ويكفى أن يلاحظ تسفيه هذا الكاتب السخيف للآمال الانسانية التى يدعو اليها كل مواطــن صالح ، وبخاصة فى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، مثل « المساواة والتنمية والسلام » ٠ أو يلاحظ مقارنة هذا الكاتب أدوار المرأة الانسانيـــة بأدوار « النحلة » أو تباهيه بما يكسب وبما ينفق ٠ ان كل حرف سطره هذا الكاتب مصرنا الخالدة ، مصر المستقبل ، براء منه ٠٠ فالمعانى التى يتركهــا كلامه فى نفس القارىء ما هى الا معانى الرواسب الثقافية الباليه التى قد آن الأوان لكى يقضى عليها قضاء مبرما ٠٠

وقد لاحظت أن المرأة المصرية ، بعامة ، لم تسلم من مغالطـــات بعض النساء المصريات ٠ ومن هؤلاء من يشغلن مراكز اجتماعية مرموقة فى المجتمع المصرى المعاصر ٠ ترى أحداهن مثلا أن مكانة المرأة المصرية « عال العال » ، فالمرأة المصرية فى رأيها « أرقى من المرأة الأوربية » ٠ وهذا كما يلاحظ القارىء تعميم جارف لا يجدى شيئا فى انصاف المرأة المصرية المعاصرة(٦) ٠٠ ولن أنسى ما حييت أن أرى احدى المفكرات المصريات المرموقات اجتماعيا ، والتى يراها الكثيرون قائدة ثقافية كبيرة فى عصرنا الحالى ، وهى فى برنامج من برامج « التليفزيون » المصرى ذات الشهرة المحلية ـ لن أنسى وهذه السيدة فى غمار دفاعها عن المرأة المصرية المعاصرة فى ضوء ما لاقت هى من صنوف العنت والظلم وهى فى شبابها وحتى الآن ، أنها سئلت عما اذا كانت تفضل أن يكون لها حفيد أو حفيدة ، فجاءت أجابتها : « حفيد بالطبع وليست حفيدة

حتى لا تعانى ما عانيت »!! اجابة لا يمكن أن أصفها الا بأنها « مخيبة للآمال»، صدرت عن سيدة يراها الكثيرون قائدة ثقافية كبيرة فى عصرنا الحالى ·· وكل هذا يؤكد لى ، وأرجو أن يؤكد للقارىء أيضا ، اهتزاز قيم القدوة الايجابيه فى المجتمع المصرى المعاصر · تلك القيم التى نحن فى حاجة ماسة اليها وبخاصه فى ضوء ظروف هذا المجتمع · ومهما كانت الدوافع التى جعلت هذه السيدة ترجح « الحفيد » على « الحفيدة » ، فانها تدل على العجز واليأس والقنوط ومسايرة ما بقى من تراث ثقافى اجتماعى مصرى غير ايجابى(٧) ··

ولم تسلم المرأة المصرية **كأم من التجريح** · فهى فى رأى احدى الكاتبات « مصدر كل شىء » ، و « كل قبيح يرجع اليها » ، و « كل جميل ينبع منها »· وترى هذه الكاتبة ظلما وعدوانا أن جميع أدواء مجتمعنا المصرى المعاصر يرجع الى الام المصرية « وأن المجتمع بكل ما فيه من عادات ومظاهر ، عبارة عن صورة من الام ، ونظافة المدن أو قذارتها ترجع الى طريقة الأم فى تربية الأولاد ·· نشاط الموظفين أو كسلهم يرجع الى بيئتهم المنزلية قبل التعليم ·· كل المساوىء فى أى مجتمع سببها فشل الام فى تربية الصغار » · وكل هذا كلام غير علمى ، فالملاحظ أن الام وحدها لا تكون البيئة المنزلية ، وانه اذا كان لا شىء يأتى من لا شىء ، **فالعلم يؤكد تعدد عوامل الظواهر وأنماط السلوك** وديناميتها ·· ولا يمكن نعامل واحد « الأم مثلا » أن يخلق وحده كل الظواهر أو أنماط السلوك البشرية التى ذكرتها الكاتبة فى مقالها · اننى أوافق على ضرورة وجود « الامهات الفضليات فى مجتمعنا » · ولكن لا يمكن أن تعنى هذه الموافقه أن « كل المساوىء **فى أى مجتمع** سببها فشل الأم فى تربية الصغار ، وأى فضائل فى المجتمع ترجع أولا وأخيرا الى الامهات الفضليات » · أن هذا تبسيط لا يقره العلم ، وهو تحيز ضد الأم المصرية وليس معها ، وبخاصة اذا كان يرى أن عوامل فشل الام ترجع الى الأم وحدها · ويبدو أن الكاتبة ترى ذلك ·· ويكشف ذلك ما ذكرته الكاتبة نفسها عن التأخير فى الحضور الى موعد طبيب للاسنان لفترة خمس دقائق ، فبدلا من أن ترجع هذا الخطأ الى تهاونها ، أرجعته الى تهاون أمها التى ربتها على عدم الدقة فى المواعيد ، والاستهتار فى العمل ومزج الجد بالهزل ··· الخ · وكل ما ذكرته هذه الكاتبة **كلام لا يستحق الحبر الذى كتب به** · فالملاحظ أن شخصية كل عضو من أعضاء المجتمع هى نتاج أجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فى هذا المجتمع ، مثل الاسرة والجيرة والمدرسة والمسجد أو الكنيسة والمنظمة الرياضية والمنظمة السياسية وأجهزة الاعلام والثقافة ، وان الاسرة فى ضوء الظروف الاجتماعية الثقافية العصرية لا يمكن أن تكون وحدها مسئولة عن تكوين

شخصية كل عضو من أعضاء المجتمع ٠٠ صحيح أن دور الأم فى الاسرة دور اجتماعى هام ما فى ذلك من شك ٠ والأم تؤدى عملا رئيسيا فى الوحـــدة الاجتماعية الأساسية (الاسرة) فى المجتمع ، ولكن فى ضوء المنهج العلمى لا يمكن أن نغفل الادوار الاجتماعية الهامه الاخرى فى الاجهزة المشار اليها فى شخص المسئولين عنها(٨) ٠٠

وعلى الرغم من ذلك ، فأن مكانة المرأة المصرية فى مجتمعنا قد تطورت ٠ أصبحت مكانة المرأة الاجتماعية قبل عهد رفاعة الطهطاوى أو قبل عهد قاسم أمين غيرها بعد ذلك ٠٠ وأصبحت مكانتها الاجتماعيه قبل ثورة عام ١٩١٩ غيرها بعد ذلك ٠ وقبل ثورة عام ١٩٥٢ نجد أن مكانة المرأة الاجتماعية غيرها بعد ذلك ٠ ذلك لان ظروف مجتمعنا قد تطورت فى هذه المراحل تطورا زاد من مكانة المرأة الاجتماعية ارتفاعا ٠٠ فمن مجتمع اقطاعى فى مطلع القرن العشرين تحول مجتمعنا الى مجتمع اقطاعى شبه رأسمالى بعد ثورة عام ١٩١٩، ومن مجتمع اقطاعى شبه رأسمالى قبل ثورة ١٩٥٢ ، نرجو أن يتحـــول مجتمعنا ، فى الوقت الحاضر ، على الرغم من الصراعات الثقافية وغيرها ، الى مجتمع اشتراكى ٠ ذلك لأنه من الملاحظ أن علاقات الانتاج القديمـة ، فى مجتمعنا الحالى ، لم تصف تصفيه نهاية حتى الآن ٠ فالرواسب البالية لا تزال تخيم على مناخ مجتمعنا الثقافى الاجتماعى ، ومنها الرواسب التى تتعلـق بمعاملة المرأة المصرية ٠ فهى فى عقول الكثيرين من رجال المجتمع تنســـج خيوطها كالعنكبوت ٠ ومفهوم المرأة عند العديدين من هؤلاء الرجال ، مفهوم منحرف ٠ ومفهوم الرجل عند العديدات من النساء ، كما يبدو ، مفهوم منحرف كذلك ٠٠ وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو واضحة فى الكثير من الأمور ٠٠ تبدو عند اختيار المرأة للرجل لتتزوجه وعند اختيار الرجل للمرأة ليتزوجها ٠٠ وتبدو عند المغالاة فى طلب المهور أو ما يعادلها ٠٠ وتبدو عند تصدع الاسرة المصرية بالطلاق دون ما مبرر ، وتبدو فى تعدد الزوجات دون ما شرط ، وتبدو فى حجم جناح الأحداث واتجاهاته ٠ كما تبدو ، كما سبق أن أوضحنا ، فيما يكتبه أو يقوله الرجال من الكتاب والمذيعين والاذاعيين والفنانين وغيرهم من الرجال العاديين وبعض النساء ٠٠

وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو جلية واضحة فى الاتجار بالمرأة عن طريق تكوينها البيولوجى ، وقد نجد ذلك فى الاعلانات والدعاية للافلام ، وفى الاعلان عن الروائح العطرية ، وعن « أحمر شفاة » ، وحتى الاعلان عن شراب « الكوكاكولا » ٠ ونجد هذه الاعلانات فى الجريـــدة اليومية ، وفى الصفحة الأولى للمجلة الاسبوعية ، وعلى « الشاشة الكبيرة وعلى الشاشـة

الصغيرة » على السواء • ويتفنن أصحاب هذه الاعلانات ما شاءت لهم عقولهم المملوءة بخيوط الرواسب الباليه التى تتعلق بمعاملة المرأة أن تفعل • فنجدهم يتملقون شهوات الرجل ، فيرسموا جسد المرأة ، وهو عنصر واحد من عناصر مكونات شخصيتها الاجتماعيه ، عاريا مرة ، أو شبه عارى مرة أخرى • أو يرسموا جزءا من أجزائه فى بعض الأحيان • وهم اذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجسد المرأة دون ما حياء • أو نجدهم يستخدمون الرموز فى بعض الاحيان الاخرى • ولهم من التفاحة المشهور ، تفاحه حواء ، مجال وأى مجال • وهم اذ يفعلون ذلك يؤكدون ، بوعى أو بغير وعى ، رمز الخطيئه ، خطيئة المرأة ، فى كل لحظة • وكأنها خطيئه لم نغفرها لها رحمه الله ورضوانه !! بل هى خطيئه أبدية **يذكرها لها الرجل ، وهو سريدها ، فى كل حين** ، ويحاول أن ينال منها عن طريقها على الدوام •• وكما تنال الاعلانات بانماطها وصورها من المرأة ، يفعل ذلك تماما ما نجده فى مضمون بعض القصص والتمثيليات المكتوبة أو المعروضة منها •• وكل هذه العمليات ، كما يعلم القارىء ، عمليات تجارية يقصد بها الربح السحت على حساب كرامة المرأة كانسان • ومن صور الاتجار بالمرأة ، أقصد الاتجار بعوامل شخصيتها التكوينية ، **صورة ظاهرة البغاء** • والبغايا من النساء يسمون أحيانا ، بحق أو دون ما حياء ، بالرقيق الابيض • وظاهرة البغاء ، كما يعلم القارىء أيضا ، ظاهرة اجتماعية قديمه قدم الدهر • **قديمة قدم مهنة الكهانة ومهنة الطب وتوجد فى كل المجتمعات** •• وهى كظاهرة اجتماعية أنماط عديدة ، توصم بها النساء كما يوصم بها الرجال على السواء • ولكن يلاحظ فى مجتمعنا أن حجم هذه الظاهرة يكون فى محيط النساء ، عـــادة ، أكبر منه فى محيط الرجال •• وقد وجدت ظاهرة البغاء فى مجتمعنا ، وهى لا تزال موجودة فيه حتى الآن • كانت هذه الظاهرة معترفا بها رسميا حتى عام ١٩٤٩ • وعلى الرغم من الغاء البغاء العلنى فى مجتمعنا ، فقد حل محله البغـاء السرى • وينتشر الاخير بكثرة فى المناطق الحضرية فى المجتمع •• فقد كان عدد البغايا المرخصات فى مدينة القاهرة ، مثلا ، قبل الغاء البغاء العلنى أى فى عام ١٩٤٩ حوالى ٥٠٠ بغى • وارتفع عدد مرات القبض على البغايا فى خلال عام واحد (١٩ أكتوبر ١٩٥٧ الى ١٨ أكتوبر ١٩٥٨) حوالى ٢٣٢٩ مرة •• وكان عدد البغايا المقبوض عليهن فى خلال نفس العام ١٠٥٥ بغيا •• أى أن عدد البغايا المعروفات لرجال الشرطة فى مدينة القاهرة قد تضاعف فى أقـــل من عشر سنوات •• **ويلاحظ أن هذا العدد يمثل الحالات المنظورة فحسب** •• ولا يخفى على القارىء وجود حالات أخرى غير منظورة عديدة ، وهى الحالات التى لم يكتشفها رجال الشرطة فى هذه الفترة أو حتى بعد هذه الفترة[٩] ••

وعندما تصفى علاقات الانتاج الاقطاعى شبه الرأسمالى فى مجتمعنا تصفية نهائية ، أتوقع وجود جيل من الرجال لا تسمح له الفرص أبدا لشراء استسلام المرأة ، سواء بالمال أو بأية وسيلة أخرى من وسائل السيطرة الاجتماعية ٠٠ كما أتوقع أيضا وجود جيل من النساء لا يضطررن أبدا للاستسلام لأى رجل لأى سبب سوى الحب الانسانى الحقيقى ٠٠ هذا ما أتوقعه ويتوقعه معى المتفائلون على الرغم مما نراه الان من معاملة المرأة الواقعية ٠٠ فالرجل المصرى يعامل المرأة المصرية ، الا اذا كانت تؤدى دورها كأم ، معاملة تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ٠٠ ولعل ما أوضحته فى الدراسة الحالية يكفى وزيادة ٠٠

والملاحظ أن الرجل المصرى اذ يعامل المرأة المصرية معاملة قد تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، **وتراه فى بعض الاحيان يتغنى بكيدها** فانه فى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقا وصبابة وهياما ٠ يكتب فى ذلك المواويل والازجال والاشعار ، ويحكى القصص والروايات ٠٠ ويظهر ذلك فعلا وعملا ، وتراه يستخدم اشارات اليد والاصابع والوجه للدلالة على ذلك أحيانا ، أو يستخدم الكلمات وهو يعاكس أو فى وقت الصفاء أو بعد ذلك أحيانا أخرى :

« كيد النسا كيد لو أبو زيد يميل منهم
لو عنتر بن شداد نيشوف العذاب منهم
لهم فعل بطال زالت الجبال منهم
الواحدة منهم فى كل بلوة تلقاها
قاعدة تقلب ثمن لأجل الخراب والشر
وتكره الطيبة وفى الرديه تلقاها
ومطاوعة ابليس على فعل النكد والشر
وكل يسيرة مع المخاليق تلقاها
هم النسا على الدوام وجودهم أساس الشر
والعقل لو غاب يكون السبب منهم !!

(موال من الجيزة)

وقاضى الغرام فوق جبل عالى ينادينى
قال فين مفارق أحبابه قلت أنا ودينى
قال لى تعود للحبايب قلت ودينى

دول الحبايب العزاز ولا لهمشى فى الجمال وصفة
أنا نفسى أزور النبى واقعد حداه واصفى
ان كان قلبى يبيح لغـــيركم ويصفى
أموت كـافر ولا توفـــاشى على دينى

(موال من الجيزة)

وفى دراسة قمت بها عن « ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر » لاحظت كتابة العديد من عبارات الاغانى المصرية التى تتضمن معانى عديدة . ومن هذه المعانى ما يترنم بالحب والهوى، «الحب كده» و « الهوى هوايا » و « أنت الحب » و « أهل الهوى مساكين » و « أهل الهوى يا ليل » و « جددت حبك ليه بعد الفؤاد ما ارتاح » و « زى الهوى يا حبيبى وآه من الهوى ».. ومنها ما يترنم بالشكوى والعتاب والخصام والهجروالفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، « أروح لمين ؟ » و « بلاش أسية ارحم عنيه » و « اكتر من مرة عاتبتك وادتلك وقت تفكر » و « تفيد بايه يانـدم وتعمل أيه يا عتاب » و « كلمونى تانى عناك ــ فكرونى » و « قابلته نسيت انى خاصمته » و « هجرتك يمكن أنسى هواك ورجع قلبك القاسى » و « ياهاجرنى» و « لا نوم ولا دمع مخلاش الفراق فيه » (كان أصلها لا نوم ولا دمع فى عنيا) و « ما أطال النوم عمرا وما قصر عمرا » (وكان أصلها فما أطال النوم عمرا ولا قصر فى الاعمار طـــول السـهر) و « من فرحتى لا بنام ولا بصحى » و « سهران لوحدى » و « ودع هواك » و « كايدة العزال » و « كايدة العزال أنا من يومى » ، و « كايدة العزال يا سكينة ! » . ومن معانى عبارات هــذه الاغانى ، نجد ما يترنم بالامل والفرح والغزل والدعابة والتسامح والسلامة ، « أمل حياتى يا حب غالى » و « من فرحتى تهت مع الفرحة » و « أبو سمرة السكرة » و « ادلع يا رشيدى على وش الميه » و « بتبص لى كده ليه ؟ » و « على عينى كرملة » و « ما خدشى العجوز أنا » و « انساك ده كلام أنساك يا سلام » و « سالمة ياسلامة » ..

وقد كتب آخرون على هياكل مركباتهم تعبيرات شعبية تتضمن معانى الغزل المفتوح والغزل المستتر ، « آخر طريقــك فين » و « النبى تبسم » و « بطل تقل بقى » و « قولى آخر طريقك فين يا حلو ياللى ماشى » و « وكده شربات » و « منى عينى هو » و « صباح الفل ياعود الفل » و «اوعى الهوى !».

وقد لاحظت أنه فى ضوء الدراسة المشار اليها ، وفى ضوء دلالات هذه النتائج أن الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات موضوع الدراسة،

على الرغم من أن بعضها مكرر ، وأن معانى بعضها متشابهة ، وعلى الرغم من أن أشكالها متعددة - قد اختارها كاتبوها أنفسهم بمحض ارادتهم وأصروا على كتابتها على هياكل المركبات التى يستخدمونها على الرغم من عدم موافقة الدولة على هذه الكتابة • وأنهم اذ يكتبون ما يكتبون بمحض أرادتهم ، فانهم فى حقيقة الأمر يحاولون أن يسمعوا أصواتهم دون أن يراهم أحد ، أى أنهم فى حقيقة الأمر يحاولون بمحض أرادتهم أن يهتفوا • ومعـانى **الحب والهوى والشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق ، والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، فضلا عن معانى الأمل والمرح والغزل والدعابة والتسامح ،** كل هذه المعانى تعكس العديد من العناصر الثقافية غير المادية التى تملأ المناخ الثقافى الاجتماعى لمجتمعنا المصرى المعاصر •• وهم فى ضوء ظروفهم الثقافية الاجتماعية والاقتصادية قد اختاروا هذه المعانى من هذا المناخ لكى يسمعوا أصواتهم دون أن يراهم أحد ، **أى لكى يهتفوا هتاف الصامتين** •• واصطنعوا من أجل ذلك ، دون ما وعى ، جهازا اعلاميا شعبيا من أجهزة الاعـلام فى مجتمعنا المصرى المعاصر يتحرك على امتداد مدن هذا المجتمع وقراه •• وهـو كجهاز اعلامى يدعو فى ضوء طبيعته الى تثبيت العديد من المعانى السابـق ذكرها والتى لا تزال تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، ومنها الحب والهوى على الرغم من أن الحب ، كما يقول المثل الشعبى « **عاوز كلفة علشان تدوم الالفة**(١٠) » •

ومن الازجال المشهورة التى شاعت وذاعت ، نجد :

فى كل عـام للـورد اوان	الا النسوان
بقدرتك نابتين ألـوان	أبيض وأحمر
وأنت اللى تعلم وأنا أجهـل	فيه أيه أجمل
من دى الخدود واللى لا تدبل	ولا تتغير
ودى العيون اللى أشهد لـك	بها وأسجدلك
دى خلت الطاغى انقاد لـك	والمتكـبر
والشفتين اللى خالقهـم	كنت خالقهم
للابتسام ولا رازقهـم	دانت تحير
العبد يعشـق بالقـوة	وعشق لجـوه
كمـان جهنم ؟ ايه هـوه	محناش معشر
... ...	
... ...	
يا مسلمين الله يا حريـم	أنا مالى غريـم
غيركم أروح وياه فى جحيم	يوم المحشر

الدنيا والنسوان وخـــلاص   والراجل لاص
لا طبلة ينفع ولا بـــــلاص   لو يتكسر(١١)

ولعل معاملة الرجل المصرى السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها أن تكون أمورا غير متناقضة ٠ فالمرأة المصرية فى نظر الرجل المصرى ، حتى الآن ، **لا تزال متاعا** ٠٠ ولعلها أن تكون متاعه الوحيد المرموق ٠٠ وهى اذا كانت راضية بهذا الوضع الغريب ، فهى تفعل ذلك ، كما سبق أن أوضحنا ، فى ضوء العلاقات الاجتماعية ، علاقات الانتاج الاقطاعى الرأسمالى التى لما تصف ، وفى ضوء بعض العناصر الثقافية غير المادية الباقية لا تزال ٠٠

ومهما يكن من الأمر ، فان المرأة المصرية ، على الرغم من كل هـــذه الأمور ، فضلا عن بعض العوامل الأخرى ، **قد عصمت الرجل المصرى من الشذوذ الجنسى الذى نرى ألوانه العديدة موجودة فى العديد من المجتمعات الأخرى** ، وبخاصة فى المجتمعات الغربية ، حيث الحرية الجنسية (لا التربية الجنسية) تسود ٠ وحيث نجد مكانة المرأة الاجتماعية فيهامكانة تغبطها عليها الكثيرات من النساء المصريات ٠٠

المراجع والتعليقات

١ ـ كان قوام مجتمع الحريم أيام وجود تجارة الرقيق ٠٠ أى فى زمن الجوارى ٠ وقد تعهدت مصر بالغاء تجارة الرقيق بمعاهدة مصرية انجليزية أبرمت فى عام ١٨٧٧ وتطبيقا لها صدر أمر عال من الخديوى من العام نفسه ، ينص على فترة انتقال مدتها اثنتا عشرة سنة ، يسمح فى خلالها للأسر التى تملك جوارى أو عبيد أن تتاجر فيهم مع غيرها ٠ « وبعد مضى المدة المحكى عنها اذا كان أحد من رعايا الحكومة المحلية يخالف الأمر ويتجرأ على بيع الرقيق السودانى أو الحبشى تصير مجازاته بالأشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة أشهر وأكثرها خمس سنوات » ٠ وجعل القانون محاكمة المتهمين فى قضايا الرقيق من اختصاص مجالس عسكرية تشكل بأمر السردار ، أى القائد الانجليزى للجيش المصرى ، **ولم يعن القانون بتحرير العبيد الموجودين طرف العائلات فى داخل البلاد ، فما دام العبيد او الجوارى لم يطلبوا عتقهم وما دامت الأسر التى تملكهم لا تتاجر فيهم ، فلا موجب لتحريرهم !!** وعند تطبيق القانون ، اكتشفت « مصلحة الغاء الرقيق » أن نصوص القانون لا تتضمن نصا صريحا على معاقبة من يشترى الرقيق ، ولتلافى هذا النقص أصدرت وزارة الداخلية منشورا تفسر فيه القانون وتقول بأن العقوبة تشمل البائع والمشترى ٠٠

ومع ذلك ، فقد استمرت تجارة الرقيق فى مصر ، واستمر النخاسون يجلبون الجوارى ٠ والتاريخ يذكر أنه فى يوم ٤ سبتمبر عام ١٨٩٤ انعقد المجلس العسكرى ، ووقف حسين باشا واصف ومحمد باشا الشواربى والدكتور الشافعى بك فى قفص الاتهام ٠٠ وكان أحد المتهمين الذى لم يحضر لمرضه على باشا شريف رئيس مجلس الشورى ، وأجلت محاكمته ٠ وكان مع هؤلاء النخاسون وشركاؤهم ٠ وكانت التهمة بيع وشراء الجوارى : حليمة وفاطمة ومراسيلة ، وزنوبه وسعيدة ومريم ـ (انظر صلاح عيسى : حكايات من مصر ، بيروت ، الوطن العربى ، ١٩٧٣ ، صفحات ١٤٧ ـ ١٦٩) ٠٠

٢ ـ سيد عويس : دراسة لـ ٢٥ أسرة من الاسر التى ترعاها جمعية تدعيم الاسرة ، بالدقى ، عام ١٩٧٤ ، دراسة غير منشورة ٠٠

٣ ـ سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، صفحة ٢٣٨ ٠٠

٤ — محمد عفيفى : للكبار فقط ، فى عــالم المرأة ، جريدة الأخبــار ، القاهرة ، ٦ يناير ١٩٧٥ ..

٥ — عبد الرحمن فهمى : خواطر سريعة ، جريدة الجمهورية ، القاهرة ، ٣٠ يناير ١٩٧٥ ..

٦ — عائشة راتب : برنامــج حــوار مفتوح ، التليفزيون المصرى ، ١٩٧٥/٣/١٤ ..

٧ — سهير القلماوى : برنامج اثنين على الهواء ، التليفزيون المصرى ، ١٩٧٥/٣/٥ ..

٨ — مى شاهين : فتش عن الام ، جريدة الأخبار ، القاهرة ، ١٩ يناير ١٩٧٥ .

١٩ — سيد عويس : المرأة كسلعة ، القاهرة ، مجلة الهلال ، العــدد الثالث ، السنة ٧٣ ، مارس ١٩٦٥ ..

١٠ — سيد عويس : هتاف الصامتين ، ظاهرة الكتابة عــلى هيــاكل المركبات فى المجتمع المصرى المعــاصر ، القــاهرة ، دار الطباعة الحــديثة ، ١٩٧١ ..

١١ — بيرم التونسى : ديوان بيرم التونسى بأجزائه الثلاثة ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٧٣ ، صفحات ١١ — ١٣ ..

٢ ـ مفهوم المرأة المصرية فى التراث الثقافى المصرى

لن أحاول أن أخوض فى محاولة لنتعرف على العوامل التى أوجدت نظرة الرجل المصرى المعاصر نحو المرأة المصرية فى الوقت الحاضر ، أكثر من ذلك ، أى أكثر مما قلته فيما سبق • فالكتاب الحالى كله يحاول أن يقول شيئا عن ذلك ، فضلا عن أن هذه العـــوامل عديدة • فهى عوامل ثقـــافيه واجتماعية واقتصادية وسياسية • ولكن نظرة الى العصور المصريه القديمة ، فى ضـــوء الرسوم التى تركت على القبور ، نلاحظ أن الحياة العائلية المصرية قد بلغت أكثر ما كان ينتظر لها من كمال ، فالمراة زوج الرجل وشريكته فى الحياة ، لها ما له من حقوق وعليها ما عليه من واجبات • وليس فيما صـــور المصريون القدامى من نواحى حياتهم ما يشير الى هضم حقوق المرأة المصرية أو الغض من قيمتها • وما بنا من حاجه الى الشك فى قيمة ما نرى لها من صور وآثار تشير الى مركزها فى الحياة ومكانتها فى المجتمع • فانا لنراها الى جانب زوجها فى جد الحياة ولهوها ، نراها وقد حنت عليه وانعطفت اليه ، حتى كادت أن تكون كلها حبا وحنانا ورحمة ، وانتشر من حولها أولادهما • وكان الأولاد فخـــر الأبوين وبهجة الدنيا وزينتها • وتشير ما حول صـــور المجتمع من نقوش ونصوص الى ما كان يسود جو الأسرة المصرية يومئذ من الحب الصادق والصفو والبر الخالص •

ولم تظهر العلاقة الزوجية كرباط مقدس وظـــاهرة اجتماعية مع بدء الأسرات ، بل لقد وصل الينا الكثـــير من النصوص ، بل والعقود المسجلة **من عصور ما قبل الأسرات •**

لقد وصل الينا الكثير من عقود الزواج وما ورد بها من نصوص تقليدية ، وتتشابه معظمها من حيث الصيغة ، منها على سبيل المثال ما ورد فى وثيقة ترجع الى الدولة الوسطى نصها :

« بما أن مشيئة الاله قد اقتضت أن يرتبط أحدنا بالآخر برباط الزواج المقدس الصحيح وفقا لتقاليد الرجل الحر والمرأة الفاضلة ، **وقد وافق كل منا بمحض ارادته وكامل تصرفه وحرية اختياره** •• لكى تجىء الى بيتى **كامرأة حرة** ، على أنى أقدرك **كأنك قطعة منى** فلا أقلل من شـــأنك ولا أهملك ولا أهجرك الا اذا اضطرنى سبب شرعى هام فاذا حدث ذلك فسأقوم باعطائك حقك الشرعى الذى أمر به الاله » ••

وفى بعض العقود كان ينص على ذلك التعويض نقدا أو عينا · ولم يكن المهر معروفا عند الفراعنـــة الا فى الاسرات المتـــأخرة وفى عهـــد الرومان والبطالسة ، بل كان ينص فى كثير من العقود أن المراة هى التى تدفع «دوطه» قصد بها أن الرجل لم يقم بشرائها بمائه وأنها مساويه له فى الحقوق التى نصت عليها الشريعة · أما تعدد الزوجات فقد اختلف المؤرخون فيه · وذكر « ولكنسون » أنه كان نادر الحصول لان القوانين المدنية قد قيدته الى درجـــة التحريم · وقد أجمعت وثائق الزواج التى أمكن الوصول اليهـــا ان الزواج الشرعى والقانونى قد قصر الزواج على زوجه واحدة ·

أما الطلاق فقد نظمته الشرائع المصرية القـــديمة ووضعت له شروطه وقيوده ومسئولياته وتبعاته كاملة ، كما أعطى لكل من الزوجين الحق فى طلب الطلاق اذا أخل الطرف الآخر بالشروط والتعاليم الواردة فى وثيقه الزواج · **وأقدم وثيقة طلاق فى العالم** وجدها البرفسور « فيشر » بين لفائف برديات حفريات طيبة ، ويرجع تاريخها الى الاسرة الرابعة ·

« لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج ·· ابحثى عن زوج غيرى لأننى لا أستطيع الوقوف الى جانبك فى أى منزل تذهبين اليه · ولا حق لى عليك من اليوم فصاعدا باعتبارك زوجة لى تنسب الى وشريكه لحياتى · اذهبى فى الحال بلا ابطاء أو تراخ » ··

(زوجك المطلق أمون حوتر)

(وكتب تحتها : كتبت بمعرفة « توت اسمن » كاتب السجلات ، وعلى ظهرها توقيع أربعه شهود وختم التسجيل)(١) ··

وفى ضوء هذا التاريخ المصرى القديم قدم الدهر ، نلاحظ أن المرأة فى مصر كانت مصدر الوحى ومبعث الجهاد الروحى ، حتى لقد جعلوا الالهـــة « معات » ، رمز العداله والبر والحق · وقد سجل لنا التاريخ أسماء الالهات والملكات والكاهنات · ولكن العظمة الروحية التى امتازت بها المرأة المصرية فى ذلك لا ترتكز على هؤلاء وحدهن ، فقد كن يؤلفن أقلية ، بل ترتكز فوق ذلك على أن المرأة كانت مسئولة عن أولادها أمام معلميهم ، **كما كانت مسئولة عن والديها فى شيخوختهما** ، فهى لم تكن مصـــدر الوحى فقط ، بل كانت حاملة الشعلة أيضا(٢) ··

وعندما اعتنق المصريون الديانة المسيحية ، ظلت المرأة مصدر الوحى ، وظلت حامله الشعلة · فقد روضت نفسها على السمو بأخلاقها وفضائلها ، حتى صارت نموذجا للوثنيين وقدوة مثلى اجتذبت هؤلاء الوثنيـــين الى دين

المسيح بطريقة معيشتها ، لأنها كرست حياتها للخدمة فى خشوع ، وواضعة نصب عينيها كلمة بولس الرسول : انتم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم · « وأية موافقة لهيكل الله مع الاوثان · فانكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله انى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم الهـا وهم يكونون لى شـعبا » (٢ كو ٦ : ١٦) ··

وكانت التعاليم التى تسلمها التلاميذ من السيد المسيح عن كـرامة الشخصية الانسانية تتردد على مسامع الشعب كل يوم اذ كان « اكليمنضس الاسكندرى » يعلن عظمة الزواج المسيحى فى محاضراته بالمدرسة السكندرية· وكان يبين لسامعيه كرامة هذا الزواج الذى **جعلت منه الكنيسة سرا مقدسا ورباطا روحيا** يعقده الكاهن بمقتضى ما ناله من سلطان تسلمه من الرسـل أنفسهم · ولقد أدركت المرأة المصرية **قدسية الامومة كمـا أدركت قدسية** الزواج تماما · فلم يعد للأم المسيحية شاغل الا العناية بأولادها والسهر على تربيتهم تربية تتفق والكمال المسيحى · ويذكر التاريخ سير الكثير من النساء اللواتى بلغن مكانة زوجية سامية ، كما يذكر بلاءهن فى أثناء المحن فى السر وفى العلن ، وما بذلنه من تضحيات وتحملنه من صنوف العذاب · واذا ما انتهت الاضطهادات وألوان الامتحانات ، كانت المرأة المصرية فى ذلك العصر تعود الى مزاولة أعمالها العادية · فالزوجة تنصرف الى بيتها ، والأم تعود الى تربية أولادها · والى جانب الزوجة والأم كانت توجد من وهبت حياتها لخدمة الله والناس ، واختـارت أن تكون راهبـة أو شـماسة أو كليهما فى آن واحد(٣) ··

والمتصفح للبشائر الأربع وبالتحديد مطلع الاصحاح الثامن من انجيل لوقا يجد :

« وعلى أثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن شفين من أرواح شريرة وأمراض · مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين · ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس وسوسنة وأخر كثيرات يخدمنه من أموالهن » ·
(لو ٨ : ١ — ٣)

ومن هذا النص يتضح أن من ضمن الذين كانوا يتبعون السيد المسيح جماعة من النساء يخدمنه من أموالهن ·· وقد شاركت النساء فى نشر الكرازة الى الدرجة التى كن يتبعن السيد المسيح حتى الى الصليب :

« وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللاتى كن يلطمن أيضا وينحن عليه · فالتفت اليهن يسوع وقال يابنات أورشليم لا تبكين على بل ابكين على

أنفسكم وعلى أولادكن • لأنه هو ذا أيام تأتى يقولون فيهـــا طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع » • (لو ٢٣ : ٢٧ ــ ٢٩) •

وعندما لم تكن الاديرة قد أنشئت فى القرنين الاولين للمسيحية ، لم يمنع ذلك الساعين نحو الكمال من الابتعاد عن العالم والاختلاء بالله • فسارع عدد من الرجال الى الصحراء ليحققوا نداء قلوبهم ، كذلك سعت النسوة الى الوحدة للتامل والعبـــادة ، فعاش بعضهن فى عزلة رغم أنهن لم يذهبن الى الصحراء • وان تاريخ الكنيسة القبطية ليزخر بسيرة الكثيرات من النسوة اللائى كرسن أنفسهن لله تعالى ، لانهن قدمن للشعب خدمات جليلة منها افتقاد اليتامى والارامل والغرباء والمسجونين(٤) •

والمتدبر فى آيات الكتاب المقدس يستخلص أن المرأة تكمل الرجل ، كما أن الرجل يكمل المرأة ، « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا وكشبهنا • فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الارض • فخلق الله الانسان على صورته • على صورة الله خلقه • **ذكـــرا أو أنثى خلقهم** » • (تك ١ : ٢٦ ــ ٢٧) •• و « قال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده • **فاصنع له معينا نظيره** » (تك ٢ : ١٨) • وليمعن القارىء فى كلمة « نظيره » ولعله ان يجد أنها تعنى « مساويا له » •• والتساوى لا يعنى بالضرورة التطابق • فلم تخلق المرأة لتكون صورة طبق الاصل من الرجل • فلدى كل منهما صفات وقدرات أبرز من الاخر • « والمجتمع السعيد هو الذى يدرك أوجه الاختلاف بين المـــرأة والرجل • وفى نفس الوقت يعترف بتساويهما فى المكانة والقدرة العقلية ، فيتيح لكل منهما الفرص لانماء طاقاته واستخدامها فى خدمة البشرية » • « غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجـــل فى الرب • **لأنه كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة** • ولكن جميع الأشياء من الله » (١ كو ١١ : ١٢) •

والملاحظ أننا نجد أن تعاليم الديانة المسيحية ترى أن المرأة شريكة حياة زوجها ، وهى نصفه الثانى، وقد صارت برباط الزيجه المقدس ــ **جسدا واحدا** مع زوجها • وهى مساوية للرجل فى كرامتها الانسانية ••

لذلك يجب على الرجل أن يحب زوجته ، وأن يحترمها ، ويعمل عـــلى ارضائها كانسانة لها حقوقها ، وكزميلة فى رحلة الحياة ••

ويقول الانبا غريغوريوس أسقف الثقـــافة القبطيـــة والبحث العلمى « فنحن لا نقر بضرب الزوجة من حيث المبدأ ، ولا نقر أن تساء معاملتها أو

أن تهان كرامتها الانسانية ٠٠ على أنه اذا كانت الزوجة ناشزا ، ولم تكن مطيعه لزوجها ، كما يطلب الكتاب المقدس الذى يجعل الرجل رأسا للمرأة ، ولم ترع المرأة قدسية الحياة الزوجية ، أو اذا أساءت التصرف بما يسيء الى سمعة زوجها وسمعتها ، ففى هذه الحالة **يجوز للرجل تاديبها** كما يؤدب الاب ابنه أو ابنته ، خاصة أن الرجل عادة يكبر المرأة سنا ، فضلا عن أنه سيد البيت ، ورب الأسرة ، ورأس المرأة ٠٠

بيد أن التأديب ليس معناه أن يقسو الرجل على زوجته أو يغدر بها ، أو يضربها ضربا شديدا يحدث عاهه ، بل ينبغى ان يكون بهدف الاصـــلاح والتقويم ، لا بهدف الانتقام والايذاء والاضرار »(٥) ٠٠

« أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب ٠ لان الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسه ٠٠٠٠ أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ٠٠٠٠ كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم ٠٠ من يحب امرأته يحب نفسه ٠٠٠٠ من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمرأته **ويكون الاثنان جسدا واحدا** ٠٠٠ وأما أنتم الافراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المـــرأة فلتهب رجلها » ٠

(١ ف ٥ : ٢٢ ـ ٣٣)

والملاحظ أن ظاهرة « الحريم » ، كما سبق أن أوضحنا ، كانت متفشية فى المجتمع المصرى الى عهد غير بعيد ٠ وهى ظاهرة كانت ترمز الى المدى الذى وصلت اليه نوعية انحطاط مكانة المرأة المصرية فى ذلك العهد ٠ وهى نوعية تأباها النفس الشريفة ، وتبين فى وضوح استغلال الانسان لاخيه الانسان أو استغلال الرجل للمرأة ، أى استغلال نصف المجتمع لنصفه الآخر ٠ وقد وجدت ظاهرة « الحريم » فى مجتمعنا **على الرغم من القيم الاجتماعية النظرية التى كان الدين الاسلامى ، دين المجتمع السائد ، ولا يزال ، يدعو اليها عندما يتحدث عن المرأة ٠٠** » ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزاوجـــا لتسكنوا اليها وجعل من بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٠٠ (٣٠ ك الروم : ٢١) ٠٠

والدين الاسلامى ، كما هو معروف ، هو دين الثورة على وأد البنات ٠ ومن تعاليمه ، مشروعية الزواج ، فالزواج فرض عين على كل مسلم قادر ٠ **ومن تعاليمه ايضا ان اعتبر النساء شقائق الرجال** ، « يا أيهـا النـــاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » (٤ م النساء : ١) ، وان جعل للزوجة على زوجها حقوقا · فمن حق المرأة ان تختار زوجها ، وأنها بزواجها لا تفقد اسمها ولا شخصيتها المدنيـــة ولا اهليتها فى التعاقد ولا حقها فى التملكيه ولا يضيع من استقلالها المالى شيء · ومن حقوق المرأة على زوجها العشرة بالمعروف والعدل وحقوقها الجنسية · ومن حق الزوجة على زوجها الانفاق عليها · واخيرا وليس آخرا من حق الزوجة على زوجها أن يقدم لها مهرا · ومن تعاليم هذا الدين أيضا ، ان جعل للزوج حقوقا على زوجته · ومن حقوق الزوج على زوجته الطاعة والقوامة عـــلى الاسرة · وتكون هذه القوامة بالضرورة محدودة · ومن حقوق الزوج على زوجته تدبير البيت وصيانته والطلاق عند الضرورة وتعدد الزوجات بشروط · وأخـــيرا وليس آخرا من حق الزوج على الزوجة التهذيب عند العصيان ! « استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم لستم تملكون منهن شيئا غـــير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، الا أن لكم على نسائكم حقـــا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » (حديث نبوى ، أخرجه الترمذى) ·

وعلى الرغم من أن الاختلاف الكبير على تفسير هذه التعاليم الاسلامية ، فهى تعاليم تسندها قيم اجتماعية تأبى بالضرورة وجود ظاهرة مثل ظاهـــرة « الحريم » مثلا · ولكن هذه القيم الاجتماعية نظرية ، والتعاليم التى تسندها القيم الاجتماعية النظرية شيء وممارسة هذه التعاليم فى الواقع الاجتماعى الحى شيء آخر(٦) ··

وفى مصر القديمة ، نلاحظ أنه ليست هناك ناحية من نواحى الحيـــاة العائلية المصرية تعطى أجمل ولا أروع من العلاقة بين الابوين وأبنـــائهم ، وبخاصة العلاقة التى يكون طرفها «الأم » · فنجد الحكيم القـــديم « آنى » يقول :

« يجب عليك أن لا تنسى أمك وكل ما عملته من أجلك ، فاذا نسيتها فانها تستطيع أن تلومك ، وترفع أذرعهـــا الى الله فيســـتمع لندائهـــا فهى قد حملتك طويلا تحت القلب عبئا ثقيلا ، وبعد أن انتهت شــــهورك وولدت حملتك ·· وكان ثديها طوال ثلاث سنوات فى فمك ، وهكذا ربتك وأنشأتك دون أن تشمئز من قذارتك ، وبعد أن دخلت المدرسة لكى تأخـــذ

دروسا فى الكتابة بقيت ترعاك كل يوم بالخبز والجعة من بيتها » ٠

وكان التقدير الذى يضمره الابن لامه من عظم الشأن بحيث نجد كثيرا **فى منابر الدولة القديمة** أم المتوفى فى العادة ممثلة الى جانب زوجته ، على حين تهمل صورة والده فى أغلب الاحيان ٠ ولما كان يذكر على ألواح المقابر نسب المتوفى من جهة أمه غالبا **وليس من جهة أبيه ، فان هذه العادة تكون على التحقيق بقية من بقايا تلك العصور التى كان يقام فيها وزن لنسب الأم** باعتباره هو وحده الأكيد وليس نسب الأب ٠ ولعل ذلك هو سبب تصوير الأم ، كما ذكرنا فيما سبق ، على جدران المقبرة ، ومن هنا **نرى فى الـــدولة الوسطى** أشخاصا يتسمون على سبيل المثال » نزميو سنبى « (Nezemu-Senbi) المولود من « سيت حتحور » (Sit-Hathor) ، أو « أنحور » (Anhôr) المولود من « نب أونت » (Neb-Onet) ، أو « ردى سبك » (Redi-Sobk) المولود من « سنت » (Sent) ٠٠٠

وفى عصر الدولة الوسطى ، كان نظام التوريث فى أسرات النبلاء يأتى عن طريق النساء الأمهات لا الذكور الآباء ٠ فلم يكن الابن هو الذى يرث وانما يرث ابن كبرى البنات ٠ وكانت هذه العادة الاجتماعية ثابتة قوية اختلطت بلحم الشعب ودمه حتى أن « **والد أمه** » كان لا يزال يعتبر فى عصر الأسرة التاسعة عشرة وصيا على الشاب الناشىء » (٧) ٠

واستمرت مكانة « الأم » مرتفعة فى ضوء التراث الثقافى المسيحى عندما دخلت المسيحية الى مصر ، أى منذ « اينانوس » المصرى أول أسقف مصرى كرسه « مرقص » فى عام ٦٤ ميلادية ٠ ولنستمع لآيات الكتاب المقدس فيما يقوله وتترنم به عن الأمهات :

ــ فهى تقول عن محبتهن :

« هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك » (١ ش ٤٩ : ١٥) ٠ ٠

و « كانسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا ٠٠٠٠ » (أ ش ٦٦ : ١٣) ٠٠

ــ وعن الواجبات لهن تتلألأ هذه الآيات :

« أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك عـــلى الأرض التى يعطيك الرب الهك » ٠ (خر ٢٠ ــ ١٢) ٠٠

و « اسمع يابنى تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك ، لانهما اكليل نعمة لراسك وقلائد لعنقك » ٠ (أم ١ : ٨) ٠٠

و « المخرب أباه والطارد أمه هو ابن مخز ومخجل » ٠ (أم ١٩ : ٢٦)

و « اسمع لابيك الذى ولدك ولا تحتقر أمك اذا شاخت » ٠ (أم ٢٣ : ٢٢) ٠

و « أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق ٠ أكرم أباك وأمك التى هى أول وصية بوعد ٠ لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض » (أ ف ٦ : ١ ــ ٣) ٠٠

ــ ومن آيات الكتاب المقدس عن اعتناء الله بالأمهات ، نجد :

« من اله أبيك الذى يعينك ومن القادر على كل شىء الذى يباركك تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم» ٠٠ (تك ٤٩ : ٢٥) ٠٠

و « واذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة » ٠ (خر ٢١ : ٢٢) ٠

و « ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزينتك ونتاج بقرك وأناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أنه يعطيك اياها » ٠ (تث ٧ : ١٣) ٠٠

و « ولكنها ستخلص بولادة الأولاد أن ثبتن فى الايمان والمحبة والقداسة مع التعقل » ٠ (اتى ٢ : ١٥) ٠٠

وقد نالت الام تقديرها فى الاسلام ٠ فالأم المصرية المسلمة فى ضوء تعاليم هذا الدين الحنيف لها مكانة عالية ، ورد ذلك فى القرآن الكريم ، كما ورد ذلك فى الاحاديث النبوية الشريفة ٠ ولم يجد الاسلام مثل المسيحية شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء ٠٠ لأن مصر كانت تعرف كما سبق أن أوضحنا مكانة الام وعلو قدرها ٠٠ ومن ثم تقبل المصريون تعاليم الدين الاسلامى الحنيف فيما يتعلق بمكانة الأم العالية وكرامتها قبولا حسنا ٠٠ وأكدت هذه التعاليم هذه المكانة العالية فى نفوس المصريين ، كما أكدت استمرارها وأصالتها ٠ ويؤكد ذلك ما تقوله الآية القرآنية على لسان السيد المسيح :

« قال انى عبد الله ، آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » ‥ (١٩ ك مريم : ٣٠ ــ ٣٢) ‥

ــ كما تؤكد الآيات القرآنية الأخرى هذه المعانى ، فنجد مثلا الآيات التى تحث على معاملة الوالدين وبخاصة الأم معاملة حسنة وتبرير ذلك فيما يلى :

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون » ٠ (٢ م البقرة : ٨٣) ٠

و « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب أرحمهما كما ربيانى صغيرا » (١٧ ك الاسراء : ٢٣ ــ ٢٤) ‥

و « ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » ٠ (٣١ ك لقمان ٠ ١٤ ــ ١٥) ٠

و « ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين » (٤٦ م الأحقاف : ١٥) ‥

والأحاديث النبوية التى تتلألأ بالحض على معاملة الوالدين وبخاصة معاملة الأم ، عديدة جدا ٠ وفى ضوء هذه الأحاديث ، نجد أن بر الوالدين هو سبيل السعادة وأن مكانة الأم تسبق مكانة الأب فى بعض الأحيان ‥

ومن ذلك نجد ما يلى :

« وفى الصحيحين عن حديث أبى هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ٠ أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك (لفظ مسلم) ‥

و « من حديث أنس : أتى رجـــل رسول الله صلى الله عليــــه وسلم فقال : انى اشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . قال : هل بقى من والديك أحد ، قال أمى ، قال قابل الله فى برها ، فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد »
(اسناد حسن)(٨) ..

و « عن ابن عمر رضى الله عنهما قا ل: قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتىأواهم المبيت الى غار فدخلوا فيه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا أنه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم .. فقال أحدهم :

« اللهم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت أرعى عليهما ، ولا أغبق قبلهما (الغبوق شرب آخر النهار) أهلا أو ولدا ، وأنه نأى بى طلب الشجر يوما ولم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهمــــا غبوقهما فوجدتهما قد ناما ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو ولدا ، وكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون (أى يضجون ويصيحون من الجوع) عند قدمى ، والقـــدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ..

وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم هى أحب الناس الى فأردتها على نفسها (أى راودتها وطلبت منها أن تمكننى من نفسها) فامتنعت منىحتى ألمت بها سنة من السنين (أى أصابها الجدب) فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت : لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى وتركت الذهب ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير أنهم لم يستطيعوا الخروج ..

فقال الثالث : الحديث الى قوله ــ فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون .. (أخرجه الشيخان وأبو داود ، ورداه الى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة باختصار »(٩) ..

وفى ضوء التراث الثقافى المصرى ، نجد أن المرأة وبخاصة التى تؤدى دورها كأم ، كانت لها حقوق فى الأسرة معترف بها، وكانت مكانتها الاجتماعية

عالية ، وكرامتها محفوظة ٠٠ حدث ذلك فى العهد المصرى القديم ، وفى ظل تعاليم الديانة المسيحية وتعاليم الديانة الاسلامية على السواء ٠٠ ويؤكد كل ما قيل عن الأم ، الأمثـــلة الشعبية التى يحفظهـــا المصريون المعـــاصرون ، ويذكرونها حتى الآن ٠ ومنها على سبيل المثال ، كما أكدنا قبل ذلك ، « اللى بلا أم حالة يغم » ٠ و « الأم تعشش والأب يطفش » ٠٠

المراجع والتعليقات

١ ـ أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ ، صفحتا ١٩٤ ـ ١٩٥ ٠

أنظر أيضا : سيد كريم : المرأة المصريه فى عهد الفراعنة ، القاهرة ، مجلة الهلال ، العدد الثامن ، السنة ٨٤ ، أغسطس ١٩٧٦) ٠

٢ ـ محمد صقر خفاجة : هيردوت يتحدث عن مصر ، مراجعة أحمد بدوى ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٩ ٠٠

وأنظر أيضا :

مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، صفحة ١٦٥ ٠٠

٣ ـ حضارة مصر فى العصر القبطى ، صفحات ١٦٥ ـ ١٦٩ ٠٠

٤ ـ ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، ١٩٥٨ ، صفحة ٢٩٣ ٠٠

٥ ـ أديب نجيب سلامه : لقاء مع الدكتور مارى مسعود ، القاهرة ، جريدة ميساجى ، السنة ١٧ ، العدد ٨٧٢ ، ١٩٧٥/٩/١٤ ٠٠

وأنظر أيضا :

سمير عبد القادر : ضرب الزوجات أمام مجلس العموم ، القاهرة ، جريدة الاخبار ، ١٩٧٥/٩/٢٥) ٠

٦ ـ سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحتا ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ٠٠

(وأنظر أيضا) : صديق حسن خان : حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة ، القاهرة ، مطبعة الامام ، صفحة ١٦٢ ٠

٧ ـ أدولف أرمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية صفحتا ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠٠

٨ ـ الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، القاهرة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ، صفحتا ٢١٦ ـ ٢١٧ ٠٠

٩ ـ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة ، صفحتا ٢١٧ ـ ٢١٨ ٠٠

٣ – مفهوم الطفل في المجتمع المصرى

ان الشعب المصرى على مر العصور والأزمان يرحب بالأطفال • وعند ولادة الطفل العادى فى المجتمع المصرى المعاصر ، يفرح الجميع • يفرح الأهل والأقارب والأباعد ، كما يفرح الغرباء ، على السواء • ان الأم الوالدة تصبح شخصا آخر ، لقد قامت بالمعجزة ، صنعت مخلوقا منها وهى مخلوق أصلا • فالرعاية وبخاصة فى أيام ولادتها الأولى تكون من حظها ونصيبها • والطفل المولود يراه الجميع وكأنه ملك لهم يرعونه ويصفون له ما ييسر أن يسير فى خطاه ويبدا نحو حياة أرحب • جميع الأعضاء يفعلون ذلك • الأطفال الصــــغار والأشخاص الكبار على السواء • ويبدو أن ذلك مرجعه ، أولا وأخيرا ، الى ما يحفظه الملايين من المصريين المعاصرين فى أعماق قلوبهم من المــاضى السحيق ، منذ آلاف السنين ، من تراث انسانى انبثق من المجتمع المصرى القديم قدم الدهر ، واستمر حتى وقتنا الراهن ••

فقد حفظ هذا التراث تعاليم آتون منذ نحو ٣٥٠٠ عام ، اذ تقـــول انشودة « خلق الانسان » :

« أنت خالق الجرثومة فى المــــرأة »
« والذى درأ من البذرة أناسا »
« وجاعل الولد يعيش فى بطن أمــــه »
« ومهدئا اياه حتى لا يبكى »
« مرضعا اياه حتى فى الرحم »
« وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل انسان خلقته »
« وحينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته »
« فأنت تفتح فمه كليــــة »
« وتمنحه ضروريات الحيــــاة »(١) ••

وقد حفظ هذا التراث قبل ذلك منــــذ أوائل الأسرة الثــــامنة عشرة (حوالى ١٥٧٠ قبل الميلاد) أهم وثيقة وصلت الينا من العــــالم القديم عن مقدار ما كان عليه الانسان المصرى من رقى من الوجهة الخلقية • فقد كان هذا المصرى العريق الأصيل يؤمن بمفهوم اليوم الآخـــر ، ويرى أن عـــلى روح المتوفى قبل الوصول الى جنــــة « أوزيريس » أن يعبر طريقا شاقا تكتنفــه المخاطر • وعند وصول الروح الى « مملكة » أوزيريس فلا يعنى هذا انتهاء الرحلة • فقد كان على هذا الروح قبل أن يشارك السعداء الآخرين الذين سبقوه الى الجنة ، أن يمر بامتحان قاسى أمام اله الآخرة أوزيريس • ونعنى

بذلك أنه كان لابد أن يحاكم أمام محكمة العدل فى الآخرة عن كل أعماله فى عالم الدنيا ..

يقول روح المتوفى عند الوصول الى « قاعة الصدق » موجها نظره الى الاله :

« سلام عليك أيها الاله العظيم رب الصدق ، لقد أتيت اليك يا الهى وجىء بى الى هنا حتى أرى جمالك . انى أعرف اسمك ، وأعرف أسـماء الاثنين والاربعين الها الذين معك فى قاعة الصدق هذه . وهم الذين يعيشون على الخاطئين ، ويلتهمون دماءهم ، فى ذلك اليوم الذى تمتحن فيه الاخـلاق أمام « وسىر » (أوزيريس) » ..

ثم يأتى المتوفى ، بعد ذلك ، يعدد الخطـايا التى لم يرتكبها . وهى عديدة تمس الناس الذين عاش معهم المتوفى قبل أن يموت ، على اختـلاف مكاناتهم الاجتماعيه ، وعلى تباين أعمارهم وأنواعهم ، فهو لم يرتكب ضـد الناس ايه خطيئه ، بل هو لم يعرف أية خطيئه ، ولم يرتكب اى شىء خبيث ، ولم يبلغ ضد خادم سرا الى سيده ، ولم يتسبب فى ابكاء أى انسان .. الخ ، حتى يقول : و « انى لم اغتصب لبنا من فم طفل »(٢) ..

منذ آلاف السنين ، منذ الماضى السحيق ، حفظ تراثنا الثقافى الاجتماعى المصرى القديم حتى الآن هذا الدستور الرائع الذى يحرص على حماية الطفل ووقايته وعدم اغتصاب حقوقه . وقد حفظ هذا التراث ، أيضا ، الاهتمام بتربيه الطفل وتنشئته . ويستخدم فى ذلك الاساليب التربوية التى تتفق وسن الطفل والتى تهدف الى بذر بذور الأخلاق العالية والحكمة الى درجة أن الوالد اذا أراد أن يخفف من صرامة الفاظ نصائحه لولده ، مثلا ، تراه يتلاعب فى كلمة « يسمع » ، اذ يقول له ان الابن الذى يسمع مناديا كلام من هم أسن منه سيصبح فى يوم من الأيام قاضيا يسمع القضايا :

« ان السمع مفيد للابن الذى يسمع
فاذا دخل السمع فى (أذن) من يسمع ،
فيصبح السامع شخصا يسمع ..
ان السمع طيب . والقول طيب .. ولكن للسامع
ميزة لان السمع مفيد للسامع ، والسمع خير من
كل شىء »(٣) .

وقد حفظ التراث الثقافى الاجتماعى المصرى (الانسانى) ، ولا يزال فى بعض أجزائه منذ أن بشر « مرقص » بالديانة المسيحية بالاسكندرية ،

ثم كوس « ايناپوس » المصرى اسقفا عام ٦٤ ميلادية — أروع ما يتصل بحقوق الطفل ٠ فآيات الكتاب المقدس تتلألأ بمعانى هذه الحقوق وتنشر نورها فى أعماق قلوب المصريين المسيحيين منذ ذلك التاريخ ، وحتى الآن(٤) ٠٠

— فعلى الوالدين أن يقبلوا أولادهم من الله :

« ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال ما هؤلاء منك ٠٠
فقال الاولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك » ٠٠
(تك ٣٣ : ٥)

و « لأجل هذا الصبى صليت فأعطانى الرب سؤلى الذى سألته من لدنه » ٠٠ (١ صم ١ : ٢٧)

و « هو ذا البنون ميراث من عند الرب ثمرة البطن أجرة » ٠٠
(مز١٢٧ : ٣)

و « وقال الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » ٠٠ (مت ١٨ : ٣)

— وعلى الوالدين أن يحبوا أولادهم :

« يدبر بيته حسنا له أولاد فى الخضوع بكل وقار » ٠٠
(١ تى ٣ : ٤)

— وعلى الوالدين أن يأتوا بأولادهم الى المسيح :

« حينئذ قدم اليه أولاده لكى يضع يديه عليهم ويصـــلى ، فانتهرهم التلاميذ ٠ أما يسوع فقال دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السماء » ٠٠ (مت ١٩ : ١٣ و١٤)

— وعلى الوالدين أن يربوا أولادهم بتأديب الرب :

« رب الولد فى طريقه فمتى شاخ أيضا لا يحيد عنه » ٠٠
(أم ٢٢ : ٦)

و « وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكـــم بل ربوهم بتـــأديب الرب وانذاره » ٠٠ (أف ٦ : ٤)

— وعلى الوالدين أن يعلموا أولادهم كلام الله ، وأن يخبروهم أحـــكام الله ، وأن يخبروهم عن أعمال الله العجيبة ، وأن يأمروهم حتى يطيعوا الله :

« انما احترزوا حفظ نفسك جدا لئلا تنسى الأمور التى أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلمها أولادك وأولاد أولادك » ٠
(تث ٤ : ٩)

و « وعلموها أولادكم متكلمين بها حين تجلسون فى بيوتكم وحين تمشون فى الطريق وحين تنامون وحين تقومون » (تث ١١ : ١٩)

و « أخبروا بنيكم عنه وبنوكم بنيهم وبنوهم دورا آخر » ..
(يؤ ١ : ٣)

و « ولكى تخبر فى مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلته فى مصر وبآياتى التى صنعتها بينهم فتعلمون أنى أنا الرب » (خر ١٠ : ٢)

و « قال لهم وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التى أنا أشهد عليكم بها اليوم لكى توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » . . (تث ٣٢ : ٤٦)

– وعلى الوالدين أن يباركوا أولادهم ، وأن يترأفوا عليهم ، وأن يهتموا فى أمر خلاصهم ، وأن يعولوهم ، وأن يدبروهم ، وأن يؤدبوهم :

« وبارك يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبواى ابراهيم واسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى الى اليوم » .. (تك ٤٨ : ١٥) ..

و « كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه » . .
(مز ١٠٣ : ١٣) ..

و « فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال قوموا اخرجوا من هذا المكان . لان الرب مهلك المدينة ، فكان كمازح فى أعين أصهاره » ..
(تك ١٩ : ١٤)

و « فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزا فيعيه حجرا ؟ أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة ؟ » (لو ١١ : ١١) ..

و « وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسنا » .. (١ تى ٣ : ١٢)

و « من يمنع عصاه يمقت ابنه ومن أحبه يطلب له التأديب » ..
(أم ١٣ : ٢٤)

و « أدب ابنك لأن فيه رجاء ولكن على أمانته لا تحمل نفسك » ..
(أم ١٩ : ١٨)

ومنذ أن غزا أرض مصرنا الخالدة جيش عمرو بن العاص ، تعطر مناخ المجتمع المصرى الثقافى الاجتماعى بتعاليم الديانة الاسلامية . وقد حفظ التراث الثقافى الاجتماعى المصرى هدى هذه التعاليم فيما يتعلق بالاهتمام بالطفل . نجد ذلك فى الآيات القرآنية التى تزهو بمعانى هذا الاهتمام وتنشر

شذاها ·· ونجد ذلك أيضا فى أحاديث رسول الاسلام وتعاليمه عليه الصلاة والسلام ·· وليمعن القارىء فيما يلى من الآيات :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » · (١٨ ك الكهف : ٤٦) ·

و « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » ·· (٢ م البقرة : ٢٣٣) ·

و « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » ·· (٤ م النساء : ١٠) ·

و « وكذلك زين لكثير من المشركين قتـــل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون » ·
(٦ ك الانعام : ١٣٧)

و « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » ·· (٦ م الانعام : ١٥١)

و « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا » ·· (١٧ ك الاسراء : ٣١) ·

و « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم · يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » ·· (١٦ ك النحل : ٥٨ ـ ٥٩) ·

و « واذا الموؤدة سئلت · بأى ذنب قتلت » ·· (٨١ ك التـــكوير : ٨ ـ ٩) ·

وقد تضمنت أحاديث نبى الاسلام حقوق الوالدين فى بر أبنائهما بهما، وطلب اعانة الوالد ولده على بره · وأكدت هذه الأحاديث **المساواة بين الأولاد** فى العطية · وأبانت هذه الأحاديث حقوق الطفل منذ ولادته حيث يعق عنه



يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى ، فاذا بلغ ست سنين أدب ، فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه ، فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة ..

وذكرت هذه الأحاديث أن من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه ، ونصحت بالرفق بالولد والبر به وتعليمه ..

وقد أكد أكثر العلماء المسلمين على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض . ويرى الأحنف بن قيس أن الأولاد « ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فان طلبوا فأعطهم ، وان غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك »(٥) . .

وقد وضع الشارع الاسلامى الأحكام التنظيمية لحياة الأطفال ، وجعل مصلحة الصغير فى المقدمة . وجعل العناية بالاولاد تعدل فى الطاعات الجهاد فى سبيل الله . ومن عناية الشارع الاسلامى بالطفولة ان رد لها حقوقا كثيرة، منها حق الطفل فى اكتساب جنسية الأب بقاء على حق الدم ، وتبعته فى طفولته لخير الابوين دينا ، وثبوت نسبته وحقه فى الارضاع والحضانة والرعاية والانفاق عليه ... ونلاحظ أن الشارع الاسلامى ابت على الاولاد ولايات ثلاث منذ ولادتهم :

- ولاية التربية والرعاية ،
- والولاية على أنفسهم ،
- والولاية على أموالهم ..

وقد عالج فقهاء الاسلام كل هذه النواحى واتجهوا فى ذلك اتجاهات مختلفة تبعا لاختلاف مناهجهم الاجتهادية ، وتأثرهم بالبيئات المختلفة التى عاشوا فيها وتأثروا بها(٦) .

وفى ضوء ما سبق ، وغيره(٧) ، نجد فى وضوح ويسر ، أن انجاب الاطفال فى الأسرة التناسلية المصرية (أسرة الزوج والزوجة وأبنائهما) فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى مطلب ضرورى للغاية ... نلاحظ ذلك فى الريف وفى الحضر على السواء .. كما نلاحظه عند أعضاء المجتمع على اختلاف الثقافات والمستويات الاجتماعية والاقتصادية على السواء أيضا . فالاطفال عند المصريين كانوا ولا يزالون زينة الحياة الدنيا ... ويعتبر كل واحد منهم « ضنا » كل من الام والاب ... ومن ثم نرى الحفاوة بمقدمهم

في مجتمعنا ابتداء من الحمل (الحرص على الحامل من الحسد مثلا ، والحرص على استكمال نمو الجنين في أثناء هذه الفترة) وحتى الولادة(٨) (يلاحظ ارتفاع مكانة « الداية » وبخاصـــة في الريف المصرى ، وكثرة الطقوس المتعلقـة بالولادة) ، وما بعد الولادة (المشاهرة وطقوس السبوع والختان وغيرها)(٩) ـ أقرب الى أن تكون حفاوة مقدسة ٠٠

وفى مجتمعنا نلاحظ أن انجاب الأطفال يدل على رجولة الزوج ، «فاللى يختشى من بنت عمه ما يخلفش منها غلام » (مثل شعبى مصرى) ، كما يدل على أنوثة الزوجة ، وقدرتها على الانجاب ٠٠ فالانجاب يكسب الزوج مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأب ٠٠ ويترتب عـــلى ذلك حقوق وواجبـــات جديدة ٠٠٠ وهو يكسب الزوجـــة مكانة اجتمـــاعية جـــديدة هى مكانة الأم ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة ٠ والملاحظ كما سبق أن أوضحنا ان مكانة الأم فى مجتمعنا مكانة رفيعة جدا منذ آلاف السنين عبر العصور والأزمان وحتى وقتنا الحاضر ٠٠ واذا كان المجتمع المصرى المعاصر يتسع للرجل غير القادر على الانجاب ويقبله ، فان المرأة العـــاقر لا مكانة اجتماعية مرموقه لها فى هذا المجتمع ٠٠٠ ومن الدعوات الشائعة نجد أنه عندما يتزوج رجل من زوجة ثانية ، تدعو الزوجة الاولى على الثانية دعوات تتصل عادة بعدم انجاب الاطفال :

« لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها » ٠٠

و « كل من قطعنى من زوجى أقطعها من ولدها ، واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها »(١٠) ٠

ونلاحظ الاهتمام البالغ بانجاب الأطفال حتى يومنا هذا فى محيط فئات المجتمع المعاصر وطبقاته عندما يتزوج أحدهم ومرت فترة ولم ينجب ، نلاحظ التساؤلات من الأقارب المقربين وغير المقربين ومن الغرباء عن هـــذا الحدث المتوقع ٠ ترى هؤلاء جميعا يتساءلون السؤال التقليدى « مافيش حاجة جيا فى السكة ؟ » ٠ ولا يعتبر أحد هذا السؤال الفضولى أمرا معيبا ٠

وقد لا يكتفى الكثير من الاسر المصرية المعاصرة بالعدد المنـــاسب من الأطفال ، ولكنهم يهتمون بالكثرة منهم ٠٠ وقد يرجع ذلك الى بعض العوامل، منها :

ـ ان الاطفال فى نظر الأسر المصرية وبخاصة فى الريف ، هم أدوات انتاج ٠٠ ومن ثم فان كثرتهم مطلوبة ٠٠



- ان الاطفال هم رجال ونساء المستقبل ٠ وهم فى نظر آباء هـــذه الأسر وأمهاتها عبارة عن اســــتثمارات يتوقعون الاســـتفادة من عائدها فى المستقبل ٠٠

- ان كبر حجم الأسرة المصرية الريفية يؤكد ارتفاع مكانتها اجتماعيـا حيث قيمة « العصبية » أو « العزوة » لا تزال موجودة فى الريف بخاصة ٠٠

- ان كبر حجم الأسرة المصرية الريفية يستمد وجوده من قيمة الـكم (أو قيمه المظهرية) السائدة فى المجتمع الريفى ، حيث نجد أن « كبر الجرن ولا شماتة الاعداء » و « امش على عدوك معرش ولا تمشيش مكرش » و « لبس البوصه تبقى عروسة » ٠٠٠ الخ (أمثلة شعبية مصرية) ٠

- ان الانجاب المتكرر يؤكد فحولة الرجل الاب ، كما يؤكد شباب المرأة الام ٠٠

- ان كثرة الاطفال ترجع الى مشيئة الله عز وجل ، والى حكمته ٠ وان أرزاقهم عند الله مكفولة « وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا وامـــلأوا الأرض ، واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض » ٠٠ (تك ١ : ٢٨) ٠

و « وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ٠٠ (٩ م النوبة : ٥١) ٠

و « ولا تقتلوا أولادكم من امـــلاق نحن نرزقكم واياهم » ٠٠ (٦ ك الانعام : ١٥١) ٠

و « من كان رزقة على الله فلا يحزن » (قـــول مأثور) ، والله يرزق « الدودة بين حجرين » و « ما تعتل هم الا وربك أتم » ، وبيت الفقير مليان اعزن » (أمثلة شعبية مصرية) ٠

- ان كثرة الاطفال ضمان لاستقرار الزوجة الأم (أى عدم طلاقها أو الانفصال عنها أو الزواج من أخرى) فى أسرتها التناسلية ٠٠

- ان شبح الموت مقلق للمصريين ومخيف ومكروه ٠ فان نسبة كبيرة من المصريين اذا كانوا لا يخشون الموتى فانهم يخشون الموت ويكرهونه(١١) ٠٠ واذا كان « الموت علينا حق » وان « اللى متغطى بالدنيـــا عريان » فان « الحى أفضل من الميت » ٠٠ (أمثلة شعبية مصرية) ٠

والموت قد يتخطف الأطفال ، ولعل كثرة انجابهم أن تكون احـــدى الوسائل لغلبته ٠٠

المراجع والتعليقات

١ — جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ ، صفحتا ٣٠٣ — ٣٠٤ ٠

٢ — سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القـــاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٧١ — ٧٣ ٠

٣ — جون ولسون : الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٥ ، صفحة ٢٥٣ ٠

وقد يرى البعض أن الحض على « السمع » وهو مجرد قيمة ثقافيـة قديمة قد جعل من المصريين أشخاصا سلبيين ، أى أنهم اذ يواجهـون الظلم أو الملمات يؤثرون السمع والصمت على القيام ما وسعهم بدفع هذا الظلم وصد هذه الملمات ٠ وأنا لا أرى هذا الرأى لأنه يتنافى مع الأسلوب العلمى ، فهو يعتمد على عامل واحد ولا يأخذ فى الاعتبار العوامل الأخرى ، مثل العوامل التاريخيـــة والسياسية فضلا عن الاجتماعية والاقتصادية ٠ وبالاضافة الى ذلك فانه من المعلوم أن السمع لا يمكن أن يكون شرا مطلقا ٠

٤ — الأسقف ايسوذورس : « الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة » ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، عين شمس ، ١٩٢٣ ، صفحتا ٦١ — ٦٢ ٠

٥ — الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، صفحات ٢١٦ — ٢١٩ ٠

٦ — محمد سلام مدكور : بحث احتياجات الطفولة فى ج٠ع٠م٠ ، دراسة غير منشورة ٠

٧ — ان الأمثلة الشعبية والأقوال المأثورة التى تتعلق بالأطفال فى مجتمعنا المصرى المعاصر عديدة ٠ ولعل سرد بعضها يفسر الاهتمام بهم ورعايتهم وتربيتهم والأخذ بيدهم وحبهم والعبء الجسيم الذى تتحمله الاسرة فى سبيلهم ، وربما التضحية بهم فى بعض الأحيان ٠٠ ومن هذه الأمثلة والأقوال نجد ما يلى :

— الصبى يمنع العدو (أى يمنع الأقارب غير المقربين من الميراث) ٠٠
— الطفل زينة الحياة ٠٠
— الطفل حبيب الله ٠٠
— أعز الولد ولد الولد ٠٠

- الطفل الصالح نعمة من الله (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقه جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) .

(حديث نبوى)

رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة (أنظر السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، الطبعة الثانية، صفحة ١٧٣) ..

- لبسى ابنك خلاخيل فى رجله يحفظه من العين ..
- وضع الخمسة وخميسة على صدر العيل يحفظه من الحسد ..
- دقى لابنك علشان يعيش ..
- تخريم ودن العيل يخليه يعيش ..
- لبسى حلق فى ودن ابنك علشان يعيش ..
- سمى ابنك « شحات » ولا « خيشة » ولا « شمردل » علشـــان يعيش ..
- اشحتى على عيلك علشان يعيش ..
- دق المية فى الهون يخلى اللى ما بيتكلمشى يتكلم ..
- تقول الأم المصرية : « اللى يدى ابنى بلحة تنزل حلاوتها فى بطنى ».
- الضنا غالى (يقصد بالضنا الذى يضن به لأنه غالى ونفيس ويعنى به هنا الطفل) ..
- سيدى وسيد أجدادى اللى يشيل همى وهم أولادى !!
- أحكم بطبعك وطبع غير لق ، واحكم على ولدك وولد غيرك لق ..
- اللى ما يربيه أبوه وأمه تربيه الأيام والليالى ، واللى ما تربيه الأيام والليالى يربوه أولاد الزوانى ..
- ان كبر ابنك خاويه (أى أجعله أخا) ..
- الواد يطلع لخاله ..
- اكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ..
- كل اناء بما فيه ينضح ..
- ابن الوز عـــوام ..
- يخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم ..
- قلبى على ابنى انفطر وقلب ابنى على حجر !!
- أكلهم (أى الاطفال) تجارة ولبسهم خسارة !!
- ان جالك الهم طوفان ، حط ولدك تحت رجليك !!

٨ — يلاحظ أن التراث الثقافى الاجتماعى قد تضمن امعانا فى الاهتمام بولادة الاطفال والاهتمام بهم ، بيانا عن أوقات الولادة وتأثير هذه الأوقات على سلوك الأطفال ومصيرهم فى مستقبل حياتهم !٠٠ وفى ضوء المنطق السليم لا يمكن أن تعتبر هذه النتائج ذات قيمة ، بل هى مجرد ترهات وأساطير ٠٠ ومن ذلك مثلا :

— من ولد فى الصباح يكون ناجحا فى أموره عظيم الشأن كثير المال ٠٠
— ومن ولد فى طلوع الشمس كان طالبا فى جميع أموره ولا يكون الا ما يطلب ٠٠
— ومن ولد فى الضحى كان رزقه بالتعب والمشقة والضنك ٠٠
— ومن ولد عند الظهر كان طاهرا بين أهله عالى الرتب ٠٠
— ومن ولد فى العصر كان مفوظا عزيزا بين اخوته ٠٠
— ومن ولد عند الغروب كان سريع الرضا والغضب ٠٠
— ومن ولد فى وقت العشاء كان سخيا عفيفا ٠٠
— ومن ولد آخر الليل كان مجاب الدعوة مشتغلا بالعبادة ملازما لها ٠٠

(انظر كتاب « أبى معشر الفلكى الكبير » القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، صفحة ٨) ٠٠

٩ — يلاحظ أن أهم طقوس ما بعد الولادة ما يحدث فى يوم « السبوع » ٠ الأغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف مكاناتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية والثقافية يحتفلون بـ « سبوع المولود » — المسلمون المصريون يحتفلون بهذه المناسبة والمسيحيون المصريون (من اتباع المذهب الارثوذكسى أو غير ذلك) يفعلون ذلك أيضا ، كل حسب امكاناته ومقدرته ٠ ونلخص هذا الاحتفال فيما يلى :

(فى اليوم السادس للوضع ليلا ، توضع « قلة السبوع » اذا كان المولود بنتا أو يوضع « ابريق السبوع » اذا كان المولود ولدا ، بجوار المولود ٠٠ ويوضع فى القلة أو الابريق شمعة كبيرة ، وعدد من الشمع حولها وتشعل الشموع ، ويوضع الكل فى صينية بها ماء ٠ ثم توضع فى الماء حبوب من الفول ، وذلك تيمنا به (يلاحظ أن حبة الفول يوجد بها علامة سوداء تشبه حرف الألف : أول حروف لفظ الجلالة : الله) ٠ وينقع الفول فى الماء ، ويعطى المحتفلون فى اليوم التالى (السابع) سبع فولات يضعها كل واحد منهم فى كيس نقوده أو فى جيبه طلبا للرزق والبركة ٠٠

والملاحظ أن القلة أو الابريق يكون به ماء يشربه أعضاء الاسرة فى صباح يوم السبوع من أجل أن تزيد روابط الاسرة فيما بينها وبين

المولود الجديد . ويكون أول الشاربين فى العادة شخص يكون (باله طويل) . وتغطى القلة أو الابريق ببيضة مسلوقة عادة ، يأكلها فى الصباح شخص مسن حتى يعيش المولود الجديد طويلا ..

ومع القلة أو الابريق والشموع والفول ، يهتم أهل المولود بأحضار سبع عينات من الحبوب عادة ، مثل العدس واللوبية والارز والحلبة والقمح ... الخ ، ويضاف اليها كمية من الملح . وتوضع هذه الحبوب ومعها الملح ولقمة من الخبز فى كيس قماش صغير ، ويخيطه أهل المولود على شكل حجاب يوضع تحت رأس المولود من أجل حراسته وبخاصة اذا ترك فى الحجرة وحده .. ويرى أهل المولود فى هذا العمل أن « ملحه يحرسه » !! ويلاحظ أن ما يتبقى من عينات الحبوب المشار اليها يختلط بالملح بعضه ببعض ، ثم يرش المسحوق فى أرجاء المنزل منعا للحسد .. (قد يعتبر الملح احدى هذه العينات) ..

ويبدأ الحفل عادة باطلاق البخور ، ثم تزف الأم وهى حاملة طفلها من على عتبة البيت حتى الحجرة التى يتم فيها السبوع ، وذلك بأن يسير وراءها أطفال البيت وأطفال الجيران يحملون الشموع المضيئة وهم يترنمون « حرجالاتك برجالاتك .. حلقة دهب فى ودانانك » (اذا كان الطفل بنتا) ، أو « ياربنا ياربنا يكبر ويبقى قدنا » (اذا كان الطفل ولدا) .. أو مجرد « شفنا وش جديد رزقنا برزق جديد » .. (الكلمة « حرجالاتك » مشتقة من « حرجل » ومعناها عدايمنة ويسرة، فيكون معنى الأغنية حينئذ : برجليك الصغيرتين سوف تعدو وتسير حتى تشب عن الطوق وتكبر : المأثورات الشعبية الأدبية للطفولة والأطفال ، دراسة ميدانية بالسنبلاوين ، رسالة ماجستير غير منشورة، أعدها فتوح أحمد فرج ، اشراف نبيلة ابراهيم ، مارس ١٩٧٦ ، صفحتا ٢٩ و ٣٠) .

وبعد « الزفة » تدخل الأم فى الحجرة التى يتم فيها السبوع ، ويوضع المولود أو المولودة فى « غربال » ، وتمسك احدى السيدات بد « هون » من النحاس وتدق به وتقول للمولود اذا كان ولدا « اسمع كلام أمك واسمع كلام أبوك » ، واذا كان الطفل بنتا ، تقول « اسمعى كلام أمك ولا تسمعى كلام أبوك » . ويرى المحتفلون أن دق الهون له فائدة هى عدم فزع المولود فيما بعد من الأصوات العالية . ويقال ان « ضوضاء » دق الهون مثل اطلاق الاعيرة النارية فى الافراح والزغاريد فى الاحتفالات المختلفة هو وسيلة لابعاد الارواح الشريرة !

والملاحظ أنه فى أثناء دق الهون تقوم سيدة أخرى بهز «الغربال» الذى به المولود حتى يتقى الفزع فيما بعد ·· ثم تخطى الوالدة فوق الغربال وبه المولود سبع مرات حتى لا يصاب فيما بعد ببعض الأمراض مثل « القراع » أو « الكساح » اذا خطت عليه الأم وهى تمر بفترة « الدورة الشهرية » أى حتى « تمنع المشاهرة » ·

وبعد أن تحمل الأم طفلها من الغربال ، تقوم احدى السيدات بدحرجة الغربال حتى **يمشى الطفل فى أوانه** ··

ويلاحظ أن القلة أو الابريق قد يزين بقطـــع من الذهب التى تملكها الام أو أعضاء الاسرة حتى يكون المولود سعيد الحظ ويصبح من الاغنياء · وتوزع أسرة المولود على الأطفال من حاضرى الاحتفال وغيرهم أكياسا بها بعض الحلوى أو ما شابهها ·· ويتوقف نوع ما تضمه هذه الاكياس على المستوى الاقتصادى للاسرة · ويبدو أن توزيع هـــذه الأكياس يذكر الاطفال بانضمام طفل جـــديد اليهم ، كما يعطى لهم الفرصة لكى يستمتعوا بما فيها) ··

١٠- سيد عويس : من التعبيرات الشعبية المصرية المعاصرة، المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة ، العدد الثالث ، المجلد الحادى عشر ، سبتمبـــر ١٩٧٤ ، صفحة ٣٧١ ··

١١- سيد عويس : عطاء المعدمين ، نظرة القادة الثقافيين المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، صفحات ٦٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ··

٤ - بعض المفاهيم الأخرى

من أهم المفاهيم التى أرى ضرورة عرضها فى ضوء الواقع الحى المصرى، غير ما سبق التحدث عنه ، وكلها تتعلق بالمرأة المصرية ، نجد مفهوم « الحب » ومفهوم « الزواج » ومفهوم « العفة » ٠٠

والملاحظ أن مفهوم « الحب » فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى قد يعنى مفهوم « المحبة » أو ما يرادف العشق والمودة والصداقة ٠ وقد يعنى كذلك مفهوم « الوصال » ٠ ولعل المفهوم الأخير فى ضوء مكانة الحب الخاصة فى مجتمعنا أن يكون صنوا لمفهوم « الرغبة فى النكاح » ٠ وكل هذه المفاهيم هى ، فى الغالب ، مفاهيم « رومانتيكية » ٠ والملاحظ على وجه العموم أن النكاح قبل الزواج يرغب فيه الذكور والاناث المصريين فى سن معينة بشكل ملحوظ ٠ نجد ذلك منعكسا فى المواويل والازجال والأغانى والنكت بالألفاظ وبمجرد الألفاظ أو الاشارات ، سواء كانت اشارات بالأصابع أو باليد أو باليدين أو بالعيون أو بالفم أو حتى باللسان ٠٠

« باحب لـــكن كـــلام الناس ما نعنى
خلفت لى جرح طول الليـــل مواجعنى
لا باسهر أرتاح ولا بانعس بيجى لى نوم
ولا أكل باكل ولا ليه جلد للصـــوم »

و « البت لمـــا بلغـــت حفت جـــدايلهـــــا
والفـار فى الشـــق لم يعمـــل عمايلهــــا ! »
و « حبيبى سافر على مصـــر يحـــلالى الغنا مـــع مـــين ؟
مرة ٠٠ ظهر فى حشايا جرح قـــلبنى شمـــال ويمـــين »
و « يامين يجيب لى حبيبى الجسور عندى
ياكل من التمر ويتجلب على الهنـــدى
يامين يجيب لى حبيبى على الجسور يرتاح
ياكل من التمر ويتجنب على التفاح ! »

و « ان كنت خايف من أبويـــا ده أبويا عـــدى المنصـــورة
ان كنت خايف من أمـــى دنـا أمى عليـــا مســـتورة
ان كنت خايف من أخـــتى ده أختى بيحبوهـــا بالطـــورة
ان كنت خايف من البـــواب ده أعمى ورجله مكسورة ! » (١)

ومكانة « النكاح » أو « الاشباع الجنسى » ترجـــع فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى ، فضلا عما سبق ، الى عاملين هامين ، هما :

— ان الله جل وعلا قد أنعم على الانسان بالغريزة الجنسية بقصـــــد التناسل ..

— والتناسل هو أنبل وظائف الغريزة الجنسية ..

ومع ذلك فالملاحظ أن النكاح قبل الزواج الذى يكون بغرض الاشباع الجنسى **أمر غير أخلاقى وغير مشروع ..**

— « اهربوا من الزنا . كل خطية يفعلها الانسان هى خارجة عن الجسد. لكن الذى يزنى يخطىء الى جسده . أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكـــل للروح القـــدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنتم لستم لانفسكم » .. (اكو ٦ : ١٨ — ١٩) .

— و « ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحـــدة رجلها » ..

(اكو ٧ : ٢) ..

— و « وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقـل لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن » ..

(اتى ٢ : ٩) ..

والجنة التى فيها « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » تكون للمؤمنين :

— « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » .. (٢٣ ك المؤمنون ٥ — ٦)

و— « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آبـــــاء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعـا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ..

(٢٤ م النور : ٣٠ — ٣١)

والتناسل ، كما يعلم القارىء ، يعنى حفظ النوع البشرى ٠والمجتمع الانسانى لكى يستمر يتطلب حفظ النوع البشرى ٠ وفى مجتمعنا المصرى نلاحظ أن من الواجب على البنت أن تبقى بكرا حتى تتزوج ، والا عاقبها المجتمع اذا أفرطت أشد العقاب فى بعض الأحيان ٠٠ فقد تقتل اذا أفرطت أو على الأقل تنبذ وتعيش فى الحضيض الا اذا أنقذها المجتمع وتزوجت ٠٠ وزواجها يعنى ضمن ما يعنى اتاحة الاشباع الجنسى بطريقة مشروعة ، أى بطريقة يقرها المجتمع ويرضاها ٠٠ ويتيح الزواج تكوين الأسرة التناسلية (أسرة الزوج والزوجة وأولادهما) ٠٠ ويكون الزواج ، فى أغلب الأحيان، وبخاصة فى الريف ، زواجا مبكرا للعوامل الآتية :

(أ) لتحقيق رغبة أعضاء الاسرة التوجيهية (أسرة الأب والأم والاخوة والأخوات أو بدلائهم) لكل من الزوج والزوجة ٠٠ فالملاحظ أن الحفاوة بمناسبة الزواج ثقافيا واجتماعيا حفاوة كبيرة على كل المستويات ٠٠

(ب) لحماية الشبان والشابات من الوقوع فى وهدة الرذيلة ٠ والزواج عبادة يستكمل الانسان بها نصف دينه ٠٠ فعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الثانى » ٠

و « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ٠٠ ومن لم يستطع فعليه بالصـــوم ، فانه له وجاء »(٢) ٠٠

(ج) لاكتساب مكانة اجتماعية مرموقة هى مكانة الزوج للشاب الذى يتزوج ، ومكانة الزوجة للشابة التى تتزوج ٠٠ فالزوج يشـــعر ببعض الاستقلال ويبدأ ، اجتماعيا ، حياة الرجولة ضامنا احترام أعضاء المجتمع وبخاصة الكبار منهم ٠٠ والزوجة تشعر بهذا الاستقلال وتبدأ حية أنوثتها ضامنة احترام أعضاء المجتمع وبخاصة الكبار منهم ٠٠ « قعدتى بين أعتابى (أى منزل الاسرة التناسليه) ولا قعدتى عند أحبابى (أى أعضاء الاسرة التوجيهية) » ٠٠ (مثل شعبى مصرى) ٠٠ و « ظل راجل ولا ظل حيط » ٠٠ (مثل شعبى مصرى) ٠٠

(د) لتخلص الزوج والزوجة ، فى الـــكثير من الأحيان ، من أعباء الصرف على أسرتيهما التوجيهية ومن قيودهما ٠٠ وحيث يشترك الزوجان فى القيام بأعباء أسرتهما التناسلية ويعاون القادر منهما غير القادر ٠٠

والملاحظ أن زواج البنت يرفع ، فى بعض الأحيان ، بعض الاعباء الاقتصادية من على كاهل أسرتها التوجيهية(٣) ٠

أى أن أهم العوامل للزواج المبكر هى :

(أ) عوامل اجتماعية :

- حيث يسعد أعضاء الاسرة التوجيهية ، وهم أحياء ، بزواج الابن ليكون أسرة تناسلية له امتدادا لاسرته التوجيهية ، « أعز الولد ولد الولد » (مثل شعبى مصرى) ٠
- وحيث يكتسب كل من الزوج والزوجة مكانة اجتماعيـــة تضفى عليهما الاحترام والاستقلال ٠٠

(ب) عوامل ثقافية :

- وهى تتعلق بقيمة ستر « عرض الفتاة البكر » ، وبقيمـة تجنب « بوارها » ٠ كما تتعلق بعلانية الزواج والحفاوة به ٠

(ج) عوامل ثقافية دينية :

وهى تتعلق بحماية الشبان والشابات من الوقوع فى وهدة الرذيلـة والانحراف ٠

(د) عوامل اقتصادية :

- حيث يستقل كل من الزوج والزوجة اقتصاديا بالتخلص فى الكثير من الاحيان من أعباء أسرتيهما التوجيهية ومن قيودهما ٠٠ وحيث يتعاونان اقتصاديا على أعباء أسرتهما التناسلية ٠٠
- وحيث يرفع بعض الاعباء الاقتصادية من على كاهل أسرة الزوجـة التوجيهية فى بعض الأحيان ٠٠

ومما يؤكد اهتمام المجتمع المصرى بالزواج ما يملأ مناخـــه الثقافى الاجتماعى من الخرافات المتعلقة بالزواج ٠ والملاحظ أن مفهوم الخرافه قـــد يعنى ، لغة ، « الحديث المستملح من الكذب » ٠٠ ويقصد بهذا المفهوم فى بساطة ، الايمان الفاسد ، وهو ضد الايمان الصادق ٠٠ ويلاحظ أن مفهوم الخرافة قد يعنى فى ضوء مفهوم « العلم » أن يستند الشخص منا الى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل مشكلات طبيعية ، فيعزوها الى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها(٤) ٠٠

والتفكير الخرافى آمن ، كما يعلم القارىء ، ينفر منه التفكير العلمى بمعناه العصرى الذى يحاول أن يجيب عن السؤالين : كيف ؟ ولماذا ؟ والذى يتخذ من شعار « لا شىء يأتى من لا شىء » ومن شعار « لا شىء مطلق » هاديا ومرشدا ٠٠٠

والملاحظ أنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشريه فى الوقت الحاضر من وجود بعض الخرافات فيه ٠٠ وظاهرة وجود هذه الخرافات لا تعنى بالضرورة أبديه هذا الوجود ٠٠ فبالعلم ، وتهيئة الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الايجابية ، فضلا عن اتاحة فرص المناقشة الحرة والحوار الناضج لدى أعضاء المجتمع حتى تتضح الرؤية عندهم ، ويجدوا البدائل السويه — نلاحظ تقلص تأثير الخرافة على العقول فى الكثير من المجتمعات وبخاصة فى عصرنا الحالى ٠٠ ومع ذلك نلاحظ قوة هذا التأثير فى المجتمعات التى تعيش فى رواسبها الثقافيه الاجتماعية البالية لا تزال ٠٠ وتأثير الخرافه على عقول الناس وتصرفاتهم ليس أمرا مطلقا ٠٠ فقد يكون منتشرا فى محيط طبقه أو فئة من الناس فى المجتمع ، وقد يكون وجوده ضئيلا فى محيط طبقة أو فئة أخرى من الناس فى نفس المجتمع ٠٠

وفى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، أى فى ضوء ظاهرة التغير الثقافى الاجتماعى السريع السائدة فى هذا المجتمع ، نلاحظ أن بعض العناصر الثقافيه الاجتماعية المستمرة فيه يتضمن رواسب ثقافية اجتماعية بالية ٠٠ وتتمثل هذه الرواسب فى بعض الخرافات ٠٠ ونكتفى هنا بتسجيل بعض ما يتعلق منها بالزواج :

— اللى تقرص العروسة ليلة دخلتها تحصلها فى جمعتها ٠٠
— اذا حد قرص العريس ساعة الفرح يحصله هو راخر ويتجوز ٠
— اذا العريس والعروسة عدوا من تحت رجلين أم العريس يتفقوا ويتهنوا ٠٠
— اذا شرب العريس الشربات بعد ما العروسة تحط رجلها فيه يحبها زيادة وزيادة ٠
— فى كتب الكتاب اذا اتحطت حتة سكر تحت لسان العروسة وبعدها اتحطت فى كوباية وشربها العريس يتفقوا مع بعض ٠٠
— العروسة اللى تخش بيت الزوجية برجلها اليمين فى الأول تتوفق هيه وجوزها ٠٠
— عروسة الاثنين يزورها الحسن والحسين ٠٠

- عروسة الاربع تطلق يا على بيت أبوها ترجع ٠٠
- فتح المقص فوق رأس العريس والعروسه ساعة كتب الكتاب يمنع العين ٠٠
- رش الملح فى زفة العروسة يمنع الحسد والعين ٠٠
- عمل تحويطة للعريس والعروسة توفق بينهم وتمنع عنهم الحسد والعين ٠٠
- اذا الواد والبنت اللى عاوزينهم يبقوا يتجوزوا لما يكبروا حطناهم فوق حمارة وظهرهم لبعض ولففناهم فى البلد ، يتجوزوا بعض بعد كده حقيقى لما يكبروا ٠٠
- لما يكون حد عاوز اتنين يتجوزوا يقول كام مرة : باب يا باب يا جامع الأحباب انطلع شفقة وان دخل نفقة نجم فلان وفلانة تجمعهم فى السما ٠ يبقى يقوموا يتجوزوا بعد كده ٠٠
- البنت اللى تبص فى مراية بالليل تبور (ما تتجوزشى) ٠٠
- **البنت اللى تكسر مراية ما تتجوزشى بعدها الا بسبع سنين ٠٠**
- اذا الدنيا مطرت ليلة الدخلة « الزفاف » تبقى العروسة لحست المغرفة ٠٠
- الست اللى جوزها يخس أو يعيا يبقى فخدها مالح ٠٠
- الست اللى جوزها يموت تبقى « قبارة » واللى يتجوزها تانى يموت برضه ٠٠
- اليمام يسبح ربه فيقول (سبحوا ربكم ، جوزوا بنتكم) ، وعشان كده حرام صيده ٠٠
- **الست اللى تسرح شعرها بالليل جوزها ما يرجعش ٠٠**
- الست اللى تأخذ فردة جزمة من واحدة تانية تأخد كمان عريسها أو (جوزها) ٠٠
- **اذا وقعت دبلة الخطوبة وقت كتب الكتاب يبقى الجواز مش نافع ٠٠**
- **اللى يتربط يوم الجواز يبقى معمول له عمل ٠٠**
- **اللى يكون مربوط بسبب أنه معمول له عمل لازم يروح لشيخ أو لحد عشان يفكهوله ٠٠**

- اللى يحلف بالطلاق مع أنه مش متجوز تنطلق منه حوريات من الجنة ..
- اللى يموت وما يكنش اتجوز فى دنياته يتجوز من بنات الحور فى الجنة.
- اذا دخل شخص وهو راكب حمارة فى بيت ، تبور البنات اللى فى البيت .

- الستات طلبوا من ربنا أنه يأذن لهم بتعدد الازواج زى الرجالة وكتبوا جواب ربطوه فى رجل غراب عشان يجيب لهم الرد من عند ربنا .. وكل ما يسمعوا غراب بيزعق يقولوا خير لانهم بيفتكروا ان الغراب جايب لهم الرد(٥) ..

والزواج ، فى بعض جوانبه ، فى ضوء التراث الثقافى المصرى ، هو سر الاسرار ، « اللى يحصل بين الراجل ومراته زى اللى بيحصل فى القبر وأفعاله » (مثل شعبى مصرى) ونرى ذلك على وجه الخصوص فى محيط أعضاء الطبقة المتوسطة ، وبعض أعضاء الطبقة الدنيا فى المجتمع المصرى المعاصر .. وقد لاحظت فى محيط هؤلاء الأعضاء أن مفهوم الحب يختلط بمفاهيم الصداقة والعلاقة الجنسية .. وكان من المستحيل على التعرف على بعض الامور **وبخاصة عن موضوع الحب والجنس عند الفقراء** فى أحد أحياء القاهرة الفقيرة . وأقصد بالفقر هنا أو بالفقراء ، الأشخاص المتزوجين العاديين (أى الذين لا يمارسون مهنة البغاء وما يتعلق بها) الذين يقول لسان حالهم عادة « لو كان الفقر رجلا لقتلته » . والذين يعيش بعضهم حتى الستين وربما بعد الستين وتراهم يعملون ، عادة ، طلبا للرزق ، أعمالا لا تحتاج الى مهارة (بائع متجول أو ماسح أحذية أو جامع قمامة ، مثلا) .. والذين يعيشون طوال الليل والنهار يشمون رائحة كريهة ولا يرون فى ذلك شيئا غير مألوف .. والذين يعيشون حياة الحرمان وتنتشر فيهم الأمية والأمراض وبخاصة أمراض القراع والجرب والانيميا وبعض الأمراض الصدرية ، والذين يلدون أطفالا يكونون من غير المرغوب فيهم فى معظم الأحيان (ومنهم الأطفال غير الشرعيين) ، والذين اذا واجهتهم المشاكل العادية فان أقرب الأساليب الى حلها يكون النزاع والعراك والعنف .. والذين ينتشر بينهم تعاطى المخدرات والاتجار فيها وشرب البوظة أو « الهبهب » .. والذين ترى الذكور بينهم متسلطين وأصحاب الحظوة فيهم ، فى حين ترى الاناث ينوءون بأعمال البيت ورعاية الابناء والعراك مع الآخرين .. وأخيرا وليس آخرا هم الذين يترنمون قائلين : « ان اللذة هى أكل اللحم ، وان لذة اللذة هى ركوب اللحم (أى ركوب الخيل) وأن لذة لذة اللذة هى دخول اللحم فى اللحم (أى الممارسة الجنسية) (مثل شعبى

مصرى) • وترى ذكورهم وخاصة البالغون منهم يلخصون أهداف حياتهم ومعاشهم فى هده الدنيا قائلين هى « لقمه القوت ودفس القرموط ! » اما اناثهم البالغات فيرين أنه اذا كان الرجال قد حبتهم الطبيعـــة ب « دبوس الفقر » فان كل واحدة منهن قد نعمت ب « كنز لا يفنى ! » • حاولت التعرف على بعض الامور وبخاصة ما تعلق منها بموضوع الحب والجنس عند النساء فلم أتمكن •

وقد اخترت النساء لأن الفقراء من الرجال المصريين يملؤهم الغرور عادة عند التحدث عن هذه الامور •• ولما كنت أهدف الى الحصول على الحقائق الموضوعية ، فقد أرسلت الباحثات تلو الباحثات ، وهن عادة أعضاء مـــن الطبقة الوسطى ، الى النساء الفقيرات •• وكان يفتر حماس الاوليات بعد فترة وجيزة ، أما النساء الفقيرات ، فكن يرددن « اللى بيحصل بين الراجل ومراته زى اللى يحصل فى القبر وأفعاله » •• وكانت الأمـــور التى أبغى التعرف عليها ما تعلق بموضوعات الخبرة الشخصية عن أعضاء الجنس ، وأول مصدر لهذه الخبرة ، وتطور هذه الخبرة ومداه ، والخبرة الجنسية قبل الزواج، والشذوذ فى الخبرة الجنسية قبل الزواج أن وجد ، والعمر عند الزواج ، والخبرة الجنسية بعد الزواج ، والاستعداد للممارسة الجنسية عند الطرفين (الزوجة والزوج) ، ومرات الممارسة الجنسيـــة فى الاسبوع ، وأسلوب الممارسة الجنسيه المعتاد ، وتنوع هذا الأسلوب من عدمه ، وحالة الجسد من حيث العرى من عدمه ، والممارسة الجنسية فى حضرة الأبناء من عـــدمه ، والشذوذ فى الخبرة الجنسية بعد الزواج • ثم الرموز الجنسية التى تتبادلهـــا الزوجات مع الازواج سواء كانت اشارات (بالاصابع أو باليد أو بعضو من أعضاء الوجه) ، أو كلمات (عينة منها فى أثناء العاكسات ووقت الصفاء وقبل الممارسة الجنسية وفى اثنائها) ، أو كانت الرموز أشياء حسية أخرى • هذه• هى الأمور التى حاولت أن أتعرف عليها والتى وقفت بعض العناصر الثقافية الاجتماعية المتعلقة بها حائلا بينى وبين هذا التعرف •• ربما كان الحياء عند المرأة المصرية المتزوجة الفقيرة أحد عوامل هذا الفشل ، وان كنت أشك فى ذلك ، فى ضوء الخبرات ، أحيانا • انها عوامل أخرى أدت الى هذا الفشل ، ربما كان الحياء أحدها ، ولكن قداسة الزواج وما يتعلق بها من أمور هى من غير تعميم عوامل أيضا ما فى ذلك من شك • فقد ترى الفتـاة الفقيرة التى فى سن الزواج تعمل كل شىء من أجل لفت أنظار الفتيـــان (الجدعان) الذين فى سن الزواج •• اذا كانت تلبس « فستانا » تفعـــل ذلك ، واذا كانت تلبس « الملاءة » السوداء أو تلبس منديل رأسها « أبـو

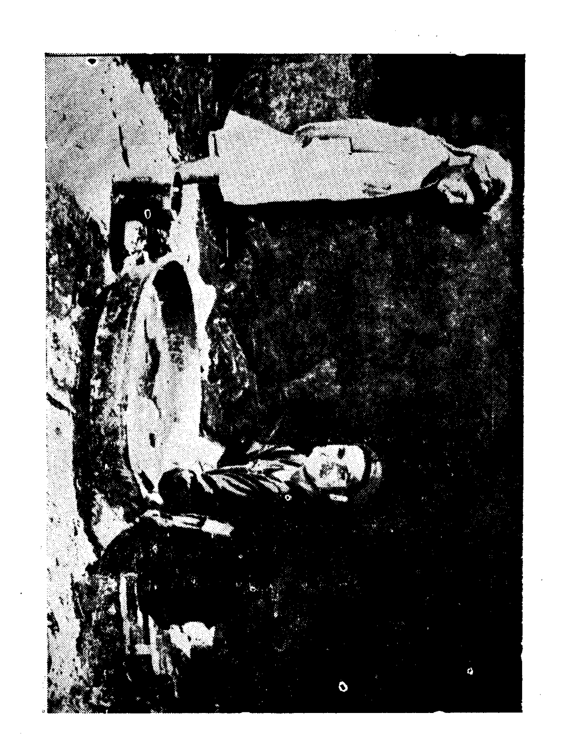
أوية » !! تفعل ذلك أيضا ٠٠ باللسان تثير هؤلاء الفتيان ، وبالاشارة باليد وبغير اليد تفعل الفتاة الفقيرة التي في سن الزواج دنت ٠٠ أنظر اليها وقد قطعت عمدا صدر جلبابها لافته أنظار الشباب الهيمن الى ثديها لكي ينظر كم هو ، أي الثدي ، مدور « كالرمان » ٠٠ وانظر اليها وهي تحمل «البلاص» الذي تملؤه من الترعة أو « الطلمبه » في القريه أو وهي تحمل « صفيحة الماء » التي تملؤها من الحنفية العمومية في الحارة في المدينه ، انظر اليها وهي تسير وصدرها يعلو ولا ينخفض ويبرز نفس المعاني وغيرها ٠٠ وحتى النساء الفقيرات المتزوجات أنظر اليهن وهن يرضعن أطفالهن على الطريق ويتلاعبن بأخراج ثديهن الى فم الطفل تارة ثم ادخاله تارة اخرى ٠ وتراهن في الحارة في المدينة أو على الترعة في القرية يغسلن ملابس الأسرة وخاصة ملابس أزواجهن الداخليه (السراويل على وجه الخصوص) مؤكدات بذلك لبعضهن البعض أن **السعادة الجنسيه** ترفرف على الأسرة !! واذا كانت الملاءة السوداء تلعب في محيط الفتيات الفقيرات دورها بل أدوارها الجنسية ، اذ لا يخفى على لبيب ما يراه عندما تلبس الفتاة هذه الملاءة أو عندما تعدل من لبسها وهي تنحني تارة أو تميل اخرى أو وهي تقف تارة ثالثة ، وعندما تبرز صدرها أو تخفيه أو تخفي بعض ما يبرز وتترك البعض الآخر ٠٠ فان الأمر لا يقتصر على الملاءة بل ان الملابس الاخرى تحاول في سبيل الاثارة الجنسية أن تظهر ما بطن وأن تبطن ما ظهر ٠٠

وقداسة الزواج على وجه العموم في المجتمع المصرى المعاصر لا تعني أبدا أبديته ٠ فقد يحدث الطلاق كما كان يحدث على الدوام في الماضي السحيق وعلى مر الأيام ٠٠ وكان الطلاق معروفا في أيام الفراعنة الا أنه كان نادر الحدوث وكان يوصف في النصوص الفرعونيه بأنه « السلوك الأحمق والعمل السيء المكروه » ٠٠ وكان طلب الطلاق حقا للزوجة ، واذا ما طلقت الزوجة تحصل على مقدار المهر كاملا ، فضلا عن تعويض قد يصل الى خمسة أضعاف هذا المهر ٠ والملاحظ أن الزوج لم يكن يستطيع الطلاق الا لأسباب محدودة ، وهي ، الزنا والعقم والعيوب الجسمانية(٦) ٠٠

واستمرت ظاهرة الطلاق في العهد المسيحي والى يومنا هذا ٠٠ فنلاحظ :

« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فان لم نجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ٠٠ ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ٠٠ فان أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته أو اذا مات





الرجل الآخر الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست ٠٠ لأن ذلك – رجس لدى الرب ٠٠ فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا » ٠٠

(تث ٢٤ : ١ – ٤)

و « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ٠٠ وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ٠٠ ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » ٠٠

(مت ٥ : ٣١ – ٣٢)

ونلاحظ أيضا :

« الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن الا أن يخافا ألا يقيما حـــدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ٠٠

(٢ م البقرة : ٢٢٩)

و « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » ٠٠

(٢ م البقرة : ٢٣٠)

و « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضـــلع ، وان أعوج ما فى الضلع أعلاه : فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركتـــه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » ٠٠ متفق عليـــه ٠٠ وفى رواية الصحيحين « المرأة كالضلع ان أقمتها كسرتها وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » ٠ وفى رواية مسلم « ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها »(٧) ٠٠

وفى ضوء احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، نلاحظ أنه على الرغم من أن معدل الطلاق عال نسبيا فى المجتمع المصرى المعاصر ، فان تأثيره على الخصوبة محدود ٠٠ وذلك لأن الطلاق لا يكون عادة فى محيط المسلمين (وهم الأغلبية الساحقة) نهائيا ، أى أن الحياة الزواجية تستأنف فى حالات كثيرة بعد وقت قصير ٠٠ ذلك لأن الرجل المتزوج من رجال هذه الأغلبية الساحقة يراجع زوجته مرة ثم مرة ، ولا يراجعها فى المرة الثالثة٠٠ « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » (٢ م البقرة : ٢٢٩)

.. وعلى ذلك فاننا نلاحظ أن معدل الزواج مرة ثانية فى محيط السيدات المطلقات معدل عال .. ففي عام التعداد نجد أن من بين كل مائة سيدة مطلقة تتزوج مرة أخرى ٦٦ امرأة من اللاتى تقع فئة عمرهن ما بين ٢٥ الى ٤٠ عاما .

والملاحظ أن متوسط مدة الحياة الزواجية فى المجتمع المصرى المعاصر هو حوالى ١٤ عاما . وقد تبين أن نحو ٢٧٪ من الزيجات التى انتهت بالطلاق استمرت فترة تقل عن عام واحد ، وأ ن نحو ٥٧٪ من الزيجات التى انتهت بالطلاق استمرت فترة تقل عن ثلاثة أعوام ، وأن نحو ٧٠٪ من الزيجات التى انتهت بالطلاق استمرت فترة حتى خمسة أعوام .. أما الزيجات التى استمرت مدتها قبل الطلاق أكثر من خمس عشرة سنة فقد كانت نسبتها نحو ٥ر٥٪ فقط من المجموع الكلى لحالات الطلاق ..

ولعل الحقائق السابقة تنبىء عن تفشى ممارسة الطلاق الى الدرجة التى تهدد العلاقات الاسرية .. ولعل تفشى ممارسة الطلاق قد يعتبر **عاملا غير مباشر من عوامل زيادة السكان فى المجتمع المصرى المعاصر** .. ذلك لان الزوجة المصرية حين تتزوج ، فانها تهتم اهتماما كبيرا بتأمين حياتها الزواجية عن طريق انجاب أكبر عدد من الاطفال ، ومن ثم فهى تحد من نزوات الزواج اذا اعتزم طلاقها أو راودته فكرة الزواج من أخرى . ولعل ذلك أن يرجع الى الاعتماد الاقتصادى الكلى لمعظم الزوجات المصريات على أزواجهن نتيجة لانخفاض الداخلات منهن فى قوة العمل بوجه عام (٦ر٣٪ فى عام ١٩٧٠)

ومع ذلك فالملاحظ أن معدل الطلاق فى المجتمع المصرى المعاصر ينخفض باستمرار . فنلاحظ أن متوسط معدل الطلاق فى خلال الفترة من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٤٦ ، كان ٢ر٤ فى الألف من السكان ، وفى عام ١٩٥٢ انخفض الى ٣ر٢ فى الالف ، وفى عام ١٩٦٠ انخفض الى ٥ر٢ فى الألف ، وفى خلال الفترة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٥ كان متوسط معدل الطلاق أقل من ٦ر٢ فى الألف ، وفى عام ١٩٧٠ أصبح ٢ فى الألف فقط[٨] .

وقد تعنى ظاهرة استمرار انخفاض معدل الطلاق فى المجتمع المصرى المعاصر أن الأسرة المصرية لا تزال متماسكة ، أى أن نسبة تصدعها بالطلاق لا تستمر عالية نسبيا . ويؤكد هذا التماسك أنه على الرغم من ظهور الأسرة النووية (الفردية) فى هذا المجتمع ، وبخاصة فى الرقعة الحضرية منه ، وعلى الرغم من ارتفاع نسبة هذا الظهور ، فان ارتباطها بالأسرة الممتدة أو بالأسرة المركبة ما زال ارتباطا قويا . تؤكد ذلك الدراسات والملاحظات ..

ويكفى أن نلاحظ الأسرة النووية ، التى تعيش فى مدينة القاهرة ، أو غيرها من المدن الكبرى عندما تواجه الأعياد والمواسم أو المناسبات المختلفة ، وهى تهرع الى الريف حيث الأسر الممتدة والأسر المركبة ، أو اذا كانت تعيش فى الريف فانها فى نفس الظروف تهرع الى المدن حيث توجد أسرها الممتدة أو المركبة ·· أى أن الأسرة المصرية النووية فى ضوء ظروف المجتمع المصرى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ما زالت جزءا من أجزاء الأسرة المصرية الممتدة أو الأسرة المصرية المركبة أو امتدادا لأى منهما(٩) ·

واذا ذكر مفهوم « العفة » فانه يعنى معانى عديدة ·· فالملاحظ أن لفظ « عف » عن الحرام **لغـــة** يعنى كف عنه ·· ويقـال للرجل أنه « عف » ، و « عفيف » ، والمرأة « عفة » و « عفيفة » · وبقاء الفتاة المصرية بكرا بأن صانت نفسها وعفت عن الحرام حتى تتزوج فهو العفة بعينها ·· وقد تكون العفة بهذا المعنى ، أيضا أمانة كل من الزوجين لصاحبه ·· وهى فى هـــذا الضوء ، كما يقول الطهطاوى « فضيلة دقيقة ، تفيد أن لا يصدر من أحـــد الزوجين ما يخدش صداقته للآخر ، وفى الحقيقة ، وجود هذه الفضيلة ينبغى أن يحرص عليها ولو كانت عزيزة ، وقل من يتصف بهـــا فى أعلى درجات كمالها ، مع دقة النظر اللازمة لذلك · فهى عصمة معنوية ، وهى أســـاس روابط الجمعية البشرية (المجتمع) ، لأن عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط أحد الطرفين بالآخر ، ومشروط فيه الأمانة ، ضمناً ، على الوجه الذى قضته الحكمة الالهية ، فتقصير أحد الزوجين فى تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للأمانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء » · ويرى الطهطاوى أنه « بالنظر للعرف يقتضى أن تكون الأمانة فى المرأة آكد ، **وان كانا مشتركين فيها** » ·· وتراه فى ضوء ظروفه التاريخية والثقافية والاجتمـــاعية يعمم ، فيرجع ذلك الى « ان عوائد **جميع** البـــلاد وطبائع **جميع** المدن **وعرف** أرباب السياسة والدول ، والملل كل ذلك يقضى بأنه لا يليق من النساء الا كمال الصيانة والعفة ، وسلوك سبيل الحيـاء ، **أكثر مما يطلب من الرجال** » ·· ومهما يكن من الأمر « فان الحياء ممدوح ، وعدمه مذموم ، وان الله اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء (أى لا يستحى من الله أو من الخلق أو منهما) » ·· ويلخص الطهطاوى شرحه ، فيرى أن مجمع العفة والتصون قوله تعـــالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (٢٤ م النور : ٣١) · فقد نهيت المرأة أن تنظر الى غير زوجها ، **كما أن الرجل كذلك** ، لصدق المحبة »(١٠)

والملاحظ أن مفهوم « العرض » و « مفهوم الشرف » يتصلان فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى اتصالا وثيقا بمفهوم « العفة » ·· فالشخص

يكون نقى العرض ، أى برىء من أن يشتم أو يعاب ، والعرض هو النفس ، فاذا أكرمت عن شخص عرضى ، فاننى صنت عنه نفسى ٠٠ والشرف هو العلو والرجل الشريف هو الرجل ذو الرفعة والعلو ٠٠ **اى أن صيانة العرض تؤكد العفة كما تؤكد الشرف** ٠٠ والعفة تنسب عادة للمرأة المصرية والشرف ينسب عادة للرجل المصرى : أبيها أو أخيها أو زوجها أو بدلائهم٠٠ وربما تؤلد هذه الصيانه فى بعض الاحيان شرف أمها !! ويرى البعض أن مفهوم « العرض » بهذا المعنى ، فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، مصدرا من المصادر العزيزة لمفهوم « الوطنية » عندنا ٠٠ فنحن نحمى « عرض » الوطن اذا ذدنا عنه وقاتلنا فى سبيل حريته واستقلاله ٠٠ لان عرض الوطن هو عرض أبنائه ٠٠ وصيانة الوطن هو صيانة لعرضه ٠٠

وأرجو أن يلاحظ القارىء أننى اذ أعرض المفاهيم التى وردت فى هذا الجزء من الكتاب الحالى ، فاننى فى الواقع أدعو الى مناقشة معانيها فى ضوء ظروفنا الثقافيه الاجتماعية المعاصرة ، حتى تتضح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر ٠ أدعو الى هذه المناقشة وأنا أذكر ، مثلا ، الزمان الذى شاع فيه استخدام « حزام العفة » وذاع ، عندما كان يتغيب الزوج عن الأسرة بسبب الحرب أو السفر الطويل ، فيجبر زوجته على لبس هذا « الحزام » حرصا على عرضه وشرفه !! والان لا يستخدم حزام العفه ، ولكن الزوجات قد عرفن « حبوب منع الحمل » كما عرفن وسائل آخرى لمنع الحمل ٠٠ ورجائى أن تسفر هذه المناقشة عن بعض النتائج ٠٠ ولعل الوصول الى هذه النتائج أن ينقذ أعضاء هذا المجتمع وبخاصة الاعضاء الاناث من الكثير من الظلم والعنت ، ومن الكثير من القلق ، ومن الكثير من التوتر ٠٠ وهذه الامور لا داعى لوجودها ونحن نهدف الى بناء المجتمع الجديد ٠٠ **والمجتمع الجديد تبنيه النساء المصريات ويبنيه الرجال المصريون على السواء٠٠** وصيانه هذا المجتمع هو بالضرورة صيانة للعرض ، والبذل السخى من أجل رفعته هو بذل من أجل سلامه الشرف ٠٠ ولن يكون عرض أعظم من هذا العرض ، ولن يضع المجتمع الجديد شرف رجاله فى مكان أسمى من هذا المكان ٠٠ واننى أتساءل ، ولعل القارىء أن يتساءل معى ، لماذا يكون العرض هو عرض الرجل المصرى المعاصر وحده ، أو يكون الشرف هو شرفه وحده ؟ ان العرض والشرف فى ضوء الموضوعية هما للمرأة مثل ما هما للرجل سواء بسواء ٠٠

المراجـــع والتعليقات

١ - مجدى نجيب : الحياة الحب الموت ، رحلة فى وجدان الفنان الشعبى ، مجلة الاذاعة والتليفزيون ، القاهرة ، فبراير ١٩٧٥ العدد ٢٠٨٢ ٠

٢ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء السادس ، القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، ١٩٥٩ ، صفحة ١٩ ، ٢٩ ٠

٣ - يلاحظ كما سبق أن أوضحنا عند التحدث عن موضوع « مفهوم المرأة المصرية فى التراث الثقافى المصرى » ، أن المرأة المصرية كانت مسئولة عن أولادها أمام معلميهم ، كمـــا كانت مســـئولة عن والديهـا فى شيخوختهما ٠٠ ونلاحظ بصمات المسئولية الأخيرة لا تزال موجودة فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى المعاصر ٠٠ ويلاحظ أن « والد أمه » أى والد أم الطفل لا تزال له مكانة مرتفعة فى المجتمع المصرى المعاصر ، ويؤدى فى الكثير من الأحيان ، دور الوصى ٠٠٠

وفى ضوء احدى الدراسات التى قام بها المؤلف ، اتضح له عند وجود دخل لكل من الزوج والزوجة ما يلى :

- كل الدخل الذى يحصل عليه الزوجان يعتبر دخل الأسرة ٠
- تدفع الزوجة جزءا معينا من دخلها فقط مهما زاد دخلها ، مساعدة للأسرة ٠
- يدفع الزوج جزءا معينا من دخله فقط مهما زاد دخله ، مســـاعدة للأسرة ٠
- تمتنع الزوجة بتاتا عن الاسهام بأى شىء لأن الزوج هو وحــــده المسئول عن الانفاق مسئولية كاملة ٠

وفى احدى الدراسات التى أجريت فى عام ١٩٣٨ عن « مشـــكلة الفقر فى مصر » تبين أن من بين الاسر موضوع هذه الدراسة وعددها ٣٤٠٤ أسرة ، ٣٣٣٣ أسرة ذات الزوجة الواحدة ٠ أما عـــدد الأسر المتعددة الزوجات ، فقد كان ٧١ أسرة فقط ٠ وقد تبين أن المرأة هى المسئولة الأولى عن معاش ١٢٩١ أسرة من الـ ٣٣٣٣ أسرة ذات الزوجة الواحدة ، أى بنسبة نحو ٣٨٫٩٪ ، أما فى محيط الـ ٧١ أسرة ذات الزوجات المتعددة ، فقد كان الرجل هو المســـئول الأول عن معاشها

فيما عدا أسرة واحدة كانت المرأة هى المسئولة الأولى عن هذا المعاش ٠
(انظر الفصل الخامس من الكتاب : مراجع وتعليقات موضوع « صورة واقعية عن الانثى المصرية المعاصرة ») ٠

٤ ـ نجيب اسكندر ابراهيم ، ورشدى فام منصـــور : التفكير الخرافى ، بحث تجريبى القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ ، صفحة ٢٢ ٠

٥ ـ نفس المرجع : صفحات ١٦٣ ـ ١٧٦ ٠

٦ ـ جريدة الأهرام : مع المرأة ، القاهرة ، ٧ نوفمبر ١٩٧٥ ٠

٧ ـ محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى : رياض الصـــالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٥٦ ، صفحة ١٤٠ ٠

٨ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : السكان والتنمية ، دراســة عن زيادة السكان وتحديهـــــا للتنمية فى مصر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، صفحتا ٦٧ ـ ٦٨ ، وصفحة ١٩٨ (بالانجليزية) ٠

٩ ـ صلاح الدين محمد عبد المتعـــال : أثر التغير الاجتماعى فى البنـــاء الاجتماعى للأسرة المصرية ، دراسة مقارنة بين البناء الاجتماعى للأسرة فى الريف والحضر المصرى ، رسالة دكتوراه ، اشراف أحمد الخشاب ، القاهرة ١٩٧١ ٠

١٠ـ محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، الجزء الثانى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحتا ٥٧٣ و ٥٧٤ ٠

الفصل الثانى

بعض الحقائق الثقافية الاجتماعية المصرية المستمرة

١ ـ عادات ثقافية اجتماعية مصرية قديمة ومستمرة ·

٢ ـ شكاوى النساء المصريات وطلباتهن المرسلة الى الموتى ·

٣ ـ المكانة الاجتماعية للمراة المصرية فى الماضى من رسائلها الى الموتى ·

٤ ـ المكانة الاجتماعية للمراة المصرية فى الوقت الحاضر من رسائلها الى الموتى ·

٥ ـ أكثر من يعد بالنذور هن النساء المصريات ·

١ - عادات ثقافية اجتماعية مصرية قديمة ومستمرة

من الملاحظ أننا شعب نحزن كثيرا ٠٠ اننـــا نبكى اذا حزنا ، ونبكى كذلك اذا فرحنا ٠٠ ومشاعرنا الحزينة تبدو عميقة عمق ما تعكسه عيــون أمهاتنا ونسائنا وحتى شاباتنا ٠٠ ان ما تعكسه هـــذه العيون فى معظم الاحيان ، مهما انفرجت الشفاه ، يدمى القلوب وبخاصة قلوب أطفالنــا الصغار وبعض الرجال ٠٠ ولقد أبدع المجتمع على مر العصور وحتى وقتنا هذا نظما اجتماعية فريدة تنسق البكاء والصراخ « الصوات » مثل النظم التى خلقت دور « المعددة » أو دور « الندابة » ، او دور « ضاربة التار » ٠ ولا يخفى على المصرى الذى يعيش فى القرى المصرية وكفورها وبخاصـــة فى الصعيد وجود نظام « البكوة » حيث تجتمع النساء يومى الخميس والسبت من كل اسبوع لتبكين من ماتوا لهن بكاء مستمرا عـــلى مر الايام والشهور والسنوات ، ما دام الموت مستمرا على مر الايام والشهور والسنوات ٠

ونساؤنا اذا حزن لا يكتفين بالبكاء ، ولـكنهن يقلن كذلك الرثاء ٠٠ انهن يرثين من ماتوا من الشباب والاباء والامهات ، ومن تركوا يتــامى أو أطفالا ٠٠

أروح يا أخـويا واخرق القبر بالدبوس
وأخش عليك وأغــير الملبـــوس
أروح يا أخويا واخرق القبر بالابرة
وأخش عليك وأغـــير البـــدلة

❊ ❊ ❊

ما أحلى حبايبى فى الحى محـــلاهم
يا فانوس دهب والريـح طفـــاهم
ما أحلى حبـايبى فى الحى ما أحسنهم
يا فانوس دهب والريـــح كسرهـم

❊ ❊ ❊

يا أمــه يا طــرحتى الـــزيتى
يا سائلة على يا امه وأنا فى بيتى
أخويا القـــاسى ما تحننوا الا أمى

نص الليـــالى تقوله خيتك يا ابنى
مقهورة يا امه والقهر طلع على وشى
وخلا خلى البال يا امه ما يشـوفنى
يا امـــه دا البخت لمـــا مـــال
كمـــا مال السرج على الخيـــال
والله ان شيلونى يا امه حمل الجمال لأشيل
وعيب يا امه ان قلت حمل تقيـــل
ان شيلونى يا امه حمل الجمال لامشى
وعيب على يا امه ان قلت مقدرشى(١)

* * *

واذا كان أكثر ما يحزن نساءنا ، موت الأقرباء المقربين والأقرباء غـير المقربين وحتى موت الغرباء ، فان ذلك مرجعه الى أننـــا شعب نكره الموت ونخشاه ، وان كنا لا نخشى موتانا **لاننا لا نخشى قيامتهم** ٠٠ وقد لاحظ ذلك « هردوت » عندما زار مصرنا الخالدة فى القرن الخامس قبل مولد الســـيد المســـيح ، ومصر يومئذ تحت حكم الفرس ، وعادات أهلها وخصـــائصهم وتقاليدهم ومظاهر حياتهم باقية كما كانت لم يغير منها الاحتلال الفـارسى شيئا ٠٠ واستمرت هذه العادات والتقاليد وبخاصة ما تعلق منها بالنظرة نحو ظاهرة الموت ونحـــو الموتى حتى الان ٠٠ لاحظ هردوت أنه اذا مات أحدهم لطخت كل نساء البيت الرأس أو الوجه بالطين ، ثم يتركن الجثة فى الدار ، ويجلن فى المدينة لاطمـــات وقد شمرن ، وكشفن عن صدورهن ، ومعهن كل قريباتهن ٠٠ **اى أن عبء الحزن على الاموات كان ولا يزال عـــلى عاتق النساء المصريات** ٠٠ ويبدو أن مظاهر الحزن عند النســـاء المصريات وتقاليد الندب قديما وحديثا ، انما ترجع الى أصل قديم ، نطالع آثاره فى تلك الاسطورة الخالدة المعروفة التى تصور لنا **مأساة امام الشهداء** عنـــد آل فرعون « أوزوريس » ٠٠ واذ كانت أختاه « ايزيس » و « نفتيس » فى مقدمة المحزونين لمصرعه ، فقد رمز المصريون اليهما بحدأتين نواحتين ، تركع الأولى عند رأسه وتضع يديها عليه ، وتركع الأخرى عند قدميه وتضع يديها على صدرها ٠٠ وتلك صورة مألوفة فى مناظر الجنازة التى رسمها القوم ، منذ الماضى السحيق ، فى قبور موتاهم ومن حولها صور لطوائف من النساء باكيات معولات صائحات ، وقد حللن شعورهن ، وشققن جيوبهن ، وأرسلن دموعهن(٢) ٠

- ويؤكد استمرار الحزن بعامة ما جاء فى آيات الكتاب المقدس :

« طوبى للحزانى ٠٠ لأنهم يتعزون » ٠

(مت ٥ : ٤)

و « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ٠٠ طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون » ٠

(لو ٦ : ٢١)

و « الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب » ٠

(جا ٧ : ٣)

- ونجد أن آيات الكتاب المقدس تؤكد الحزن على الأموات :

« وكمل له أربعون يوما ٠٠ لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين ٠٠ وبكى عليه المصريون سبعين يوما » ٠

(تك ٥٠ : ٣)

و « فلما رأى كل الجماعة أن هرون قد مات بكى جميع بيت اسرائيل على هرون ثلاثين يوما » ٠

(عد ٢٠ : ٢٩)

و « ورثا داود بهذه المرثاة شاول ويوناثان ابنه » ٠

(٢ صم ١ : ١٧)

و « فقال داود ليوآب ولجميع الشعب الذى معه مزقوا ثيابكم وتنطقوا بالمسوح والطموا أمام ابنير ٠٠ وكان داود يمشى وراء النعش ٠ ودفنوا ابنير فى حبرون ٠ ورفع الملك صوته وبكى على قبر ابنير وبكى جميع الشعب » ٠

(٢ صم ٣ : ٣١ : ٣٢)

و « فانزعج الملك وصعد الى علية الباب وكان يبكى ويقول هكذا وهو يتمشى : يا ابنى أبشالوم يا ابنى يا ابنى أبشالوم يا ليتنى مت عوضا عنك يا أبشالوم ابنى يا ابنى » ٠

(٧ صم ١٨ : ٣٣)

و « الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة ، لأن ذلك نهاية كل انسان والحى يضعه فى قلبه » ٠

(جا ٧ : ٢)

و « .. لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى والنــــادبون يطوفون فى السوق » .

(جا ١٢ : ٥)

و « يا ابنة شعبى تنطقى بمسح وتمرغى فى الرماد . نوح وحيـــد إصنعى لنفسك مناحة مرة لأن المخرب يأتى علينا بغتة » .

(أ ر ٦ : ٢٦)

و « هكذا قال رب الجنود . تأملوا وادعوا النادبات فيأتين وأرسلوا الى الحكيمات فيقبلن » .

(أ ر ٩ : ١٧)

والملاحظ أنه قد ذكر الموت بصوره وأنواعه فى مواضع عـديدة ، فى أسفار الكتاب المقدس واصحاحاته . فنجد ذكره فى الآيات المتعلقة بالموت الطبيعى (٦٣ مرة) ، وبما يسمى بالموت الروحى (٢٩ مرة) ، وبما يسمى بالموت الآبدى (٤٣ مرة) ، وبموت المسيح (٥٦ مرة) ، وبموت القديسين (٤٢ مرة) ، وبموت الأشرار (٤٤ مرة) ، وبالموت العقابى (٢٠ مرة) ، وبالموت الجسدى (ست مرات) ، وبالموت للخطية (أربع مرات) ، فضلا عن آيات أخرى تتعلق بموضـــــوع الميت (٢٤ مرة) **أى أن الموت بأنواعه وصوره قد ذكر فى الكتاب المقدس** (٣٣١ مرة)(٣) .

وعلى الرغم من موقف تعاليم الدين الاسلامى من النياحة أو النوح ، وهو رفع الصوت بالبكاء ، فان نساءنا وأغلبيتهن من المسلمات ما زلن يفعلن ذلك .. وصراحة تعاليم الدين الحنيف حول هذا الموضوع واضحة وجلية.. فعن أبى مالك الأشعرى : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الاحســـــاب والطعن فى الانســــاب والاستسقاء بالنجوم والنياحة » ... وقال « النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » .. رواه أحمد ومسلم(٤) .. واعتبر رفع الأصوات مع الجنازة من البدع القبيحة المذمومة التى يجب على القادرين منعها ، ومن لم يمنعها مع القدرة فسق . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار » رواه أبو داود ، وقد روى زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث ، عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة(٥)..

وعلى الرغم من ذلك ، نجد من علماء المسلمين المعـاصرين من ينصح مريديه قائلا « واذا مات عندك شخص فلا تكلف نفسك الجلوس ثلاثة أيام فى مكان

مخصوص مع صرف ما أنت محتاج اليه وتهمل أشـــغالك المطلوب تنجيزها وربما كان فى الورثة من لم يبلغ الحلم **كما يقع من غالب الناس وجرت بهم عوائدهم** وينظر بعضهم الى بعض فى ذلك وربما تداينوا بالربا أو باعوا ما هم مضطرون اليه وهذا ونحوه تأباه الشريعة المطهرة فعليك أيها العاقل بالوارد واترك كـــل ذلك فانه وبال ٠ **وامنع نساءك من الصياح واللطم ونحو ذلك والخروج الى المقابر** ٠٠٠ فان خروج النساء من أكبر المضرات »(٦) ٠٠ ويعنى كل ذلك أن العادات الاجتماعية والتقاليد المتعلقة بموضـــوع ظاهرة الموت والموتى ، على الرغم من التعاليم الدينية الاسلامية ، وبخاصة ما تعلق منهـا بدون السيدات المصريات المعاصرات ، ما زالت تعيش فى مجتمعنا المعاصر ٠

ويبدو أن الحزن عند المصريين بعامة وعنـــد المصريات بخاصة صـفة حميدة وبخاصة عند التوبة من الذنب أو الاســـتغفار « فاذا أردت التوبة فينبغى لك أن لا تخلو من التفكر طول عمرك فيما صنعت فى نهـــارك فان وجدت طاعة فاشكر الله تعالى عليها ، وان وجدت معصية فوبخ نفسك عليها واستغفر الله وتب اليه فانه لا أنفـــع لك من مجلس توبخ فيـــه نفسك **ولا توبخها وأنت ضاحك بل وبخها وأنت مجد صادق حزين القلب ذليل** ، فاذا فعلت ذلك أبدل الله تعالى الحزن فرحا والذل عزا والظلمة نورا والحجاب كشفا »(٧) ٠٠

ويجوز للمرأة أن تحد على قريبها الميت ثلاثة أيام ما لم يمنعها زوجها٠ ويحرم عليها أن تحد عليه فوق ذلك ، الا اذا كان الميت زوجها ، فيجب عليها أن تحد عليه مدة العدة ٠ وهى أربعة أشهر وعشر ــ لمـــا رواه الجماعة ، الا الترمذى عن أم عطية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحد المرأة على ميت فوق ثلاث الا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا ٠ ولا تلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب (برود يمانية) ، ولا تكتحل ، ولا تمس طيبا ، ولا تختضب ، ولا تمتشط الا اذا طهرت ، تمس نبذة (قطعة) من قسط أو أظفار (نوعان من العود الذى يتطيب به) » ٠ والحزن هنا ، أى حزن المرأة ، يعنى ترك ما تتزين به من الحلى والـكحل والحرير والطيب والخضـــاب ٠٠ **ويقع عبؤه على عاتق المرأة مدة العدة من أجل الوفاء للزوج ومراعاة لحقه !**(٨)٠

ولا يكون الحزن فى هذه المناسبات فحسب بل يبدو أن حزن المسلم أمر مطلوب فقد رغب الاسلام فى البكاء من خشية الله تعالى :

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، الامام العـــادل

وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمـال فقال انى أخاف الله **ورجل ذكر الله خاليـا ففاضت عيناه** ، رواه البخـارى ومسلم وغيرهما » ..

و « عن أنس رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط ، فقال « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين (يخفون البكاء) ، متفق عليه » .

و « عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى أرى ما لا ترون أطت السماء (بفتح الهمزة وتشديد الطاء ، و « تئط » بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة . والاطيط صوت الرحل والقتب وشبههما وهو حلية الجمل ومعناه أن كثرة من فى السماء من الملائكة العـابدين قد أثقلتها حتى أطت) وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى (خاضعا شاكرا) . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسـاء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات (بضم الصاد والعين : الطرقات) تجأرون (تستغيثون) الى الله تعالى ، رواه الترمذى وقال حديث حسن » .

و « عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله **حتى يصيب الارض من دموعه** لم يعذب يوم القيامة » . (رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد) .

و « روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت الآية « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » (٥٣ ك النجم : ٥٩ ـ ٦٠) ، بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسهم **بكى معهم فبكينا ببكائه** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم » (رواه البيهقى) .

و « عن مطرف عن أبيه قال ، رأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يصلى ولصـدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء ، رواه أبو داود ، واللفظ له والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .. وقال بعضهم ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، قوله (أزيز كأزيز الرحا) أى صوت كصوت الرحا ..

يقال أزت الرحا اذا صوتت والمرجل القدر ومعناه أن لجوفه حنينا كصــوت غليان القدر اذا اشتد » ..

و « عن ثوبان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، **طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى عــلى خطيئته** . رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير وحسن اسناده(١) » .

واذا كانت تعاليم الاسلام ترغب فى البكاء من خشية الله تعالى ، أو تكفيرا عن الخطيئه ، فانها أكدت أيضا الترغيب فى ذكر الموت .. وقد تعددت الاحاديث النبوية فى هذا الموضوع ، نذكر منها :

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : اكثروا ذكر هاذم اللذات ، يعنى الموت ، رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه ورواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن وابن حبان فى صحيحه ، وزاد : فانه ما ذكره أحد فى ضيق الا وسعه ولا ذكره فى سعه الا ضيقهـا عليه » .

و « روى عن عثمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى .. » رواه الطبرانى .

و « عن عبد الله بن عمر قال ، أخذ رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ببعض جسدى فقال : كن فى الدنيـــا كأنك غريب ، أو عابر سبيل **وعد نفسك فى أصحاب القبور** .. وقال لى يا ابن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدرى يا عبد الله ما اسمك غـــدا . رواه البيهقى وغيره نحو الترمذى » .

وذكر الموت ، هاذم اللذات لا يعنى تمنيه ، فعن أم الفضــل رضى الله عنها : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على العباس وهو يشتكى فتمنى الموت فقال : يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمن الموت ان كنت محسنا تزداد احسانا الى احسانك خير لك وان كنت مسيئا فان تؤخر تستعتب من اساءتك خير لك ، لا تتمن الموت .. رواه أحمد والحـــاكم واللفظ له وهو أتم وقال صحيح على شرطهما »(١٠) .

أى أن الاسلام يكره للمرء أن يتمنى الموت أو يدعو به لفقر أو مرض أو محنه أو نحو ذلك . ومع ذلك فان تمنى المسلم الموت والدعاء به جائز اذا خاف ذهاب شىء من دينه .. قال الله تعالى مخبرا عن قول يوسف عليه

الصلاة والسلام لما نال الرسالة والملك : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (١٢ ك يوسف : ١٠١) • وقالت مريم عليها السلام « يا ليتنى مت قبل هـذا » (١٩ ك مريم : ٢٣) •• وروى الامام مالك رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه » •

وقد جعل الله الموت من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله « فأصابتكم مصيبة الموت » (٥ م المائدة : ١٠٦) • وقد ذكر الموت ، لفظه ومشتقاته ، فى مواضع عديدة فى القرآن • **وقد ذكر فى سور القرآن الكريم وآياته ١٦٥ مرة**(١١) •

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال وللنساء ، ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء • وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **لعن زائرات القبور** والمتخذين عليها المساجد والسرج ، رواه أبو داود والترمذى وحسنه• وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور ، رواه الترمذى وابن ماجه أيضا(١٢) •

ومع ذلك فاننا نجد فى ضوء التراث الثقافى المصرى القديم ، أن النساء المصريات المعاصرات يزرن المقابر ، مقابر الاقرباء المقربين وغير المقربين ، ومقابر الأولياء والقديسين ، ومقابر غير أولئك وهؤلاء •• فالملاحظ أن تقاليد زيارة القبور قد بدأت منذ العصور القديمة واستمرت حتى الآن •• أى أننا ورثناها اجتماعيا وثقافيا من الماضى السحيق •• فنحن نزور موتانا ، الأقرباء وغير الاقرباء ، فى المواسم وغير المواسم ، للصلاة لهم أو لندعاء لهم ، أو لتوزيع الصدقات •• وقد يصل أمر زيارة الموتى الى المبيت فى مقابرهم • وفى ضوء الظروف المعاشية المعاصرة لمدينة القاهرة نجد الكثيرين يسكنون فى هذه المقابر •• أى أنهم يعيشون حياتهم العادية وما يكتنفها من أمور انسانية ومواقف بشرية فى مقابر الموتى •

وقد سجل التاريخ المصرى منذ القرن العشرين ق•م• تقاليد زيارة الأحياء لمقابر الموتى ، فى خلال الأعياد التى كان يحتفل بها فى المدينة الاقليمية التى كان يحكمها الشريف الثرى « حبزافى » الاسيوطى •• وكان الاحتفال بهذه الأعياد يعم الأحياء ، والأموات على السواء •• وهو يشاهد مثل ذلك الى اليوم بالجبانات الاسلامية فى مصر فى عيد الفطر وباقى الأعياد

الاسلامية ·· ولعل هذا النوع من الاحتفال أن يعتبر أقدم مثال للاحتفال بيوم عيد « كل الارواح » المسيحى (All Saints Day) كل عام(١٣) ·

وفى ضوء كل ما سبق يتأكد لنا **أن الحزن والبكاء ، وبخاصة الحزن على الأموات والبكاء عليهم ورثائهم ، والنظم التى تنسق كل ذلك سواء كانت نظما يقرها الدين المسيحى أو يقرها الدين الاسلامى والتى لا يقرها دين - هى كلها عادات ثقافية اجتماعية قديمة قدم الدهر ومستمرة حتى الآن ··** والملاحظ أن عبء الاحتفاظ بها يقع على عاتق النساء المصريات ·· فهن الباكيات ، النائحات ، الراثيات ، الحزينات ، الحريصات على زيارة القبور·· **أى هن حاملات هذا التراث وحافظاته فى معظم الأحيان ··**

وقد تأكد استمرار هذه العادات الثقافية الاجتماعية فى ضوء نتائج دراسة قمت بها عن « نظرة القادة الثقافيين المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى » · أى أنها تهدف الى التعرف على نظرة فئة معينة من المصريين الذين يؤهلهم المجتمع المصرى المعاصر ليؤدوا مهام القادة الثقافيين فى هذا المجتمع ، نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، أى التعرف على معنى الموت عندهم وعلى مدى اعتقادهم فى وجود أو عدم وجود حياة بعد الموت أو حياة فى القبر أو حياة فى الآخرة ، وعلى مدى خوفهم من ظاهرة الموت أو عدم خوفهم منها ومدى كراهيتهم لهذه الظاهرة أو عدم كراهيتهم لها · والتعرف أيضا على أحاسيسهم عندما يموت أقاربهم أو الغرباء عنهم وعلى مدى اهتمامهم بأداء واجبات معينة نحو الموتى الأقارب المقربين أو الموتى الأقارب الآخرين أو الموتى الغرباء أو الموتى من أولياء الله والقديسين ·· والتعرف كذلك على مدى تأثير الموتى عليهم سواء كان هؤلاء الموتى موتى أقارب أو موتى من أولياء الله أو القديسين أو أشخاصا ماتوا ميتة غير طبيعية ·· واذا كانت نتائج هذه الدراسة قد أكدت استمرار العادات الثقافية الاجتماعية المتعلقه بالنظرة نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى فى المجتمع المصرى المعاصر فى محيط هؤلاء القادة الثقافيين ، فمن باب أولى أن يكون استمرارها فى محيط أعضاء المجتمع فى القطاعات الأخرى · بل ان خطرها ان وجد هذا الخطر فى هذه الحالة يتزايد ·· **باعتبار أن تأثير القادة أو من فى حكمهم فى تأكيد الاستمرار جيلا بعد جيل سيكون بالغا** · ومع ذلك فلابد من أن أؤكد أن الشعب المصرى شعب يحب الحياة ويعشقها ولا يرفضها ، ويحب الدعابة ويتقن صناعتها ، ويحب الغناء والطرب ·· فهو اذ يقول مثلا « اكرام الميت دفنه » فسرعان ما يقول « **ان الحى أفضل من الميت** » · وهو اذ

يخشى الموت فى بعض الأحيان لا يخشاه فى أحيان أخرى ، واذ يكره الموت ويمقته فانه لا يفعل ذلك دائما ٠ وترى أمه أو أخته أو زوجته أو ابنته !! أو حتى جارته ، اذ تلبس السواد وتطلق صوتها بالرثاء والنواح فى مناسبة الموت ، فانها تلبس الملابس ذات الألوان الزاهية وتطلق صوتها بالغنـــاء والزغاريد ، القصيرة منها والطويلة ، فى مناسبة الفرح ٠٠ وكأن لســـان حالها يردد المثل الشعبى المصرى القائل : « النهاردة قهر وبكره قهر هـــو العمر فيه كام شهر ؟ »(١٤) ٠

المراجـــع والتعليقات

١ - سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقـــافية المصرية المعاصرة ، القـــاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، صفحات ١٦٥ - ١٦٩ .

٢ - محمد صقر خفاجة : هردوت يتحدث عن مصر ، مراجعة أحمد بدوى، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٩٢ .

٣ - جمعية الكراريس البريطانية : مغنى الطلاب فى مواضيع الـكتاب ، أى فهرس المواضيع فى الكتب الالهية ، بيروت ، ١٨٨٤ ، صفحات ٢٢٣ - ٢٢٥ .

٤ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثـانية ، مكتبة الآداب ، صفحتا ٦٠ - ٦١ .

٥ - محمود خطاب : فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ، القاهرة، المطبعة الحسينية بكفر الطماعين ، صفحة ٢٢ .

٦ - محمود خطاب : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ، صفحتا ٥ - ٦ .

٧ - المرجع السابق : صفحة ٨ .

٨ - فقه السنة : الجزء الرابع ، صفحة ٦٢ .

٩ - الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القـــوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث ، الجزء الرابع ، القـــاهرة ، مكتبة صـــبيح ، صفحات ٦٦ - ٦٩ .

أنظر أيضا :

- محى الدين أبو زكريا بن شرف النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٥٦ ، صفحات ١٨٨ - ١٩١ .

١٠ - الترغيب والترهيب من الحديث ، الجزء الرابع ، صفحات ٧٠ - ٧٧ .

١١ – سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القـــاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، صفحات ٣٨ – ٤٠ ٠

١٢ – الترغيب والترهيب من الحديث ، الجزء الرابع ، صفحة ١١٨ ٠

١٣ – جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، الألف كتاب (١٠٨) ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ ، صفحات ٢٤٠ – ٢٤٥ ٠

١٤ – سيد عويس : عطاء المعدمين ، نظرة القادة الثقافيين المصريين المعاصرين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

٢ - شكاوى النساء المصريات وطلباتهن المرسلة الى الموتى

من الملاحظ أن زيارة قبور وأضرحة الموتى العاديين أو الموتى من الأولياء والقديسين لا يقصد بها فى الغالب ، الصـــلاة لهم أو الدعاء لهم أو توزيع الصدقات أو الوفاء بالنـــذور فحسب ، بل ان بعضهم يقصدون من هـــذه الزيارة أمورا أخرى ٠٠ منها الحصـــول على البركة ، ومنها - وهـــذا بيت القصيد - الشكوى اليهم أو الطلب منهم ٠ وقد يشكو بعضهم الى الموتى العادبين أو الموتى من الأولياء والقديسين أو يطلبون حاجتهم منهم شفاهة أو يفعلون ذلك **عن طريق ارسال الرسائل** ٠٠ والملاحظ أن ظاهرة ارسال الرسائل الى مقابر الموتى ظاهرة قديمة جـــدا ، قد وجدت فى العصر المصرى القـــديم ، واستمرت فى العصور التى تلت ذلك وحتى وقتنا هذا ٠٠ ففى دراستى عن موضوع « ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » الذى مات منذ حوالى ١١٥٨ عاما ، لاحظت أن مرسلى الرسائل من الذكور والاناث ٠٠ وقد تبين أنه على الرغم من أن عدد الرسائل ، موضوع الدراسة ، هو ١٦٣ رسالة (منها ثلاث رسائل غير واضحة) فقد اتضح أن عدد مرسلى هذه الرسائل هو ١٧٥ شخصا : ٨٠ منهم من الذكور أى بنسبة نحو ٧ر٤٥٪ ، و٨٠ من الاناث أى بنفس النسبة ، أما البـــاقى وقدره ١٥ شخصا أى بنسبة نحو ٦ر٨٪ فلم يمكن التعرف على نوعهم ٠٠ وقد تبين أن عـــدد الرسائل التى تضمنت شكاوى هو ١٤٧ رسالة ، أى بنسبة نحو ٢ر٩٠٪ من الرســـائل كلها ٠٠ وكان عدد الشكاوى هو ١٨٥ شكوى ، قدمها ١٦٢ شخصا : منهم ٧٨ من الاناث أى بنسبة نحو ١ر٤٨٪ ، و ٧٥ من الذكور أى بنسبة نحـــو ٣ر٤٦٪ ، وتسعة أشخاص تعذر التعرف على نوعهم أى بنسبة نحو ٦ر٥٪ ٠٠ أى أن نسبة عدد الشاكيات الاناث **أكبر من نسبة** عدد الشاكين الذكور ٠٠ وقد لاحظنا أن من بين الرسائل التى تضمنت شكاوى وعددها ١٤٧ رسالة ، ٨٨ رسالة (أى نحو ٦٠٪ منهـــا) قد ذكر فيها اسم المشكو فى حقهـــم ونوعهم ٠٠ وقد تبين أن عدد المشكو فى حقهم المذكورين هو ٢١١ مشكوا فى حقه ، منهم ١٤٤ ذكرا ، و ٦٧ أنثى ٠٠ أى أن عـــدد المشكو فى حقهم من الذكور **أكثر من ضعف** عدد المشكو فى حقهن من الاناث ٠

وقد تبين أن شكاوى مرسلى الرسائل (ذكورا كانوا أو اناثا) متعددة الأنواع : منها شكاوى الاعتـــداء على الأموال ، وشكاوى الاعتداء عـــلى الأشخاص ٠٠ والشكاوى التى فى نطاق الأسرة ٠٠ والشـــكاوى التى فى

نطاق العمل ٠٠ ثم الشكاوى الأخرى وهى عبارة عن شكاوى بسبب اعتداء لم يبين نوعه ، أو شكاوى لم تبين أسبابها ، وشكوى بسبب قضية ، وشكوى بسبب الحرمان من معاش الضمان الاجتماعى ٠٠

وكما تضمنت هذه الرسائل شكاوى ، تضمنت أيضا طلبات ٠٠ واذا كان عدد الرسائل التى تضمنت شكاوى هو ١٤٧ رساله ، فان عدد الرسائل التى تضمنت طلبات كان ١٥٣ رساله ، اى بنسبة ٩ر٩٣ من الرسـائل كلها ٠٠ وكان عدد الطلبات ٢٤٩ طلبا (يلاحظ أن عدد الشكاوى كان ١٨٥ شكوى فقط) ، قدمها ١٦٨ شخصا : منهم ٧٩ طالبة أنثى اى بنسبة نحو ٤٧٪ ، و ٧٧ طالبا ذكرا ، أى بنسبه نحو ٨ر٤٥٪ ، و١٢ شخصا لم نستطع التعرف على نوعهم ، أى بنسبه نحو ٢ر٧٪ ٠٠ اى ان نسبة عدد الطالبات الاناث أكبر من نسبة عدد الطالبين الذكور ٠

وقد تبين أن طلبات مرسلى الرسائل (ذكورا كانوا أو اناثا) متعددة الأنواع ٠ منها طلبات الانتقام ٠ وطلبات الحكم العادل ورفع الظلم ٠ وطلبات أخرى ، وهى عبارة عن طلبات قراءة الفاتحة ، والشفاء من المرض ، والانتقال الى القاهرة ليكون بجوار الامام الشافعى ، والصلح مع الاعداء ، وصـلاح العائلة ، وطلب عمل ، وطلب زواج ، وطلب اعادة شخص غائب ، وطلب فناء اسرائيل ، وأخيرا طلبات لم يدرك فيها شىء صراحة ٠٠ ثم الطلبـات الشكلية ، ويقصد بها طلبات اشراك أوليـاء أخرين فى نظر الشـكوى ، وطلبات عقد جلسة المحكمه الباطنية(١) ٠

واذا كانت ظاهرة ارسال الرسائل الى مقـابر الموتى ظاهرة مصرية قديمة منذ المملكة القديمة ، فانه يبدو أنها بقيت فى العصر المسيحى ، لانها استمرت حتى الآن ٠٠ وقد لاحظت فى ضوء أحد المراجع(٢) ، الذى يتحدث عن ورقة بردية سحرية من العصر المسيحى فى القرن الرابع أو القرن الخامس الميلادى ، أنه يذكر انه على الرغم من أنها ورقة سـحر ، فهى تتضمن طلب المعاونه والمساعدة من السيد المسيح ومارى العذراء ومن كل ملائكة الطبقة العليا ميكائيل وجبرائيل وسوريال **ومن زكريا القديس ومن الشهداء فضلا عن احد المتوفين** « الذى يوجد فى كنف الاله » ٠٠ ويتضمن طلب المعـاونة والمساعدة فى هذه الحاله الانتقام من « شخص معين » وذلك باصابته بمرض خطير (الجذام) قبل أن ينزل فى قبره ٠٠ ان طلب المساعدة من أحد الموتى العاديين لا ينفى بالضرورة عدم وجود حياة فى القبر كما يعتقد المسيحيون ، **ولكنه يؤكد استمرار فكرة مصرية قديمة تقول ان مرض الاحياء يرجـع الى**

أرواح الموتى التى تتخذ موقفا عدائيا من الشخص المريض ·· ويعزز ذلك ما ذكره الكتاب المقدس وهو يحذر قائلا « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر · ولا من يرقى رقيه ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى · لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب » (تث ١٨ : ١٠ ــ ١٢) ·

والملاحظ أن ورقة السحر المذكورة قد كتبت ضد شخص يحتمل أن يكون اسمه « يعقوب » وهى تتضمن ما يلى :

« يعقوب + + + يا ميكائيل ويا جبرائيل ويا سوريال (من ملائكة الطبقة العليا) ، ان المنجلة ستنتقض من السماء فتدمر بالاصـــابة بمرض الجذام ، يا أب شتيير ؟ الذى يوجد فى كنف الاله (أى الشخص المتوفى) دعه ينزل (فى القبر) وهو مصاب بمرض الجذام · خمسة آلاف وأربعمائة شهيد (دعوه ينزل) وهو مصاب بمرض الجذام ··

يا مارى التى ولدت المسيح ، دعيه ينزل وهو مصاب بمرض الجذام ، يا سوريال ويا جبرائيل فلينزل وهو مصاب بمرض الجذام ·· انهض وأنت غضبان تعانى نهاية معذبة ·· سيدى المسيح دعه ينزل وهو مصاب بمرض الجذام · + + + ····· ، دعه ينزل الى نهاية معذبة عند الأب شتيير (؟) يا يعقوب » ··

وفى ظهر ورقة البردى نجد :

« دعه ينزل الى نهاية معذبة ·· يا سيدى ، دعه ينزل وهو مصـــاب بمرض الجذام » ·· (أنظر الوثيقة رقم «١») ··

وقد كانت الرسائل الى الموتى تكتب فى العصر المصرى القديم ، عادة ، على وعاء أجوف اسطوانى الشكل يشبه « السلطانية » ، وهو مصنوع عادة من الخزف أو الفخار ·· وقد كانت تكتب هذه الرسائل على ورق البردى أو على ورق مصنوع من الـــكتان اذا كان مضمون الرسالة طويلا ·· ولعـــل استعمال الاوعيه الخزفية أو الفخارية كوساطة بين الاحياء والاموات (أى أداة للمراسلة) لم يكن مجرد صدفة ، ذلك لأن الطقوس الجنازية المتعلقة بدفن الموتى فى العهد المصرى القديم ، كانت تقتصر أحيانا على أراقة الماء وتقديم وعاء يحتوى الخبز أو الحبوب ، يوضع أمام أحد أبواب المقبرة الذى يقـــــام خصيصا للتمويه (أى البـــاب المزيف للقبر) · ويعنى ذلك أن أوعيتنـــا المكتوب عليها اذن كانت عناصر حقيقية (أصيلة) من طقوس الدفن المعتادة ،

أما استعمالها كوسيلة لنقل الرسائل الى الموتى فلم يكن الا مسألة ثانوية أو عارضة ..

ولعل المصريين القدامى (الأحياء) كانوا يؤكدون لأنفسهم بأن آباءهم أو أزواجهم الموتى لابد وأنهم سيحصلون علـى الطعام الذى تحتويه هـذه الأوعية ، ومن ثم فانهم أى المصريين القدامى الأحيـاء سوف يضمنون اذا ما كتبوا على هذه الاوعية شكاواهم أو أنينهم أو طلباتهم فى رسـائل ، أن تصل هذه الرسائل الى هؤلاء الموتى . وقد تبدو فكرة الاتصال بالموتى عن طريق ارسال الرسائل اليهم عند بعض القراء المعـاصرين فكرة سـاذجة ، ولكنها كانت مسألة طبيعية عند المصريين القدامى الذين كانوا يصرون عـلى حياة الجسد بعد الموت .. واذا كان ارسال الرسائل يكون عادة فى الحيـاة وسيلة للاتصال بالاشخاص الغائبين ، فان الموتى عند المصريين القدامى وان كانوا حاضرين دائما فان اعتقادهم غالبا ما يجعلهم يتصـورون أن الموتى يكونون دائما على سفر وبعيدين من قبورهم . فهم فى السماء العليـا فى مركب الشمس أحيانا ، وهم يزورون ضـياعهم وحقولهم أو يصطادون فى المستنقعات أحيانا أخرى .. ومن ثم فانه من الواضح أن تكون أنجع وسيلة للوصول الى هؤلاء الموتى هى ارسال الرسائل .. ولم يكن ارسال الرسائل فى ذلك الحين لمجرد الرغبة فى الاستمرار فى الاتصال بالموتى .. ان الهدف كان أكثر من هذا ما فى ذلك من شك .. ذلك لأن المصريين القـدامى كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا بأن للموتى نفوذا كبيرا الى درجة أنهم يؤثرون فى مصائر الأحياء فى السراء والضراء وبناء على هـذا فانهم يطلبون العون من الموتى الذين يمكنهم أن يعتمدوا على حبهم ورحمتهم . والمصريون القدامى اذ يكتبون رسائلهم الى هؤلاء الموتى قد يشيرون فيها الى أمور أحدثت لهم الأضرار **من أشخاص لا يعرفونهم أو من أشخاص يعرفونهم** . وقد يطلب أحدهم من أحد الموتى الأعزاء عليه **رفع دعوى ضد شخص ميت آخر** ، أذاه أو أضر به على أساس أن الاثنين يسكنان فى مدينة واحدة (مدينة الموتى) وأن الكتبة المتخصصين موجودون فى نفس المدينة . أى أن المحكمـة المتخيلة موجودة فعلا فى عالم الاموات ، وتسمى كما أكدت النصوص « **محكمة الاله الأعظم فى مدينة الأموات** »(٣) .

(الوثيقة رقم «١»)

المراجـــع والتعليقات

١ - سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارســـــال الرسائل الى ضريح الاما مالشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ .

أنظر أيضا : (سيد عويس : عطاء المعدمين ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحة ١٦٨) .

٢ -

— Roger Râmondon, "Un Papyrus Magique Copte", Extrait du Bulletin de l'Institut Français d'Archéologue Orientale, T.L 11, Le Caire, 1953.

٣ -

— A.H. Gardiner and K. Sethle, "Egyptian Letters to the Dead", London, 1928, pp. 9-11.

— A. Piankoff and J. Clère, "A Letter to the Dead on A Bowl In the Louvre" Reprinted from "The Journal of Egyptian Archeology", vol. XX, Parts III & IV, 1934.

٣ - المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية فى الماضى من رسائلها الى الموتى

والملاحظ أن الرسائل القديمة المرسلة الى الموتى فى العهد المصرى القديم التى عثر عليها وتمت ترجمتها حتى الآن قليله ‥ وهى رسائل مرسلة من الذكور ومن الاناث على السواء ‥ والملاحظ أيضا أن مضامينها أنواع ‥ والرسائل القديمه التى تحت يدى لم توجه الى ولى أو الى قديس ، وان ذكر فى مضمونها بعض الآلهة أو الموتى السابقين أحيانا ، وانما وجهت الى موتى من الاقارب المقربين ‥ ولعدم وجود العدد الكافى من هذه الرسائل لدى ، فلا يمكن أن أتجرأ وأعمم ‥ أى أن كل كلامى عن هذه الأمور حتى الآن كلام فيه الكثير من التحفظ ‥ وسأحاول فيما يلى أن أذكر بعض هذه الرسائل ، **وبخاصة ما تعلق منها بالاناث المصريات اللاتى كن يعشن فى ذلك العصر السحيق ‥**

كتبت الارملة « ارتى » (Irti) رسالة الى زوجها المتوفى « سى أنخنبتاح) (Se'anknenptah" فى عهد الأسرة السادسة‥ويبدو أن هذه السيدة كانت تحت وطأة محنة عظيمة ‥ وكان الزوج المتوفى أبا لابنها « اى » (Iy) ٠ وقد كتبت الأرملة «ارتى» الرسالة أو أملتها على كاتبها ومع ذلك فان الابن اليتيم «اى» كان متضمنا فيها‥والزوج أو الأبالمتوفى كان كما يبدو فى حياته المحامى الطبيعى لهما ‥ والملاحظ أن الرسالة المذكورة تتضمن « اى » آخر هو « اى الاكبر » ، ويبدو أن الشخص الأخير هو جد الابن اليتيم « اى » لابيه ‥ (يلاحظ استمرار عادة تسمية الأبناء من الأولاد الذكور بأسماء أجدادهم لآبائهم حتى الآن وبخاصة فى الريف المصرى المعاصر) ‥ وتتضمن الرسالة عنصرا واضحا من المرارة ‥ ولعل ارسال الرسائل الى مقابر الموتى ، فى تلك الحقبة وما بعدها ، أن يكشف عما يسكبه بعض الناس على القرطاس من عواطف ومشاعر صادقة ، مكبوتة ٠ فهم ، وقد أعيتهم الحيلة تلو الحيلة ، يجدون فى ارسال الرسائل الى الموتى احدى الوسائل التى تفرج عما فى نفوسهم ‥ ويبدو تأنيب الأرملة لزوجها المتوفى واضحا فى الرسالة ٠ وينصب هذا التأنيب على سلوك الزوج المتوفى الذى يختلف عما كا نعليه وهو فى حياته ‥ أى أن الزوج المتوفى لا يفعل شيئا ليزيل المحنة التى تعانى منها هى وابنها فى الوقت الحاضر ، وكان على العكس من ذلك وهو فى حياته ، كان المحامى الطبيعى لهما ‥

تفول الأرمله « ارتى » فى رسالتها :

« انها أخت تتحدث الى أخيها ، وانه ابن يتحدث الى أبيه ٠٠ أرجو أن تكون منزلتك منزلة الذى يعيش (حقا) ملايين المرات ٠٠ الله اله الغرب يمد لك العون حسب مشيئته ٠٠ الله « أنوبيس » (Anubis) اله الموتى يمد لك العون حسب مشيئه » ٠٠

« هذه رسالة تذكير شفوية عما حدث وأنت راقد عـــلى فراش الموت وكنت جالسة بجوار رأسك عندما حضر رسول « بيهزتى » (Behezti) (يبدو أنه الشخص المعتدى الرئيسى) بقصد التوصية بـ « اى بن ارتى » (أى الابن اليتيم) حتى يكون تحت رعاية رسول « بيهزتى » ٠٠ وقد قلت اذ ذاك لهذا الرسول مهددا « احمه خشية غضب اى الاكبر » (جد اليتيم لأبيه) ٠ فلينخر السوس الخشب المصنوع منه سريرى اذا كان يحصـــل شخصا يمنع ابنا لرجل (أى الابن اليتيم) ينام عليه ٠٠ ولكن الآن جاءت « وابيت » (Wa'buat) ويصحبها « ازيزى » (Izizi) (لعله أن يكون زوجها) ودمرا بيتك ٠٠ لقد أخذت كل شيء كان فيه حتى يصبح «ايزيزى» عظيما ٠٠ انهما يرغبان فى تعظيم ابن « ايزيزى » على حساب تدمير ابنك ٠٠ لقد أخذت (وابيت) معها الخادمات الثلاث ٠٠ انها فى الواقع أخـــذت كل شيء فى منزلك ٠٠ هل سيهدأ قلبك ازاء كل هذا ؟ اننى أفضل أن تأخـــذ لنفسك الذى هنا عندك (أى أن يموت ابنهـــا « اى ») على أن أراه يعيش خاضعا لابن « ايزيزى » ٠٠ أيقظ أباك « اى الاكبر » ضـــد « بيهزتى » ، وانهض أنت نفسك أيضا ضده ٠٠ أنت تعرف من الذى يستطيع أن يقاضى « بيهزتى » (ومن معه) ٠٠ فلتقف أنت ضـــدهم ومعك أبوك واخوتك وأصدقاوك (يلاحظ أن هؤلاء موتى) لـــكى تطيحوا بـ « بيهزتى » (ومن معه) ٠٠ وتذكر أنك قلت لـ « اى بن ارتى » (ان بيوت الاباء وجـــدت لتبقى) ، وتذكر أنك قلت أيضا (بيت الابن ٠٠ ثم بيت الابن » ٠٠ فليوطد ابنك دعائم بيتك كما وطدت أنت دائما بيت أبيك ٠٠٠ »(١) (أنظر الوثيقة رقم «٢») ٠٠

وكتبت الأرملة « ديدى » (Dedi) رسالة على وعاء مصنوع من الفخار الأحمر الخشن ، تلوم فيها زوجها القسيس المتوفى « أنتف بن أيو ناخت » (Antef born of Iwnakht) فى خلال عهد الأسرة الثانيـــة عشرة أو قبل ذلك بقليل ٠٠ ولعل مضمون هذه الرسالة أن يوضح للقارىء سبب هذا اللوم ٠٠ وملخصه أن خادم الأسرة مريضة والزوج المتوفى قد أهمل فلم

يمد يد المساعدة ليشفيها ·· والملاحظ أن مرض الأشخاص الأحياء كان عند المصريين القدامى يرجع كما هو معروف الى أرواح الموتى التى تتخذ موقفا عدائيا من الشخص المريض ··

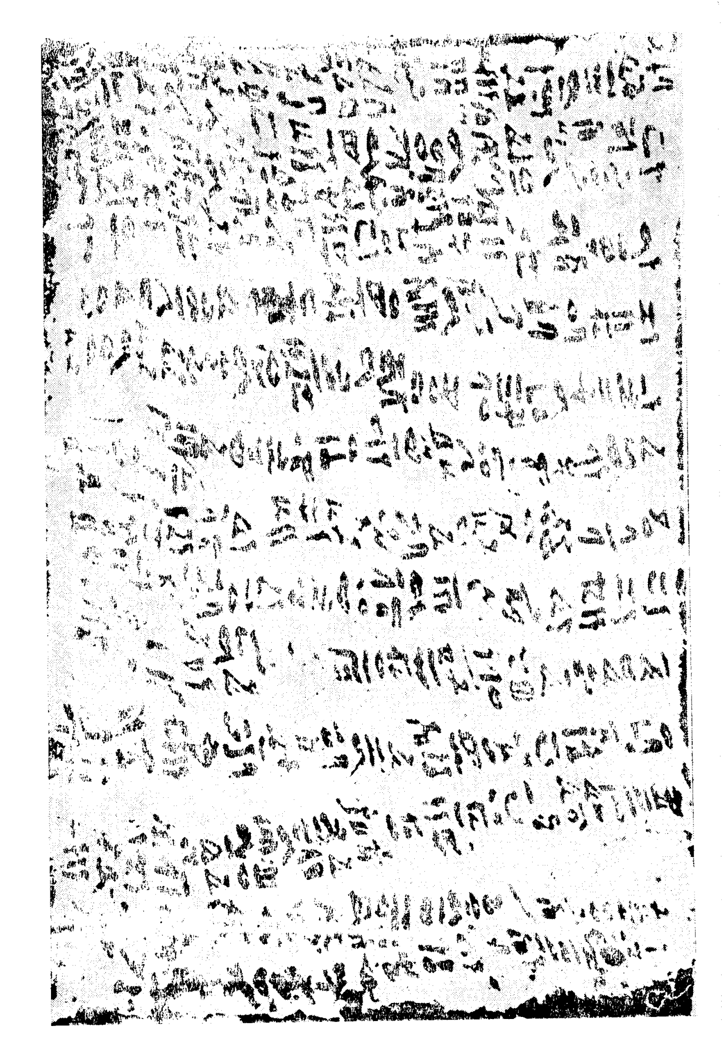
تقول الأرملة « ديدى » :

« من حيث الخادم « ايميو » (Imiu) المريضة ، فانك لم تكافح من أجلها ليلا أو نهارا ضد أى رجل يؤذيها أو ضد أية امرأة تؤذيها ·· ولهذا السبب فان البيت قد هجره الناس ·· كافح من أجلها من اليوم ، وكأنك تبدأ من جديد ·· حتى ترجع الحياة الى البيت ، وحتى يتيسر تدفق المياه من أجلك ·· واذا لم تبادر بالمساعدة فان البيت سيخرب ويدمر ·· هل يمكن أن لا تعترف بالدور الذى تقوم به هذه الخادم من أجل بيتك أمام الناس ؟ كافح من أجلها واسهر عليها ! وانقذها من كل الرجال والنساء الذين يؤذونها ·· وعندئذ ستتوطد أركان بيتك وسينعم أطفالك ·· ولعل استماعك لى أن يكون جيدا »(٢) (أنظر الوثيقة رقم «٣») ·

والرسالة التالية هى من زوج أرمل كتبها على صحيفة من ورق البردى ، وهو ورق رقيق ولونه فاتح جدا الى زوجته المتوفاة فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ·· كان قد اعترى هذا الزوج المرض بعد موت هذه الزوجة بحوالى ثلاث سنوات ·· أى أن هذه الرساله قد وضعت فى القبر بعد دفن الزوجة المتوفاة بعد هذه الفترة ·· والملاحظ كما سبق القول حول مرض الأحياء من أنه فى ذلك الزمن الغابر كان الاعتقاد أن المرض كان يرجع الى أرواح الموتى التى تتخذ موقفا ليس وديا ، ان لم يكن عدائيا ، من الشخص المريض ·· وقد كتب الزوج المريض رسالته شاكيا الى زوجته المتوفاة وهو ينضح بالألم ويحاول أن يستعطفها ويسترضيها لعله أن يشفى من المرض الذى ألم به ··

يقول الزوج الأرمل فى رسالته :

« الى الروح الممتازة ، روح « أنخيرى » (Ankhere) ·· ماذا فعلته من سوء حتى أجد نفسى فى هذه الحالة السيئة التى أنا فيها الآن ؟ ماذا فعلته بك حتى تضعى يدك على من غير أن أكون قد فعلت بك سوءا ؟ عندما كنت



(الوثيقة رقم «٢»)

(الوثيقة رقم «٣»)

زوجا لك وحتى اليوم ، ماذا فعلته ضدك ويدعونى الى أن أخفيه ؟ ماذا فعلته بك ؟ من آجل ما فعلته ، **يجب أن أرفع دعوى اتهام ضدك** ‥ ماذا فعلته بك ؟ سأقدم شكوى بكلمات فمى **ضدك أمام الآلهة التسعة الذين فى الغرب،** وسيحكمون بينى وبينك (عن طريق) هذه الكتابة (الرسالة) ، حتى فيما يمكن أن يجادل فيه فيما كتب ويكون له صلة باتهامك ‥ ماذا فعلته بك ؟ لقد اتخذتك زوجة عندما كنت فى سن الشباب ‥ وكنت وأنا معك أتقلد أنواعا عديدة من الوظائف ‥ كنت معك ولم أتخل عنك ، ولم أدخل على قلبك أى هم ‥ وقد فعلت كل ذلك عندما كنت شابا ، وعندما كنت أتقلد كل أنواع الوظائف الهامة فى خدمة الفرعون ، ولم أفكر فى التخلى عنك ، ولكنى كنت أقول « انها كانت دائما معى » ، هذا ما كنت أقوله ‥ وكل شخص كان يأتى الى لم أكن أقابله ضد رغبتك ‥ ولكن أنظرى ها أنت ذى لا تتركينى سعيدا ‥ **سأقاضيك حتى يتبين الخطأ من الصواب** ‥ وعندما كنت أدرب ضباط سلاح الفرسان البواسل من جيش فرعـــون ، جعلتهم يحضرون ليخروا سجدا أمامك ‥ وقد قدموا اليك أنواعا عديدة من الأشياء الطيبة ‥ اننى لم أخف عنك شيئا طوال حياتك ‥ ولم أجعلك تعانين ألما ألبتة ‥ هذا ما فعلته معك على غرار ما يفعله السيد ‥ وانك لم تجدينى غير مكترث بك على غرار ما يفعله الفلاح عندما يدخل بيتا آخر (بقصــــد الخيانة الزوجية) ‥ وانى لم أعط أحدا الفرصة لــــكى يحتج على فى كل ما كنت أفعله معك ‥ وعندما عينت فى منصبى الذى أشغله الآن ، لم يكن فى مقدورى أن أعود الى البيت كما اعتدت من قبل ‥ ومع ذلك فقد فعلت ما يفعله شخص مثلى كما لو كان فى البيت ‥ وبخصوص المراهم والزيوت والمؤن والملابس الخاصة بك (لقد كتب فى نص الرسالة « الخاصة بى ») فقد أرسلتها اليك ولم أرســـلها الى بيت آخر ٠ قائلا لنفسى « ان زوجتى هناك » فأنا لم أتخل عنك ‥ انظرى ، انك لا تدركين الخير الذى فعلته من أجلك ‥ اننى أرسل اليك لأدعك تعلمين ماذا تفعلين ؟ وعنـــدما مرضت بذلك المرض الذى أصابك ، أمرت باستحضار طبيب ضليع ليقوم بعلاجك ، وقد فعل كل شىء طلبت منه أن يفعله ‥ وعندما طلب منى أن أرافق الفرعون فى رحلته الى الجنوب ، وأنت على هذه الحال ، قضيت هذه الثمانية شـــهور دون أن آكل أو أشرب كما يفعل الناس ‥ وعندما رجعت الى منفيس طلبت أجازة من الفرعون وحضرت الى حيث كنت ‥ وبكيت بافراط وشـــاركنى أهلى هذا البكاء ، أمام منزلى ‥ وجئت بملابس مصنوعة من التيل لكى تلفى فيها ، وأمرت بصنع ملابس عديدة ، ولم أدع شيئا طيبا الا فعلته لك ٠ والآن ، انظرى ، لقد مضت ثلاث سنوات ، وأنا أعيش وحيدا ، ولم أدخل

فيها بيتا آخر ، لانه لا يليق بشخص مثلى أن يفعل ذلك ٠٠ انظرى لقـــد فعلت ذلك كله من أجلك ٠٠ ولكنك لا تميزين بين الطيب والخبيث ٠ وسيكون الفصل بينى وبينك ٠٠ ولاحظى أن الاخوات موجودات فى البيت ، وانى لم أذهب الى أيه واحدة منهن »(٣) ٠٠ (أنظر الوثيقة رقم «٤») ٠٠

وقد ذكر كل من « ايتين دريوتون » و « جاك فانديبه » فى كتابهمـــا « مصر » ، أن المصريين القـــدامى كانوا ينسبون للميت الذى يؤله « أمن » (آمون) سلطة عظمى يزاولها لا فى العالم الاخر فحسب ، بل عـلى الارض أيضا ٠٠ وابدا الاعتقاد فى قدرة الموتى على الاضرار بالاحياء أو نفعهم ، وان هذا الاعتقاد كان موجودا فى مصر منذ زمن بعيد جـــدا ٠٠ وقد ذكرا أن الكاهن الاكبر « باى نجم الثانى » قد حرر الى زوجته « نس خنسو » المتوفاة ورقه بردى ينقسم نصها الى قسمين : « الاول منهما نشيد للاله « آمن » والثانى على شكل اعلان من « أمن » عن موضوع المتوفاة ٠ ومن البديهى أن « باى نجم » هو الموحى بهذا الاعلان ان لم يكن مؤلفـه ، وربمـا كان لدى الكاهن الاعظم سبب ما يدعوه للخوف من انتقام زوجته ٠٠ لذلك جعل الاله ينطق بعبارات للتهدئة ، الغرض الأساسى منها أن يجلب على نفسه وعـــلى حريمه وعائلته حماية « نس خنسو » ، وجعل الاله يمنحها شهادة الاخلاص لزوجها ٠٠ اذ يقول « أى الاله « آمن » : (أبدا لم تحاول نس خنسو أن تقصر حياة زوجها ولا أن تجعل سواها يقصرها ولم تستعمل نحوه أى سوء آثم ، ولهذا اله الاله « نس خنسو » وحول قلبها فى اتجاه غاية المنفعـــة لباى نجم) ٠٠

ولعل هذه الورقة البردية وما حوته من مضمون ، ولعل غـــيرها من أوراق البردى الجنازية الأخرى التى عثر عليهـا فى توابيت الـكاهن الاكبر « باى نجم الثانى » وزوجته « نس خنسو » ، تدل على أن « أمن » كان هـــو الاله الأول خالق الآلهة والناس ، وبهذه الصفة كان بالغ القدرة وكل ما هو كائن يعتمد عليه اعتمادا وثيقا ، وبذلك أصبح هذا التدخل المتعدد فى أى موضوع تدخلا شرعيا ٠ وقد يلاحظ أن هذه الفكرة عن الاله قد انتهت الى نوع من التوحيد لا يختلف عن ذلك الذى ســـاد فى عهد العمارنة (عهـد اخناتون) الا فى نقطة واحدة وهى أن « أمن » لم يكتف بعدم الغاء عبـــادة الآلهة الأخرى بل انه شجعها واستنجد بها لتمجيده كخالقهم ، وذلك بأن كل الآلهة اعتبروا صادرين عن جوهر « آمن » الخالق ٠٠ وأنهم ما كانوا يمجدون بجوار خالق الكون الا بسبب أرومتهم(٤) ٠٠

VII THE LEYDEN PAPYRUS [illegible]

(الوثيقة رقم «٤»)

VIII. THE LEIDEN PAPYRUS

(تابع الوثيقة رقم «٤»)

وفى ضوء الرسائل السابقة ، نلاحظ بعض النتائج هى :

١ ــ ان ظاهرة ارسال الرسائل الى الموتى ظاهرة مصرية قديمة ٠٠ وكان يرسل هذه الرسائل الذكور والاناث على السواء ، بقصد الطلب من الموتى أو الشكوى منهم أو اليهم بوصفهم أصـــحاب نفوذ كبير على الاحياء ويؤثرون على مصائرهم ٠٠

٢ ــ ان الرسائل المرسلة الى الموتى كانت توجـه الى الموتى الأقرباء المقربين فى العادة ٠ ولم تكن موجهه الى اله أو الى قديس أو الى ولى ٠٠ ومع ذلك فقد كانت الرساله تتضمن فى العصر المصرى القديم (قبل العصر المسيحى) طلب العـــون من « الآلهة التسعة الذين فى الغرب » ومن « اله الغرب » أو من « الاله أنوبيس » اله الموتى ، كمـــا كان يطلب العون من الموتى السابقين كالاباء والاخوة والاصدقاء ٠٠ وكان الاعتقاد أن الاله « أمن » يؤله بعض الموتى ٠٠ وكان المصريون القدامى ينسبون للميت الذى يؤله « أمن » سلطة عظمى يزاولها لا فى العـــالم الآخر فحسب ، بل على الأرض أيضا ٠٠

٣ ــ وفى ورقة البردى السحرية من العصر المسيحى لاحظنا أن العون كان مطلوبا من السيد المسيح ومارى العذراء ومن كل من الملائكة العظـــام ميكائيل وجبرائيل وسوريال ومن زكريا القديس ومن الشهداء ، فضلا عن أحد المتوفين ٠٠

٤ ــ وقد تضمن بعض الرسائل طلبات مقاضاة المشكو فى حقهم ٠٠ وقـــد يكون هؤلاء أشخاصا معروفين للشاكين أو غير معروفين ٠٠ ويتصـــور مرسلو الرسائل وجود محكمة فى عالم الاموات وتسمى كمـــا أكدت النصوص « محكمه الاله الاعظم فى مدينة الاموات » ٠٠ وفى احـــدى الرسائل ذكر أن القضاة هم « الالهة التسعة الذين فى الغرب » ٠

٥ ــ **وأهم الحقائق كلها التى تتصل بموضوع الدراسة الحالية** ، أن مضمون الرسالة التى ترسلها سيدة أرملة الى زوجها المتوفى **يبدو فيه تأنيب الزوج المتوفى أو لومه واضحا** ٠٠ على عكس مضمون الرسالة التى من الزوج الأرمل الى الزوجة المتوفاة ، فاننا نجد هذا المضمون **يبدو فيه استعطاف الزوجة المتوفاة وملقهـــا واسترضاؤها وتهدئتهـــا وطلب حمايتها واضحا** ٠ ويحـــــدث ذلك فى الحالتين ســـواء كان مضمون

الرسائل يتعلق بتوطيد دعائم الأسرة أو بالشفاء من مرض أو بالشكوى ضد آخرين أحياء كانوا أو أمواتا ..

٦ - ومع ذلك فمن حق القارىء على أن أؤكد له كما سبق أن ذكرت أن من واجبى أن أتحفظ فيما أنتهى اليـــه من بعض النتائج ، وبخاصـــة ما تضمنته النتيجة السابقة . ذلك لأن المادة التى بين يدى قليلة .. ومع ذلك فانى أؤكد للقارىء أيضا ، وأمامه ما وصلت اليه ، أننى لم أختلق شيئا وانما ذكرت ما وجدت ..

المراجـــع والتعليقات

١ ـ A.H. Gardiner and K. Sethe, "Egyptian Letters to the Dead", London, 1928, pp. 1-3.

٢ ـ المرجع السابق : صفحتا ٧ ـ ٨ ٠

٣ ـ المرجع السابق : صفحتا ٨ ـ ٩ ٠

(وانظر أيضا :

أدولف ارمان وهرمان رانكة : مصر والحيـــاة المصرية فى العصـــور القديمة ٠٠ ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، صفحتا ١٥٨ ـ ١٥٩) ٠

٤ ـ ايتين دريوتون وجاك فانديه : مصر ، عربه عباس بيومى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، صفحتا ٥٧٢ ـ ٥٧٣ ٠

٤ ـ المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية في الوقت الحاضر من رسائلها الى الموتى

ومن حق قارىء هذه الدراسة أن أذكر هنا بعض الرسائل التى أرسلت الى ضريح الاما مالشـــافعى **وبخاصة ما تعلق منها بالاناث المصريات اللاتى يعشن فى عصرنا الحاضر** ٠٠ ولعل الشكاوى والطلبات التى تضمنتها هـذه الرسائل ان تيسر للقارىء **المقارنة بين ما كان فى الماضى السحيق وبين ما هو كائن فى الوقت الحاضر ٠٠**

تقول ام محمد بنت أمعلى (أم على) التى تعـــذر التعرف على محل اقامتها فى رسالتها التى لم تكتب فيها تاريخا ، بعد ذكر البسملة ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« حضرة المحترم سيد الامام الشافعى قاضى الشريعة الشكوى الى الله سر اليك يا قاضى الشريعه يا امام يا قاضى الشريعة يا حا (يا حق) يللى مبتحكمشى الى (الا) بحا (الحق) ام محمد بنت أمعلى شكيا الى (الذى) ظلمها لحضرتك الى (الذى) فتح ســـندئها (صندوقها) وخـــد مسغتها (مصوغاتها) تخلص منه او منهه (منها) بمعرفتك من الى (الذى) ظلمها بمعرفتك تخلص منه ٠٠ والله نبعتلك البشرا (البشرى) فى الخطاب ٠٠

وسلام عليك ورحمته وبركاته »(١) (انظر الوثيقة رقم «٥»)

وتقول نبوية ٠٠٠ من محافظة الشرقية فى رسالتها بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٥٧ ، الموافق أول شعبان ســـنة ١٣٧٦ هـ ، بعـــد ذكر البسمله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أهله وأصحابه أجمعين ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« أما بعد فاوصى يا امامنه (امامنا) يا شفعى وأنت يا حسن وأنت يا حسين وانتى يا أم هاشم وانتى يا ست زينت وانت يا قطب الرجـــال يا متولى وانت يا سدى (يا سيدى) أحمـــد يا رفاعى أنت صرفوا (أن تتصرفوا) بمعرفتكم من الى سرق الجاز والدقيق والسمنة والأنجر ٠٠٠ وان كان أبواها ٠٠٠ منتقم جبار من الطغلان (الطغيان) وابن الحرام وان كان أبواها ٠٠٠ ينتقم منه ٠٠

والسلام ختام من طرف نبوية »(٢)   (انظر الوثيقة رقم «٦»)

(٥١)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المحترم سيد الإمام المفتي قاضي الشريعة المشكو إلى الله [illegible] الحبيب

يا قاضي الشريعة يا إمام يا قاضي الشريعة يا أحباب [illegible] إلى [illegible]

أم محمد [illegible] معلق شكيا إلى ظلمها [illegible] مسندها وعندهم معها

[illegible] البصرة [illegible]

[illegible] البشرى [illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(الوثيقة رقم «٥»)

وتقول محفوظة ··· من محافظة الشرقية فى رسالتها بتـــاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٨ الموافق ٥ شوال ١٣٧٧ هـ ، بعـــد ذكر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والبسملة والصـــلاة والسلام على أشرف المرسلين موجهـة خطابها الى الامام الشافعى :

« أما بعد فقد حصل يا سيد الاما مالشافعى ان ابراهيم ·· من ··· مركز ··· شرقية فقد ضربنى بالبلغة وتهجم عليها (على) بدون سبب وان أخى كامل هو الذى حرضه على ذلك رغم أنه احتكر مبلغ ١٠٠ جنيه شبكة وزوجها (وزوجنى) رغم أنفها (أنفى) وضيع مالى للمستأجرين وتهجم على بكل أذية وسلط على كل من يؤذينى وأخى أحمد ضربنى على يدى ··
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ··

« وقد سرق بابين للجنينة وما نعرف من الذى سرقهم وقـــد انتهزوا فرصة ضعفنا رغم اننا مسلمين أمرنا لاحكم الحاكمين · فنقدم شكوانا لله جل وعلى (علا) ولك على أن تحكم بيننا وبينهم بالحق والله ولى الصابرين » ·
مقدمته محفوظة من ··· شرقية(٣) (انظر الوثيقة رقم «٧»)

وتقول نزهة ··· من محافظة قنا ، فى رسالتها غير المؤرخـــة ، دون ذكر البسملة أو الصلاة على النبى ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« الى جناب المحترم السيد الامام الشافعى قاضى الشريعة
مقدماه لسيادتكم نزهة ·· بما انى حرمة فقيرة الحال ومسكينة وغلبانة وتتفسر فى الذى كسر بيتى وأخذ منى البهايم والبرسيم تتفسر فيه وشاركه فى عمره وتخبله بأى داء فى جميع جسمه أو يلقوه مكتول (مقتول) مرمى وأنا وليا مسكينة وشاحته منك ومن الله وشكوتى ليك وللاه (لله) ··

مقدمه لكم نزهة ··· »(٤) (أنظر الوثيقة رقم «٨»)

وتقول فطنة (فاطمة) بنت ··· التى تعذر التعرف على محل اقامتها ، فى رسالتها بتاريخ ٢٩ ابريل ســـنة ١٩٥٧ الموافق ٢٩ رمضان ســـنة ١٣٧٦ هـ ، بعد ذكر البسملة ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« **يا سيدى يا امام يا شفعى (يا شافعى) يلى شرعت بين أمك وابوك اشرع بين فطنة بنت ··· (مرسلة الرسالة) وبين جمعة بن ··· والسيد ابن ···** أشرع بينى وبينهم بالحق لأنهم أهـــانونى آخر اهانة وســـبونى واشتكونى وانا أرملة ليس لى من معين غيرك وغـــير ربى (رب) السموات

٩٥

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين شفيعنا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين
أما بعد أدعي [illegible]
وأنت يا حسن وأنت يا حسين وأنتِ
يا أم هاشم وأنتِ يا ست زينب
وأنت يا قطب الرجال يا متولي وأنت
يا سيدي أحمد يا رفاعي [illegible]
[illegible]

[illegible]

(الوثيقة رقم «٦»)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
أما بعد. فقد وصل يا سيدي [illegible] أنه من شعبان
[illegible] شعبان من [illegible] مركز [illegible] نجم [illegible]
فقد ضربني بالبلطة [illegible] بدون سبب
وأنه الشخص الذي ضربني على ذلك رغم
أنه [illegible] [illegible] [illegible] رغم [illegible]
ويدفع مالي للمستأجرين [illegible] على كل أذية
[illegible] على كل من [illegible] و[illegible] [illegible]
سوى ضربني على يدي.
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
وقد [illegible] بأنه للجنة وبأعرف من الذي
رفعهم وقد انتهزوا فرصة ضعفنا رغم
أننا [illegible] أمرنا [illegible] الحاكمية.
ونقدم شكرنا لله جل وعلا وذلك على أنه يحكم
بيننا وبينهم بالظفر — والله ولي الإجابة
مقدمه
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(الوثيقة رقم «٧»)

والأرض ومعهم سلومة بنت ··· وفطنة (فاطمة) بنت سلومة وكل من اعترض عـــلى ويهنى (ويهيننى) بالله عليك تظهر لى حقى أنا أصـــدتك (قصدتك) وأصدت (قصدت) ربى فى حقى ··

مع هذا هم الظلمة والمظلومة أنا فطنة بنت ··· (مرسلة الرسالة) أنا المظلمة (أى التى اتظلم) بالله عليك تظهر لى حقى **لأنى سبق أن أرسلت لك ولم تخلص لى حقى** لانهم أهانونى وحبسونى وعرونى **واذا كان يخلصك كده يبقى بلاش تشرع بين الناس بالله عليك تخلص لى** وبالله عليك تشرع بين محمد فؤاد بن ··· وزوجته بنت ··· وبين الظالمة اعتماد بنت ··· وبين من يعترض على المظاليم محمد وروحية وبين الظالمة هى اعتماد بنت ··· ومن يظلمهم بالله عليك تظهر لنا حقنا نحن قاصدين قاضى الشريعة هو ســـيدنا الامام الشافعى **الذى يحكم بين الناس وبعضها ولا نقول غير ذلك أبدا** »(٥) ·

وتقول لولى بنت ··· من ضاحية المعادى محافظة القاهرة ، فى رسالتها بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٦ الموافق ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٧٦ هـ ، بعد ذكر البسملة موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« سيدى الامام الشافعى

بأن تتوسل الى الله بأن يمنع عنى عبده الى بيشتغل معـــايا وظلامنى (وظلمنى) وكل يوم يضربنى ويشتمنى وان ربنـــا يمنعه عنى ويخلصلى (يخلص لى) والسلام عليكم ورحمة الله ··

من لولى بنت ··· بالمعادى شغالة طرف الباشا ·· وامام الطبـــاخ تمنعه عنى والسلام ختام »(٦) ··

وتقول حسنة بنت ··· تعذر التعرف على عنوانها ، فى رسالتها غير المؤرخة بعد ذكر البسملة ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« حضرة المحترم الشيخ الأكبر الامام الشافعى

شكوت (شكوى) مظلوم من حسنة بنت ··· (مرسلة الرسالة) اليك أيها الشيخ الأكبر الامام الشافــى (الشافعى) بأن كـــل من اعتدا (اعتدى) عليها وظلمها بتقليع الزرع **وموت زوجها** عبد الحميد بن ··· ربنا ينتقم منهم بمعرفته ويفرق بينهم وبين أولادهم بحق الامام الشافعى ان الله على كل شىء قدير ··

شكوة (شكوى) من المظلومة حسنة بنت ··· وارجا أن تكو (تكون)

الى جناب المكرم السيد الامام [illegible]

[illegible]

[illegible] وتلك نبذة [illegible] السيد

بما انى [illegible] تقديرة الحال من [illegible]

وذراته وتنفس [illegible] الزمن [illegible]

واخذ [illegible] الجسم والدم تفسره

[illegible] وشاركه في غمرة وتحمله

بأن داء [illegible] جميع جسمه او [illegible]

[illegible] وانا دليل [illegible] وشاهد

[illegible] الله وشكرى [illegible] ومودة

[illegible]

[illegible] بالجوار [illegible]

(الوثيقة رقم «٨»)

السيد (السيدة) زينب معــاك أيهــا الامام فى هذه الشكوه (الشكوى) الله أكبر »(٧) ..

وتقول شمة بنت ... من محافظة الشرقية فى رسالتها بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٥٧ الموافق ٦ شوال سنة ١٣٧٦ هـ ، بعد ذكر البسملة ، والاستعانة بالله على المكذبين ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى ..

« الى سيدى الامام الشافعى أبو مقام عالى

وبعد أستعين به على كل من كان السبب فى طلاقى من زوجى وأخذه منى وحرمنى منه واننى أستعين بك يا سيدى الامام الشــافعى على ... (اسم تعذرت قراءته) ان كانت ضميرها سبب فى خراب بيتى وفراقى أنا وزوجى فعليك يا سيدى الامام الشافعى أن تسأل ربك وتغيثنى وتساعدنى على هؤلاء المفتريات (اللاتى افترين) ويا سيدى الاما مالشافعى أنا مستغيثه بك أن تخلصلى (تخلص لى) ذنبى من حمدة بنت ... ويااربى تقبل دعوة سيدى الامام الشافعى بأن حمدة ان أخذت محمد أبو ... (يبدو انه زوج مرسلة الرسالة) **لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها** لأنهــا السبب فى فصلى عن زوجى وياسيدى الامام الشافعى كــل من قطعتنى من زوجى اقطعها من ولدهـــا واستعين بالله عليها بأن **لا تخلف ولا تتلف طول حياتها** ويا سيدى الامام الشافعى خلص خلاصك فى كل من افترى على وعلى الله خلاص الحق وان الله على كل شىء قدير وعلى الله فليتوكل المتوكلون ... والسلام »

الداعى (الداعية) ومقدمة الخطاب شمة بنت ...(٨) .

(انظر الوثيقة رقم «٩»)

(١٠٦)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين [illegible]

الى سيدي الامام [illegible] الشافعي [illegible]

وبعد استغيث بالعلي العظيم [illegible] بسبب [illegible]

زوجي [illegible] استغيث بك يا سيدي

الامام الشافعي [illegible]

[illegible] يا سيدي الامام الشافعي

[illegible] الشافعي [illegible]

ويا سيدي الامام الشافعي انا مستغيثة بك [illegible]

من [illegible] دعوة سيدي الامام

الشافعي [illegible]

[illegible]

[illegible] زوجي ويا سيدي [illegible] الامام الشافعي [illegible]

[illegible] من زوجي [illegible]

[illegible] يا سيدي الامام

الشافعي [illegible]

[illegible] على كل شيء قدير [illegible]

[illegible] المتوكلون والسلام

الداعي [illegible]

[illegible] حسن ابراهيم

خلصني يا رب [illegible]

يا سيدي الامام الشافعي

(الوثيقة رقم «٩»)

وتقول شربات بنت ··· تعذر التعرف على عنوانها فى رسالتها غـير المؤرخة ، دون ذكر البسملة أو الحمدلة أو الصلاة والسلام على سيدنا محمد ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« الى حضرة قاضى الشريعة الامام الشافعى تحية وتعظيما اقدم لكم شوكتى (شكواى) منى لله واليكم فى عبد اللطيف بن ··· زوجى وهـذه الشكوة (الشكوى) مسببة علنى أولا ان هذه المسببة عامل بأن هده البنت عطيات (يلاحظ ان الاسم قد كتب بلون الحبر العادى مع العلم بأن جميع ألفاظ الرسالة قد كتبت بالقلم الكوبيا) ليست بنتى (أى ابنته) فهـل يصح فأنت تنظر هذا الأمر **ونحن منتظرين الاجابة بسرعة** وكم كررنا هـذا الأمر وأقل (أقول) لك (له) أن هذه بنتك فيقول ليست بنتى ··

ملحوظة : ويوم ٩ رمضان سنة ١٩٥٦ (١٣٧٥ هـ) الى غاية رمضان سنة ١٩٥٦ (١٣٧٥ هـ) كان وقع على يمين طلاق سابقا (سابق) وفى يوم رمضان حرم بأربعة مذاهب من الام والأخت وان حلل شـيخ حرم بالاله وهل يصح لى ليست لى رده من هذه المدة (تقصـد انه لا يصح أن يردها زوجها بعد ذلك) وهل يصح أن أعيش فى الحرام وأنا معى خمسة ولايه (تقصد بنـات) واذا سبتهم (تركتهم) لابوهم يلزمنى وزر واذا عشت يلزمنى وزر والأمر مفوض لله ولك يا صاحب هذا الضريح يا صاحب هـذا المقام الشريف انه عبـد اللطيف (زوج شربات) ظلمنى ظلومة فى المنزل واتهمنى فى المعيشة لانى أنا مبذرة فيها بل هـو آكل حقى وحق اولادى وماشى مشى لا يرضى الله ورسوله وآكل عرق أبى ومستغل الظروف معـه وكل من (ما) يطوله منه يأكله ولا يعطه له هل يصح كده أمور الزوجيـة **وهل هذا هو شرع ربنا ورسوله** فأنا أرسلت لك هـذه الشكوة من طرفى لأجل ترفعهـا لله والله سبحانه تعالى يأذن لكم بالتصريف **وأرجو فى هذه الشكوة أن تفرقوا بينى وبين هذا الرجل بالعدل والحق** ، والأمر مفوض لله وللامام قاضى الشريعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

مقدمته لكم

من طرف شربات بنت ··· فى حق عبد اللطيف بن ··· »(٩)

(أنظر الوثيقة رقم «١٠»)

وفي الرسالة التالية يقول دسوقى بن ··· من محافظة المنوفية ، **فى رسالته بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٥٧ الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣٧٦ هـ ،** بعد ذكر البسملة وتوكلت على رب العباد ، **موجها خطابه الى الامام الشافعى :**

« **حضرة المحترم** السيد الفاضل **سيد الامام الشافعى رضى الله عنه** وكرم الله وجهه ··

الموضوع

انك تنظر فى موضوع **نبيهة بنت ··· من ··· محافظة المنوفية زوجة** الدسوقى ··· من ··· ابن ··· **لانى مظلوم كثير جدا ونبيهة بنت ···** ظالمة وظلمتنى كثير **ان كان هذا الظلم يرضيكم لا مانع ··**

فنرجو من سيادتكم تنظر فى **موضوعى لسبب ظلمى وقالت عليه** (على) كثير كلام باطل ، والله لم حصل منى أبدا **وأنا تحت لطف الله** لو كنت ظالم هو المنتقم منى وان كانت هى ظالمة الله لا يصطر (يستر) **معها فى** الدارين دنيا وأخر (أخرى) بحق ظلمها فينا **وأهلى ··**

وحسبنا الله ونعم الوكيل فيها هى وأمها واخوتها الظلمة ومستعين بالله القوى عليها ··

مقدمته لسيادتكم

دسوقى بن ···· »(١٠) **(انظر الوثيقة رقم «١١»)**

(١٢٦)

إلى حضرة قاضي الشريعة الإمام الشافعي تحية وبعد
أقدم لكم شكوتي من الله والنبي محمد عبد اللطيف
أنه سكنتي زوجي وهذه الشكوة مشتبه
على أولا إن هذه السنة عامل بأن هذه البنت طلقت
لسنا شيئا فهل يصح ما نحن منتظر هذا الأمر
ونحن منتظرين الإجابة بسرعة وكم كررنا
هذا الأمر وأقول لك إن هذه بنتك فيقول لسنا
بنت بالخطأ

ويوم ٩ رمضان ١٩٥٦ إلى غاية ٢٩ رمضان ١٩٥٦
كانت وقع على جسمه طلا وسابقا وفي يوم
رمضان حرم بأن هذه مذاهب أمر الأم
والأخت وأن على شيء حرم بالألف
وهل يصح لي لست أرى ده من هذه المدة
وهل يصح أنا أعيش في الحرام
وأنا معي ٥ حد ولا ٤ وإذا سبهم
لأبوهم بالرمي وزر وإذا أعشق بالرمي
وزر والأمر مفوض لله ولك يا صاحب
هذا الصرح

(الوثيقة رقم «١٠»)

يا صاحب هذا المقام الشريف
إنى عبد اللطيف ظالمنى ظلومه فى المنزل
والشمس فى المعيشة لأنى أنا مبذر فيها
بل هو آكل حقى وحق أولادى
وبانى معيشى كما لا يرضى الله ورسوله
وآكل عرق أبى ومستحلى الأطروف معه
وكل من يطوله منه يأكله ولا يعطه له
هل يصح كده أمور الزوجية وهل هذا
هو شرع ربنا ورسوله فأنا أرسلت
لك هذه الشكوه من طرفى لأجل ترفعها
لله والله سبحانه تعالى يأذن لكم
بالتصريف وأرجو فى هذه الشكوه
أن تفرقوا بينى وبين هذا الرجل بالعدل
والحق والأمر مفوض لله وللإمام صاحب
الشريعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
مقدمه لكم

(تابع الوثيقة رقم «١٠»)

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله رب العباد

حضرة المحترم السيد الفاضل سيدي الإمام الشافعي رضي الله عنه

ورحمة الله وبركاته [illegible] الموضوع

انه نظرنا موضوع [illegible] شيخ [illegible] بركة [illegible]
زوجة [illegible] ابن هاشم
لانه مظلوم كثير جدا و [illegible] شيخ [illegible]
وظلمنا كثير [illegible] هذا الظلم [illegible]
لا مانع
فترجو من سيادتكم نظرنا [illegible] الظلم

ونالت علينا كثير [illegible] والله [illegible]
ابدا [illegible] لطف الله [illegible] الظالم هو المنتقم
حتى [illegible] هذا [illegible] الله لا يرضى [illegible]
من [illegible] دنيا واخر [illegible] فينا [illegible]

وحسبنا الله ونعم الوكيل [illegible]
واخوانك [illegible]

[illegible]

[illegible] محمد [illegible]

(الوثيقة رقم «١١»)

ويقول كمال ٠٠٠ من زاوية ٠٠٠ مركز ٠٠٠ محـــافظة القليوبية فى رسالته بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٨ الموافق ٦ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ ، بعد ذكر البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على سـيد المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، موجها خطابه الى مولاه قاضى الشريعة الامام الشافعى :

« سيدى ومولاى قاضى الشريعة الامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه يتقدم بهذه الشكوى الى مقام السدة الشريفة والروضة الطاهرة سيدى الامام الشافعى العبد الفقير الى الله المسكين كمال ٠٠ المدرس ٠٠ مركز ٠٠ ضـــد السيدة سعاد ٠٠ زوجتى ٠٠ موضوع الشكوى :

ظلمتنى ولم ترع حقى وحق أولادى ائتمنتهـــا عـــلى مالى وأولادى ، فخانتاهما اذ سلمت مالى لأمها نجية ٠٠ وأبعدت أولادى عنى بمسايرتها لها فى أفكارها وشككتنى وتسببت فى سوء سمعتى ولم تراقب حدود الله فى فهى تخدم الغير وتبخل بخدماتها لى تتزين للغير وتحرم ذلك على ٠٠ سخرت بى وجعلت غيرها يشاركها السخرية فى وقت كنت أتحمل ما أطيق وما لا أطيق فى سبيل المحافظة عليها وعلى أولادها والله يشهد وهو خير الشاهدين ٠٠

سيدى ومولاى قاضى القضاة الامام الشافعى كرم الله وجه (وجهه) « نفذ فينا حكم الشرع الحنيف وانصف بعضنا من بعض ٠ ورد على أولادى وزوجى وافض فينا قضـــاء الله يرحمك الله ويحمى بك دينه ويجعلك من الصديقين والشـــهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وحسبى الله ونعم الوكيل » ٠

١٩٥٨/٢/٢٥

المظلوم الفقير الى الله	المشكو فيها
كمال ٠٠ المدرس ٠٠ مركز ٠٠ »(١١)	سعاد بنت ٠٠ من ٠٠

(انظر الوثيقة رقم «١٢»)

(١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سيدي ومولاي قاضي الشريعة الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه

يتقدم بهذه الشكوى الى مقام سدة الشريعة والروضة الطاهرة سيدي الإمام الشافعي العبد

الفقير الى الله المسكين / كمال حسن البربري المدرس بناحية البجلات مركز قليوب ضد

السيدة / سعاد عبد الحميد السيد زوجتي موضوع الشكوى

ظلمتني ولم ترع حقي وحق أولادي [illegible] على مالي ومال أولادي [illegible]

مالي [illegible] وأرى أولادي [illegible] أفكارها

وشكتني وتسببت في حبسي [illegible] ولم تراع حدود الله [illegible]

[illegible] وحرم ذلك علي [illegible]

في وقت كنت [illegible] في سبيل [illegible]

والتشهير [illegible] الصالحين

سيدي ومولاي قاضي القضاة الإمام الشافعي كرم الله وجهه . نحن نطلب حكم

الشرع الحنيف والفصل بيننا [illegible] وتسلم أولادي وزوجتي

والحكم فيما بيننا [illegible] يرحمك الله [illegible] ويجعلك من الصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقا وحسبي الله ونعم الوكيل

المشكو منها ١٩٥٨/٦/٢٥ المظلوم الفقير الى الله

سعاد عبد الحميد السيد كمال حسن البربري المدرس بناحية البجلات مركز قليوب

[illegible]

(الوثيقة رقم «١٢»)

وتقول نعمات بنت ... من محـــافظة الدقهلية ، فى رسالتها غـــير المؤرخة بعد ذكر البسملة وآية « واذا حكمتم بين الناس آن تحكموا بالعدل » (٤ م النساء : ٥٨) ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« قال الله تعالى فى كتابه الكريم ، واذا حكمتم بين النـــاس فاحكموا بالعدل (أن تحكموا بالعدل) سيدى الامام الشافعى رضى الله عنه ..

أنا نعمات بنت ... أفوض أمرى الى الله واطلع مشكلتى هذا (هذه) وشكواى لكم بأن العبد ليس بيده شىء وأنتم من خلق الله الصالحين انى أنا أعرف ربى حق المعرفة وكانت ســـكينة بنت ... والشربينى بن ... ورمضان بن ... انه (انهم) يسبوننى ويجعلوا (يجعلون) منى بدلا من مخلوقة صالحة مخلوقة فاسقة وخاطئة انهم يرغموننى على الرزيلة (الرذيلة) فهذا لا يرضى الله ولا الرسول ولا أنتم أيضا فانى أتوسل اليكم بشكواى هذا (هذه) أن يحكم الله بعدله على هذا القوم الظالمين أن تجعلهم موعظة لمن يتعظن (يتعظ) وأن تجعل ما يقولونه عليـــه (على) يقولوه (يقولونه) الناس عليه (عليهم) فانهم لا يعرفون الله لأن (لأنهم) اذا كانوا يعرفون الله لم يجعل من يعرف الله ينساه ومن يكون صالحا يصبح رزيلا (رذلا) (أى لا يكون رذلا) ، لانهم سبونى بما يمنعه الله ويحرمه فما رأيكم آنت ياسيد الاما (الامام) الشافعى أنى أعرض شكواى الى الله واليك لانك أنت أقرب الى ربك منى ومن بين الحكماء فى الدنيا يا سيدى الامام أتوسل الى الله واليك أن يخلص الله منهم الثلاثة وأرى بعينى فيهم انهم...ولذلك هذه هىمشكلتى فأنت يا سيدى تتطلع عليهـــا كما هى موضحة كهذا ، والســـلام عليكم ورحمة الله ..

نعمات بنت .... »(١٢)

وأرسلت سيدة من محافظة بنى سويف ولم تذكر اسمها ، رسالة غير مؤرخة ، ولم تذكر فيها البسملة ولا الحمدلة ، وقد وجهت خطابها الى الامام الشافعى وهى تقول :

« رضى الله عنك يا امام يا شافعى شكتلك محمـــد بن ... بربى (أربى) فى ياتامه (يتامى) وكنت مكتوبة فى الدمان (تقصـــد الضمان الاجتماعى) وشكى فيه (فى) وقطع عيشى يا امام يا شافعى .. أنا شكتولك (شكوته لك) بذمب (بذنب) محنا (نحن) غلابة ويتـــامه (يتامى) ومقطوعين (لا عائلة أو عصبية لنا) يا امام يا شافعى محترفنا (أى يتعدى

علينا ويظلمنا) تبين لنا فيه يا امام يا شـــافعى **جبنالك ربى والنبى سياه** (أى وساطة) تبين لنا يا امام يا شافعى بذمب (بذنب) محنا غلابة ومسكين (مساكين) يا امام يا شافعى وكن (كنا) محتجين (محتاجين) المعاش ومن يومرفدنا (يوم رفتنا من المعاش) واحنـــا مسكين (مساكين) **اشر لنا فى** جسمه يا امام يا شافعى لك دبيحة (ان بينت فيه هم هم) »(١٣) .

(انظر الوثيقة رقم «١٣»)

وتقول هدى بنت ... من محافظة بنى سويف فى رسالتها بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٥٦ الموافق ٨ رمضان سنة ١٣٧٥ هـ ، بعـــد ذكر البسملة ودون أن توجه الخطاب مباشرة الى الامام الشافعى :

« بسم الله الرحمان (الرحمن) الرحيم وبه نستعين الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد أن أقرأ الفـــاتحة أرسل اليك يا من حكمت لأمك وأبوك ، أنا هدى بنت ... **أرجوك واقع فى عرضك آن تهدى سيد بن ...** **لى انا هدى بنت .. ويتزوجنى** أنا سئت (وسطت) عليك النبى أن تلحلحوا (أن تحثه) ويقول اتزوج هدى بنت ... أنا وقعت فى عرضك تمشى هذا الطريق وبقوت (بقوة) الله وبقوتك تبين لى وتخليه يقول أتزوج هـــــدى بنت ...

وتبعد عنى ولاد الحرم (الحرام) الى (الذين) بيوقفوا حالى (يقفون فى سبيلى) وسئت عليك النبى انتخل (أن تجعل) على بن ... (والد سيد المطلوب الزواج منه) ياخد هدى بنت ... لسيد ابنه وتهديه بقوت الله وقوتك وأنا هدى بنت ... وقعت فى عرضك ..

ملحوظة : وان الرجل أبوه ييجى (يجئ) ويقول هاخد هدى لســـيد ابنى هدى بنت ... لسيد بن ... بقوت الله أن تكون من نساه »(١٤)

(انظر الوثيقة رقم «١٤»)

وفى ضوء الرسائل المرسلة الى ضريح الامام الشافعى السابقة التى اخترتها تعسفيا من ١٦٠ رسالة مقروءة التى أرسلها الى هذا الضريح ١٧٥ شخصا ، منهم ٨٠ من الذكور أى بنسبة ٧ر٤٥٪ ، و ٨٠ من الاناث أى بنفس النسبة ، أما الباقى وقدره ١٥ شخصا أى بنسبة نحـــو ٦ر٨٪ فلم يمكن التعرف على نوعهم - نلاحظ بعض النتائج ، هى :

رضى الله عنك يا امام يا شافعى شكيتلك

محمد ابنه فاطمه ابنة على [illegible] فى يتامه

وكنت مكتوبه فى [illegible] وشكتنى فيه

وقطع عيشى يا امام يا شافعى يا شكتولك

[illegible] منها غلابه و[illegible]

ومقطوعيه يا امام يا شافعى [illegible]

[illegible] يا امام يا شافعى [illegible]

[illegible] و[illegible] [illegible] يا امام يا [illegible]

[illegible] منها غلابه ومقطعيه يا امام يا [illegible]

وكله [illegible] و[illegible]

و[illegible] مسكينه [illegible] يا امام

يا شافعى لك دبيحه انه [illegible] فيه هم

(الوثيقة رقم «١٣»)

١ - أن مرسلى هذه الرسائل من الذكور والاناث على السواء بقصد الشكوى الى الامام الشافعى أو الطلب منه ، وهــو شخص قد مات منذ حوالى ١١٥٨ عاما ٠

٢ - أن الرسائل المرسلة الى ضريح الامام الشافعى كانت توجه الى الامام نفسه كولى من أولياء الله ٠ وكان مرسلو الرســائل وهم يخاطبون الامام الشافعى يخلعون عليه فى معظم الأحيان ألقاب التعظيم ، وكأنه شخص ذو سلطان ونفوذ كبير عليهم ويؤثر على مصائرهم ٠٠ فهــو عندهم « قاضى الشريعة » وهو « الحق » وهو « الشيخ الاكبر » وهــو « أبو مقام عالى » وهو « السيد الفاضل » وهو « السيد والمولى » ٠٠ واذا كانت هذه الرسائل لم توجه الى غير الامام الشافعى ، فقد لاحظنا أن مرسلى الرسائل لم يكتفوا ، فى بعض الأحيــان ، بالكتابة اليــه يشكون اليه وحده ويطلبون منه بعض الطلبات وحده ٠ ولكنهم كانوا يشركون معه بعد الله أو الرسول أولياء آخرين ، فنجد مثلا من تقول « الشكوى الى الله سر اليك يا قاضى الشريعة » ، ومن تقول « أما بعد فاوصى يا امامنا يا شافعى وأنت يا حسن وأنت يا حسين وأنتى يا أم هاشم وانتى يا ست زينب وانت يا قطب الرجــال يا متولى وانت يا سيدى أحمد يا رفاعى أن تتصرفوا ٠٠ » ، ومن تقول « أنا قصدتك وقصدت ربى فى حقى » ، ومن تقول « تبين لنا فيه يا امام يا شافعى جبنالك ربى النبى سياء ! » ٠٠

وهكذا نجد فكرة نفوذ الموتى فى شخص الامام الشافعى على الأحياء القديمة **استمرت حتى الآن** ٠٠ وأن العون الذى كان يطلب من الموتى الأقرباء المقربين ٠٠ وكان يطلب أيضــا من الموتى الذين كان يؤلهم « أمن » فضلا عن انه كان يطلب من « الآلهــة التسعة المقدسين فى الغرب » أو من « اله الغــرب » أو من « الاله أنوبيس » فى العصر المصرى القديم ، كما كان يطلب هــذا العون فى العصر المسيحى من السيد المسيح والسيدة مارى العــذراء ومن بعض الملائكة العظــام والقديسين ومن الشهداء **فضلا عن الموتى العاديين** - فاننــا نلاحظ استمرار طلب العون فى الرسائل المرسلة الى ضريح الامام الشــافعى من الله جل وعلا ومن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن الامام الشافعى ومن بعض الشــهداء المسلمين مثل سيدنا الحسن وســيدنا الحسين وبعض الأولياء الآخرين ٠٠

ملاحظة وان الرجل ابوه بجره يتوقف حاضر

بسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين

١٠٧ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ان اقرا

الفاتحة أرسل اليك يا من حكمك لأملك

وابوك انا هدى بنت نبيها ارجوك

~~[illegible]~~ واقع في عرضك التصدق سيدنا

ابن فاطمة انا هدى بنت نبيها ~~ويتزوج~~

ويتزوجني انا سمعت عليك النبي

ان تلحو ويقول اتمنوا اتزوج هدى

بنت نبيها انا وقعت في عرضك تمشي

هذا الطريق ~~[illegible]~~ وتقف [illegible] وبقوتك تبين لي وتكلمه

بقول اتزوج هدى بنت نبيها

وتبعد عني ولاد الحرام الي بيوقفو حالي

~~[illegible]~~ [illegible]

وسمعت عليك النبي الغالي على ابن نبيه

يا فهم هدى بنت نبيها لسيد ابو ونعمه

بقوة الله وقوتك وانا هدى بنت نبيها وقعت في عرضك

صدق سيد [illegible] ابني هدى بنت نبيها لسيدنا معين فاطمة [illegible]

(الوثيقة رقم «١٤»)

٣ – وفى ضوء الرسائل السابقة وغيرها من الرسائل التى حصلت عليها تأكد طلب مقاضاة المشكو فى حقهم ، وقد يكون هؤلاء أشخاصا معروفين للشاكين ، أو أشخاصا غير معروفين ٠٠ كما تأكد تصور وجود محكمة باطنية وأن الامام الشافعى هو قاضيها « الذى يحكم بين الناس وبعضها ولا نقول غير ذلك أبدا » و « اقض فينا قضاء الله يرحمك الله ويحمى بك دينه ويجعلك من الصديقين والشهداء والصالحين » و « يا سيدى يا امام يا شافعى يلى شرعت بين أمك وأبوك اشرع بين فطنة بنت ٠٠٠ (مرسلة الرسالة) وبين جمعة بن ٠٠٠ » ٠ أما أعضاء هيئة هذه المحكمة فقد تعددت الأقوال فيهم وهم على حد قول أحد المرسلين « ٠٠٠ والشكوى لكم عيب تنظروا فى قضيتى هذه وتحكموا فيها بما يرضى الله ورسوله ويرضى فضيلتكم حيث انى ضعيف الحيلة والقوة ويكون ذلك بأقرب جلسة والحكم بالنفاذ ويكون ذلك الحكم مشمولا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الكرام والاربعة الائمة والأربعة الأقطاب وصاحبة الشورى رئيسة الديوان السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنها وأرضاها وأخويها الحسن والحسين وجميع الأولياء والأنبياء والشهداء الصالحين والأقطاب جميعا وأهل التوبة ورجال الكلمة وأصحاب الطريق وسيدى شبل رضى الله عنه وكل ولى فى الأرض والسماء يحضروا قضيتى هذه ويكون ذلك الحكم مشمولا بالنفاذ بالدمار والخراب ٠٠٠ » ٠ وأعضاء هذه المحكمة هم على حد قول شخص آخر « ٠٠٠ وأنتم أهل البصيرة والشكوى لكم عيب الله والرجال والاقطاب تحكموا عليهم الحكم الشديد الذى ليس فيه رأفة وقد جعلتكم وسيلة بينى وبينهم الله **فى هذه القضية** المقدمة منى تحكموا فيها بما يرضى (الله) ورسوله ويرضى فضيلتكم ويكون ذلك الحكم مشمولا بحضرة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الكرام والأربعة الأقطاب والأربعة الائمة والأنبياء والمرسلين والمقلدين والمجتهدين والشهداء والصالحين يحكموا عليهم بالحكم الشديد ٠٠٠ بناء عليه ألتمس من فضيلتكم صدور الأمر والنظر فى هذه القضية المقدمة منى ويكون ذلك **بأقرب جلسة** ٠٠٠ »(١٥) ٠

ويبدو فى ضوء ما تقدم أن الشكاوى التى تضمنتها الأمثلة السابقة تعتبر فى نظر مرسليها قضايا يطلبون من الامام الشافعى وأعضاء المحكمة الباطنية البت فيها فى احدى الجلسات ويكون الطلب عادة فى أقرب جلسة أو أسرعها ٠ ومع ذلك فهناك بعض الحالات التى يطلب فيها من الامام البت فى القضية وحده أو التحكيم فيها وحده أو

بالاشتراك مع بعض الأولياء فى بعض الأحيان • والملاحظ أن **الأشخاص** المذكورين فى المثالين الأخيرين هم **أعضاء هيئة المحكمة ، اذا اعتبرنا** أن الحكم يكون « مشمولا » بحضورهم كأعضاء ، ولا يكون كذلك اذا لم يحضروا كأعضاء • واذا اعتبرناهم فى هيئة المحكمة ، فاننا **نجد أنهم ليسوا جميعا من الأموات** وان كانت الأغلبيـــة الســـاحقة منهم **من الأموات** • فالصالحون من الناس مثلا قد يكون بعضهم لا يزال حيـــا يرزق ! ومع ذلك يمكن أن نقول ان هذه المحكمة « محكمة » فى « عالم الأموات » يرأسها رجل مات وأغلبية أعضائها الساحقة من الأموات • ويعنى كل ذلك أن فكرة وجود هذه المحكمـــة **وهى فكرة قديمة من** الماضى السحيق ، وان حدث فيها بعض التعديل ، ما زالت مستمرة الى يومنا هذا ••

٤ - **واهم الحقائق كلها التى تتصل بموضوع الدراسة الحالية** أن مضـــمون الرسائل التى ترسلها النساء المصريات فى عصرنا الحالى **تنضح بالأنين والآلام وتبرز مستوى المكانة الاجتماعية المنخفض الذى تعيش فى ظله هؤلاء النساء •• فهن اذا شـكون كانت شكاواهن من الظلم والظـالمين سواء عرفن من ظلمهن أو لم يعرفنهم • وهن فى معظم الحالات فقيرات معدمات** ، فنجد منهن من تشكو ضد من سرق منهـــا « الجاز والدقيق والسمنة والأنجر » ولعل هذه الأشـــياء أن تكون هى كل ما تملك •• ونجد بعض الأزواج يضربن بعض مرسلات الرسائل « بالبلغة » ، أو تجد الأخ الرجل يزوج أخته رغم أنفها ويضيع مالها •• ونجد أخرى تصف نفسها بأنها « حرمة فقيرة ومسكينة وغلبانة » ، وتشكو أخرى الظالمين لأنهم « أهانونى وحبسونى وعرونى » ، وأخرى تتوسل الى الله بأن يمنع رجلا يعمل معها لأنه « ظلمنى وكل يوم يضربنى ويشتمنى »• وتهرع سيدة الى الامام الشافعى تشكو اليه « كل من اعتدى عليهـــا وظلمها وموت زوجها عبد الحميد •• » ، وأخرى تعيش فى خيبة أمل رهيبة وتستعين بالامام الشافعى « على كل من كان السبب فى طلاقى من زوجى وأخذه منى وحرمنى منه » ، ولا تملك هذه السيدة المتألمـة الا الدعاء على « حمدة » ان أخذت زوجها « لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها لأنهـــا السبب فى فصلى عن زوجى » ، أى أن تحرم من الذرية فكل « من قطعتنى من زوجى اقطعهـــا من ولدهـــا واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها » • ونجـــد سيدة مصرية معاصرة أخرى تعيش فى حيرة ، فقد سبت فى عرضها ، سبها زوجها واتهمها بأن ابنتهما عطيات لست ابنته ، ومع ذلك أو

بسبب ذلك ، تجد هذا الزوج يوقع عليها يمين الطلاق ، وهو يمين غريب **يدل على عنت الزوج وغروره الذى ما بعده غرور** ، فالطلاق محرم « بأربعة مذاهب من الأم والأخت وان حلل شيخ حرم بالألف »، وتجد هذه السيدة تسأل الامام الشافعى الذى مات منذ حوالى ١١٥٨ عاما « وهل يصح لى رده من هذه المدة ؟ » ، وفى حيرة شديدة تؤكد السؤال « وهل يصح أن أعيش فى الحرام وأنا معى خمسة ولايا (خمس بنات) واذا سبتهم لأبوهم يلزمنى وزر واذا عشت يلزمنى وزر ؟ والأمر مفوض لله ولك يا صاحب هذا الضريح يا صاحب هذا المقام الشريف » ، ولا تطلب هذه المرأة بعد كل ذلك سوى العدل والحق ، فهى ترسل هذه الشكوى الى الامام الشافعى يرفعها لله والله سبحانه وتعالى يأذن للامام بالتصرف ، ثم ترجو « آن تفرقوا بينى وبين هذا الرجل بالعدل والحق والأمر مفوض لله وللامام فضى الشريعة » ٠ ونجد سيدة آخرى تستجير بالامام الشافعى من أناس (ذكرين وأنثى) لأنهم « يسبوننى ويجعلوا منى بدلا من مخلوقة صالحة مخلوقة فاسدة وخاطئة انهم يرغموننى على الرذيلة ٠٠ » ٠ وماذا تطلب هذه السيدة ؟ انها تعرض شكواها الى الله والى الامام الشافعى « لأنك أنت أقرب الى ربك منى ومن بين الحكماء فى الدنيا يا سيدى الامام أتوسل الى الله واليك أن يخلص الله منهم الثلاثة وأرى بعينى فيهم ٠٠٠ » ٠ انها سيدة تطلب حقها من الشرف والعفة فى ضوء ما تعرفه عن مفهومى الشرف والعفة ، ولا تجد من مجتمع الأحياء الذى تعيش فى كنفه حماية ، ولكنها تحاول أن تجدها فى مجتمع الأموات مجتمع الامام الشافعى ٠ ومثل هذه السيدة سيدة أخرى تؤكد معانى المسكنة والمذلة والفقر ، فقد حرمت من الضمان الاجتماعى الذى كانت تحصل عليه من وزارة الشئون الاجتماعية فهى تشكو من حرمها لأنها تربى يتامى ولأنها اعتبرت هذا الحرمان نوعا من « قطع العيش » ، ولا تجد مخرجا من كل هذا الا أن تكتب رسالتها وتقول « أنا شكتولك (شكوته لك) بذمب (بذنب) محنا (نحن) غلابة ويتامه (يتامى) ومقطوعين (لا عائلة أو عصبية لنا) يا امام ياشافعى محترفنا (يتعدى علينا ويظلمنا) تبين آنا فيه يا امام ياشافعى » ، وهى اذ تلح فى هذا الطلب العادل كما ترى فى ضوء ظروفها الاجتماعية الاقتصادية تقول للامام الشافعى غير واعية أو وهى تعيش فى ظلام الجهل بالدين الخالص « جبنالك ربى والنبى سياء (وساطه) تبين لنا يا امام ياشافعى بذمب محنا غلابة ومساكين ٠٠٠ » ٠والملاحظ ان طلبات مرسلات الرسائل المذكورة طلبات مشروعة ، من حق كل

مواطن على مجتمعه أن يجد تحقيقها سهلا ميسرا ·· فهى طلبات ممثلة للعناصر الهامة للحياة الكريمة فكل انسان من حقـــه أن لا يظلم أو يسرق ومن حقه أيضا أن لا يضربه شخص آخر بأية وسيلة وبخاصة بـ « البلغة » ، ومن حق المواطنة المصرية أن لا تتزوج رغم أنفها أو تهان أو تسب ·· الخ · ومن باب أولى أن يكون من حق المرأة المصرية، وكذلك من حق الرجل ، أن يمارس الزواج ممارسة شرعية ، أى أن يحقق ممارسة الاشباع الجنسى المشروع وانجاب الاطفـــال وتكوين الاسرة · ولكن هدى ·· تجد الصعاب أمامها واقفة فى سبيل الزواج بمن تحب وترضى فهى تكتب للامام الشافعى قائلة « ··· بعد أن أقرأ الفاتحة أرسل اليك يا من حكمت لامك وأبوك أنا هدى ·· أرجـوك وأقع فى عرضك أن تهدى ســـيد بن ··· لى أنا هـــدى بنت ··· ويتزوجنى » ، ولا تكتفى بذلك بل هى تلح فى رســـالتها على الامام حتى يقضى لها هذه الحاجة المشروعه قائلة « أنا سئت (وسطت) عليك النبى أن تلحلحوا (تحثه) ويقول أتزوج هدى بنت ··· أنا وقعت فى عرضك تمشى هذا الطريق ··· » !!

٥ ــ واذا درسنا الرسالتين السابقتين المرسلتين من الزوجين ضد زوجتيهما نجد ان الاول يقول ان زوجته نبيهة بنت ··· « ظالمة وظلمتنى كتير ان كان هذا الظلم يرضيكم لا مانع فنرجو من ســـــيادتكم تنظر فى موضوعى لسبب ظلمى وقالت على كتير كلام باطل والله لم حصل منى أبدا **وأنا تحت لطف الله** لو كنت ظالم هـــــو المنتقم منى ··· » ثم يسترسل ويقول « وان كانت هى ظالمة الله لا يستر معها فى الدارين دنيا وأخرى بحق ظلمها فينا وأهلى وحسبنا الله ونعم الوكيل فيها هى وامها وأخوتها الظلمه ··· » · ثم يفصح هذا الرجل عن شىء فعلته زوجته ويبدو أنه مريض فالعبارة « وأنا تحت لطف الله » قـــد تعنى ذلك ·· ومع ذلك فاننا نلاحظ أنه وضع نفسه وأهله فى كفة ووضع زوجته وأمها وأخواتها فى كفة أخرى ·· ولعل هذا الرجل أن يكون هو وأهله ، مثل زوجته وأهلها ، من قاع المجتمـــع المطحونين الذين يعيشون كغيرهم من الملايين فى ظلام الغيبيات التى لا يقرهـــا الدين الخالص أو العلم العصرى ·· والزوج الثانى على عكس الاول يوضـــح عناصر شكواه كما يوضح عناصر طلباته ، **وهو يعمل بمهنة التدريس ،** وخط الرسالة كما يلاحظ القارىء جميل ولغتها لغة فصحى · نجـد هذا الرجل يتقدم الى الامام الشافعى بشكواه قائلا : « الى مقام السدة الشريفة والروضة الطاهرة سيدى الامام الشـافعى » ، وتراه يصف

نفسه بأنه « العبد الفقير الى الله المسكين كمـــال ٠٠٠ **المدرس** ٠٠٠ مركز ٠٠ » ٠٠ أما شكواه فهى ضـــد زوجته سـعاد ٠٠ وتتضمن عناصرها الظلم وعدم رعاية حقه وحق أولاده وخيانة ماله وأولاده اذ سلمت ماله لامها نجية ٠٠ أوبعدت أولاده عنه لانها كما يبدو تركت بيت الزوجية مسايرة لأمها فى أفكارها ، وشكته وتسببت فى سـوء سمعته ولم تراقب حدود الله فيه ، فهى « تخدم الغير وتبخل بخدماتها لى وتتزين للغير وتحرم ذلك على ٠٠ سخرت بى وجعلت غيرها يشاركها السخرية » ٠ وفى هذا الضوء يرجو كمال المدرس من الامام الشافعى قاضى القضـــاة وكرم الله وجهه قائلا « نفذ فينا حكم الشرع الحنيف وانصف بعضنا من بعض ٠ **ورد على أولادى وزوجى** واقض فينا قضاء الله يرحمك الله ويحمى بك دينه ٠٠٠ » ٠٠ والملاحظ أنه على الرغم من أن عناصر الشكوى المقدمة ضد زوجته وأمها عديدة ومتنوعة فان هذا الزوج يطلب أن تعود اليه زوجته ويعود اليه أولاده ٠ وربما يرجـع ذلك اما الى أن الزوج شخص متسامح وكريم أو أنه يغالى فى شكواه ٠ وأنا أرجح الرأى الثانى لأن عناصر الشكوى المقدمة ضد هذه الزوجة لا يمكن أن تصدر الا عن زوجة غير صالحة ٠٠

٦ ـ والملاحظ أن الرسائل المذكورة هى عينة من الرسائل كلها التى قمت بدراستها ومن ثم فمن حق القارىء على أن أؤكد له كما سبق أن ذكرت أن من واجبى أن لا أعمم فى ضوء حقائق نتيجتى رقم ٤ ورقم ٥ ٠٠ ومع ذلك فانى أؤكد للقارىء أيضـــا ، وأمامه ما وصلت اليه ، أن لا يستهين بهده الحقائق ، فهى تعكس ظروف المجتمع الدى تعيش فيه مرسلات الرسائل الى ضريح الامام الشافعى والذى يعيش فيه مرسلو هذه الرسائل الى هـــذا الضريح ، وهم يمثلون بدورهم الملايين من المطحونين من بنات مصرنا الخالدة وأبنائها ٠٠

المراجـــع والتعليقات

١ - سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارســـال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحة ١٥٧ .

٢ - المرجع نفسه : صفحة ١٥٧ .

٣ - نفس المرجع : صفحتا ١٦٤ - ١٦٥ .

٤ - نفس المرجع : صفحات ١٧٣ - ١٧٥ .

٥ - نفس المرجع : صفحتا ١٩١ - ١٩٢ .

٦ - نفس المرجع : صفحة ٢٠١ .

٧ - نفس المرجع : صفحة ٢٠٢ .

٨ - نفس المرجع : صفحة ٢٠٧ .

٩ - نفس المرجع : صفحات ٢٠٨ - ٢١٣ .

١٠ - نفس المرجع : صفحة ١٩٦ وصفحة ٢٠٨ .

١١ - نفس المرجع : صفحات ٢٠٧ - ٢٠٩ .

١٢ - نفس المرجع : صفحتا ٢١٤ - ٢١٥ .

١٣ - نفس المرجع : صفحات ٢٣٧ - ٢٣٩ .

١٤ - نفس المرجع : صفحات ٣٣٦ - ٣٣٩ .

١٥ - نفس المرجع : صفحات ١٥٨ - ١٦٣ و ٢٧٤ - ٢٧٥ و ٢٧٦ - ٢٨١ و ٣٤٨ - ٣٤٩ .

٥ - أكثر من يعد بالنذور هن النساء المصريات

ولعل القارىء أن يكون قد لاحظ ما وعدت أم محمد بنت ... الامام الشافعى به فى رسالتها اليه (أنظر الرسالة الأولى) ، وهى السيدة التى تشكو اليه من ظلمها وفتح صندوقها وسرق مصوغاتهـــا وتطلب من الامام قائلة « تخلص منه أو منها بمعرفتك من الذى ظلمها بمعرفتك تخلص منه.. **والله نبعتلك البشرى فى الخطاب** » ..

ولعل القارىء أن يكون قد لاحظ أيضا ما وعدت به الســيدة التى لم تذكر اسمها الامام الشافعى فى رسالتها اليه ، وهى الســيدة التى تربى يتامى وتصف نفسها ضمن الغلابة واليتامى والمقطوعين ثم حرمت من مرتب الضمان الاجتماعى الذى كانت تحصـــل عليه .. فقدمت شــكوى للامام الشافعى من أجل ذلك ضد شخص يدعى محمد بن ... ، وجاء فى مضمونها « ... وكنا محتاجين المعاش ومن يوم رفتنـــا من المعاش واحنـــا مساكين أشرلنا فى جسمه (جسم المشكو فى حقه طبعا) يا امام ياشافعى **لك دبيحة ان بينت فيه ...** » . وقد لاحظت من بين الرســـائل المرسلة الى ضريح الامام الشافعى التى درستها (١٦٠ رسالة واضحة) أن عشر رسائل منها يعد فيها مرسلوها بارسال نذور الى الامام الشافعى أن تحققت طلباتهم .. وكان أكثر من وعد بارسال نذورهن النساء . فقد بلغ عدد اللانى وعـــدن بارسال نذر ست اناث ، أما عدد الذكور فقد كان ثلاثة ذكور فقط ، وهناك شخص واحد تعذر التعرف على نوعه قد وعد أيضا بارســـال نذر . أى أن أربع سيدات أخريات قد وعدن بارسال النذور للامام الشـــافعى غير من ذكرنا آنفا .. ومن هؤلاء نجد سيدة تشكو شخصا معينا سمته وسمت والديه الى الامام الشافعى ، وموضوع الشكوى أنه يعمل أسحارا ضدهـــا وضد آخرين ينتمون اليهـــا وتطلب من الامام الشـــافعى قلب « الكتابة والأسحار » حتى يوفق الله بينهم .. وتعد الامام بقولها « والله يقدرك للعمل الصالح **والندر ٥٠ خمسون قرش ندر** » ..

وسيدة أخرى تشكو الى الامام كل من يعتدى عليها وتستنجد به من الظالم ثم تخاطب رئيس المسجد قائلة « أعرفك لما ربنا يبلغ المقصـــود **لك الحلاوة ان شاء الله** » . وفى رسالة أخرى نجد سيدة تبث شــكواها الى الامام ضد شخص لا تعرفه ولكنهـــا تقول : « **وأنت سيدى الامام تعرفه شخصيا** » وتطلب من الامام أن يظهره وأن ينتقم منه ، وتختم الرســـالة

بقولها « وان شاء الله عندما يظهر البيان وتصير سليمة سنحضر لك شخصيا **وندفع لك ما فيه النصيب** » ٠٠ وتشـــكو ســـيدة آخرين الى الامام لأنهم « تعدوا عليها بالألفاظ التى تحزن النفس ويكتئب منهـا القلب » ، وتطلب منه أن يتصرف فيهم ، ثم تعد الامام قائلة « وان بينت فيهم **يبقى لك عندى نايب كبير** » ٠٠

ولعل القارىء أن يلاحظ أن هؤلاء الســـيدات على الرغم من ظروفهن الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التى يرثى لها ، فانهن اذ يتعاملن مـــع الامام الشافعى كأنهن يتعاملن مـــع الأحياء ذوى السلطان الذين بيـــدهم الأمر ٠ وما النذور فى رأينا الا رشاوى يشجع عرضها على المسئولين من ذوى السلطة القيام بتحقيق طلبات عارضيها ٠ وهى طلبـــات يفترض أن يحققوها دون أخذ أو عطاء أو وعد بأخذ أو عطاء ٠٠

ويبدو أن النساء المصريات المعاصرات هن فى الغـــالب أكثر من يعدن بالنذور٠ ولا يعتمد هذا الرأى على ماذكر من أمثلة فقط ولكن منملاحظاتىلهن وهن يزرن أضرحة الأولياء والقديسين ٠ أو اذا كن مصـــابات بعقم أو كان أزواجهن مصابين بالعقم ، أو كن يتوهمن ذلك ٠ أو كن فى حـــالة مرض جسمى أو نفسى ٠٠ أو كان لهن أطفال مرضى ٠٠ أو كان أطفالهن لا يعيشون طويلا ٠ أو اذا رغبن فى الأبناء الذكور !! أو اذا تحقق نجاح الابن الطالب أو

زواج الابنة البائرة أو شغل الزوج المتعطل عن العمل ٠ أو اذا وجـــدت الخلافات والمشاكل الزواجية مثل حالات هجر الزوج أو زواجه من زوجـــة أخرى أو اصابته بالعجز الجنسى ٠ ٠

والملاحظ أن صور النذور عـــديدة ، فهى عينية ، وهى نقدية ، وهى طقوسية ، كأن تنذر السيدة صوما أو صلاة ٠ وهناك صور أخرى كأن تنذر السيدة كنس ضريح أحد الأولياء لمدة معينة ، أو تنذر تقديم خدمة معينـــة أخرى تتعلق بالضريح أو بزوار هذا الضريح ٠ ولعل القارىء أن يكون قد لاحظ ما لاحظته أن النـــاذرات اذ ينـــذن نذورهن يكون وفاؤها عـــادة مشروطا ٠٠

وفى ضوء الدراسة الحالية لا نعنى بالضرورة بموضوع النـــذور فى ذاته ، ولا نعنى بالضرورة بأن الدولة تشارك أعضاء مجتمعنا المعـــاصر فى الاهتمام بموضوع النذور فى شخص وزارة الأوقاف التى تهتم اهتمـــاما بالغا بحصيلة صناديق النذور بمساجد أولياء الله حتى أنهـــا خصصت ادارة من



اداراتها لتنظيم المبالغ التى تدرها هذه الصناديق وتوزيعها ، وانما نعنى بالضرورة بالسيدات المطحونات اللاتى من خـوف الخوف ، أى من غضب الذكور الذين من حولهن ٠ أو طمعا فى الرجاء المستحيل ، أى فى رجـــاء رضاء هؤلاء الذكور عنهن ـ يقمن بأعمال لا يقرها عقل ولا يعترف بها دين خالص مثل تقديم النذور للموتى من أولياء الله أو القديسين مثلا ٠ فالدين الاسلامى يعتبر نذر النذور من أعمال الجاهلية ومخالفا لدين الله ورسوله ٠٠

« ولو عرف الناذر بطلان ذلك ما أخرج درهما لانه أضاعة للمال ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا بل فيه المخالفة والمحاربة لله تعـــالى ولرسوله ، ويجب رد المال الى من أخرجه ٠٠ وقبضه حرام ، لأنه أكل مال لناذر بالباطل ، وفيه تقرير للناذر على قبح اعتقاده وشنيع مخالفته ٠٠ فهو كحلوان الكاهن ومهر البغى »(١) ٠

ان ظروف النساء المصريات البائسة تدفعهن ما فى ذلك من شـــك الى الوعد بالنذور بألوانها وأنماطها ٠ ولعل عدم الاستقرار الاجتماعى فى كنف الزوج ، والأمية التى تستشرى فى محيط الملايين من نساء مصرنا الخـــالدة حتى الآن ، والمستوى الثقافى المتخلف الذى يعشن فى ظله وبخاصة فى الريف المصرى العتيد ، وما يصدر عن الذكور نحوهن من معاملة شاذة أو من عواطف متخلفة ، والحيرة التى تواجهن فى كل لحظة بسبب كل ذلك ـ لعل كل أولئك اجابة عن التساؤل اذا كنا فى حاجة حقا الى هذا التساؤل ٠ **ولعـــل الحديث عن المرأة المصرية المعاصرة فى الكتا بالحالى أن ييسر للقارىء تأكيد بعض ذلك أو تأكيد كل ذلك ٠٠**

المراجع والتعليقات

١ ـ سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقـائق الثقـافية المصرية المعاصرة ، القـاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، صـفحات ١٣٢ ـ ١٣٩ ٠

الفصل الثالث

النظرة نحو المرأة المصرية

١ ـ حول موضوع جسم المرأة المصرية ..

٢ ـ نظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحو المرأة المصرية المعاصرة ..

٣ ـ نظرة الشابات المصريات غير المتزوجات نحو الرجل المصرى المعاصر ..

٤ ـ رأى الشباب المصرى المعاصر فى اختيار الزوج أو الزوجة ..

٥ ـ نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو نفسها : تجربة منهجية ..



١ - حول موضوع جسم المرأة المصرية

أرجو أن يلاحظ القارىء الدعوات الصالحات وغير الصالحات التى تملأ المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى المعاصر ٠٠ كما أرجو أن يركز اهتمامه على التعبيرات الشعبية الشائعة فى هذا المناخ والتى تتضمن الدعوات غير الصالحة أو النابية المتعلقة بالانتقام من « جسم » المدعو ضده ، وبخاصة ما يشوه هـذا الجسم عند الاصابة بالشلل أو بالعمى أو بالكساح أو بالجذام مثلا ، وذلك لأن الاهتمام بجسم الانسان بعامة وبجسم الأنثى المصرية بخاصة عند المصريين المعاصرين ، وهو حى وبعد مماته ، يرجع الى الماضى السحيق منذ آلاف السنين وحتى الان ٠ فالجسم السليم كان مرغوبا فيه حيا كان أو ميتا ٠ وكان فرعون عندما يذبح أعداءه نجد مكتوبا « أنه دمرهم وكأنهم لم يوجدوا أبدا » ٠ وكان المصريون القدماء يخشون هذا المصير ٠ ولكن اذا كانت كل التحويطات لمنع ذلك قد اتخذت بنجاح ، فان الموت العادى يكون مجرد انتقال من حالة حياة الى حالة حياة أخرى ٠٠ ومع ذلك فقد حمل المصريون القدماء ، الى درجـــة التعصب ، كراهية ومقتا للموت ، وخصصوا جزءا غير صغير من أموالهم لتدبير الطرق والوسائل لغلبته ٠ ٠٠ ولعل هذه الخاصية النفسية الجوهرية ، عند المصريين القدماء ، تكشفها الكلمات الرئيسية للاستغاثة المنقوشة على الكثير من شواهد قبور المملكة المتوسطة ٠٠ وتحض هذه الكلمات عابرى السبيل على ترتيل الدعوات بالنيابة عن المتوفى ٠٠ فنجد بعض ما كتب على شاهد مقبرة مثلا :

« أنت الذى تعيش وتبقى ، أنت الذى تحب الحياة وتمقت الموت ، كل من يمر الى هذا القبر ٠ كما تحب الحياة ، وتمقت الموت ، لهذا السبب فانك تهب لى بذل ما فى يديك ٠ وان كنت صفر اليدين ، فتحدث بفمك هكذا :

« ألف من الخبز ، ومن الجعة ، ومن الثيران ، ومن الاوز ومن أوعية مصنوعة من الرخام ، ومن التيل ٠٠ ألف من كل الاشياء النقية الى الموقر أنيوتيف بن أنيوتيف بن خيو » ٠٠

ومن العجيب أننا كثيرا ما نشاهد على شواهد القبر حتى وقتنا هذا « كتابات مماثلة ، تحض زائريها أو المارين أمامها على ترتيل الدعوات ، منها :

« يا زائرى هل لى من دعوة صالحة ؟ »

« ابسط يديك الى السماء ، واقرأ لروحى الفاتحة(١) » ٠٠

وفى ضوء طبيعة تربة مصر ومناخها من حيث اعتداله وجفافه ، نلاحظ أن كل ذلك يوحى بأن القاعدة هى الدوام والاستمرار لكل شىء • ومن تم لا داعى الى استثناء الانسان من هذا الدوام والاستمرار •• ويضاف الى ما جعل المصرى القديم يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت ما كان يراه فى الاحلام من أشخاص الموتى يخاطبونه أو يغشون الأماكن التى كانوا يعيشون فيها •• •• وربما كانت هذه الأحلام داعية الى ايمانه بأن الروح تعيش مستقلة عن الجسد وتبقى بعد الوفاة •• **فاذا كان جسم الميت سليما** استطاعت الروح أن تعود اليه • ولعل المصريين القدماء كانت لهم مصلحة كبيرة ، باعتبارهم يمارسون الزراعة ويحرصون على زيادة المحصولات ، فى أن يبقى الميت العظيم ، رئيسا أو كاهنا أو ملكا ، لأنهم كانوا يعتقدون أنه هو الذى كان يزيد المحصولات •• **فما دام حيا (ببقاء الجثة بعد الموت) لا يكون هناك خطر من نقص الطعام**(٢) ••

والاهتمام بالجسم السليم حيا كان أو ميتا عند المصريين القدماء يدل عليه الاهتمام بالطعام والشراب والملابس والحلى والعطور •• ويرى « سليم حسن » أن الجنة التى وصفتها لنا « متون الأهرام » هى صورة من حياة الفرعون الدنيوية نقلت الى عالم السماء لتمثل حياة « رع » فى السماء ، وهى الحياة التى كان يعيشها على الأرض قبل أن يرفع نفسه الى السماء •• فنجد فيها الاله الاعظم محاطا برجال بلاطه الذين يحملون ألقابا مثل الالقاب التى كانوا يحملونها فى الحياة الدنيا ، ويعيشون فى نعيم ، فيلبسون الأرجوانى (ولباسهم فيها حرير) ، وطعامهم فيها التين ، وشرابهم الخمر ، وشذاهم العطور ، ولا نزاع فى أن هذه الصورة لها نظائرها فى القرآن الكريم •• وجنة « رع » هذه تشبه جنة « أوزيريس » التى يدخلها الأبرار فى جوهرها • **وكانت أمنية الاغلبية الساحقة من المصريين القدماء ، على الارض وفى الآخرة ، وتستمر هذه الامنية حتى الآن**(٣) ••

والعناية بالجسم نجدها فى مضمون بعض الرسائل التى كان قدماء المصريون يرسلونها الى موتاهم ، عندما كتبت الارملة « ديدى » ، مثلا ، رسالة تلوم فيها زوجها المتوفى لانه تقاعس فلم يمد يد المساعدة للخادم « ايميو » المريضة ليشفيها • وعندما كتب الزوج الأرمل حين اعتراه المرض الى زوجته المتوفاة « أنخيرى » رسالة يستعطفها فيها ويتملقها ويحاول استرضاءها وتهدئتها وطلب حمايتها ، وهو اذ يفعل ذلك يذكرها بما كان يرسله اليها من مراهم وزيوت (عطور) ومؤن وملابس قبل أن تموت ، وعندما مرضت كيف أمر باستحضار طبيب ضليع ليقوم بعلاجها •• الخ(٤) •

ويرى المصريون المسيحيون أنه لابد أن تلبس النفوس أجسادها لكى تكافأ النفوس التقية منها بالوجود فى السماء ، ولكى تجازى النفوس التعيسة منها بالطرح فى جهنم • وهم اذ يرون انه عدل أن تكافأ النفس فى الجسد الذى أحسنت اليه ، وتجازى النفس فى الجسد الذى أساءت فيه •• وان العيون التى منعت من التلذذ بالمناظر العالية ، والالسنة التى أبت أن تتذوق لذة الدنيا ، والآذان التى حرمت ذاتها بالتمتع بأصوات هذا الوجود ، هى التى ستفوز بكل سعادة فى العالم الآخر ـ فان الجسد المقـــام فى رأيهم ، يشابه الجسد الذى لا يموت من بعض الوجوه والا يكون العمل خليقة وليس قيامة • ويرون أن انكار مشابهة الأجساد الطبيعية للأجساد المقامة ، مشابهة خاصة ، انكار للقيامة نفسها ، ولا يقوم الاعمى أعمى ، ولا الأعرج أعرج ، ولا الضعيف ضعيفا ، بل يقوم الكل أصحاء كاملين •• وسيكون الفرق عظيما بين أجساد الأبرار وأجساد الأشرار التى تقوم • فالأبرار المسيحيون ، على عكس الأبرار فى عقيدة المصريين القدماء ، « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شئ من الحر » ، (رؤ ٧ : ١٦) ، ولن تسود عليهم الشهوة لانهم يكونون كملائكة الله « لانهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » (مت ٢٢ : ٣٠) •

وتكون أجساد الخطاة مملوءة ومتشحة بالسواد وتنبعث منها الروائح الكريهة(٥) ••

وفى ضوء تعاليم الدين الإسلامى يعتقـــد المصريون المسلمون أن بدن المرأة كله عورة يجب عليها ستره ، ما عدا الوجه والكفين ، قال الله تعـــالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** ••• » (٢٤ م النور : ٣٠ ـ ٣١) ، أى ولا يظهرن مواضع الزينة ، الا الوجه والكفين •• ويلاحظ أن فى الآية من حيث المبدأ قد خاطبت المرأة بما خاطبت به الرجال أسوة بسائر الأمور مـــع اختصاصها بما هو من شأن طبيعتها الجنسية • وجملة (إلا ما ظهر منها) قد تعنى أشياء أخرى كالخاتم والخضاب والكحل والثياب وظهر الكفين بالاضافة الى الوجه والكفين •• والفقهاء متفقون على أن وجه المرأة ويديها ليست عورة ويجوز كشفها استدلالا من هذه الجملة(٦) ••

ويعتقد المصريون المسلمون أن الناس يبعثون ويحيون ويقومون وكلهم أحياء حتى السقط الذى نفخ فيه الروح وتم خلقه •• حيث تنطلق كل نفس الى جسدها حتى تدخل فيه •• ويبعث كل عبد **على ما مات عليه** •• وقيل

ان الميت يبعث فى ثيابه التى قبض عليها ٠٠ وقيل ان الناس يبعثون عراة ، وتكون أرض يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم ، ويحشر الكافرون على وجوهم ٠٠ ومن الناس من يكونون راكبين ، ومنهم من يمشون ويسعون ٠٠ ويبعث المتكبرون فى صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم ٠٠

ويسأل الناس ، الذكور والاناث على السواء ، يوم القيامة ، عن السمع والبصر والفؤاد ٠٠ وتشهد أعضاء العبد عليه يوم القيامة ٠٠ تتكلم الايدى وتشهد الارجل والالسنة والجلود ٠٠ قال الله تعالى « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » (٣٦ ك يس ٦٥) ، وقال تعالى « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (٢٤ م النور ٢٤) ، وقال تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ٠٠٠ » (٤١ ك فصلت ٢١)(٧) ٠٠

ويؤكد اهتمام المصرى المعـــاصر بالجسم السليم موقفه من مهنة الطب عندما يصيبه المرض ٠ والملاحظ أن مهنة الطب فى مجتمعنا مهنة عريقة ٠٠ وقد صدرت مصر فيما صدرت الى العالم الخارجى الخبرات الطبية ما اعترف به المؤرخون وأكده العلماء فى فروع العلوم الطبية ٠٠ وهى مهنة عريقة يتوج أصحابها فى مجتمعنا مكانة اجتماعية رفيعة ٠٠ توحى بالرهبة أحيانا ، كما توحى بالحب والرحمة أحيانا أخرى ٠ وقد توحى بمشاعر انسانية أخرى عديدة كذلك ٠٠ فهى تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القـــديم المستمر عبر القرون منذ أكثر من سبعين قرنا ٠٠

ومهنة الطب فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات اذ تتعامل مع الانسان سواء كان طفلا أو صبيا أو شابا أو رجلا أو كهلا أو شيخا ، أو كان ذكـــرا أو أنثى ، تراه بالضرورة ، أو يجب أن تراه بالضرورة ، لا يعيش فى فراغ ٠٠ بل يعيش فى علاقات اجتماعية على الدوام ، وله أدواره الاجتماعية التى يؤديها فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ أى أن مهنة الطب لكى تؤدى مهمتها ، وتحقق أهدافها ، تهتم أو يجب أن تهتم بالانسان وهو يعيش واقعه الاجتماعى الحى ، أى تهتم بالضرورة بظروفه الاجتماعية وبظروفه الاقتصادية وبظروفه الثقافية على السواء ٠٠

ومهنة الطب فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات تهتم فى الغالب بعلاج أمراض الأجسام ، كل هذه الأمراض ، وان كان اهتمامها بالوقاية من هذه الأمراض وبالعناية بدور التنمية فى محيط المادة البشرية من الوجهة الصحية حتى يشب أعضاء المجتمع أصحاء الأجســام أقوياء يستطيعون أن يؤدوا

واجباتهم الاجتماعية أحسن أداء - لا يبلغان الحد المطلوب فى ضوء قيم كل مجتمع ومبادئه ومثله العليا ·

وفى ضوء واقعنا الثقافى الاجتماعى الحى ، نلاحظ أن مهنة الطب وهى تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القديم المستمر عبر القرون ، قد تركت فى نفسه علامات ·· فالطبيب هو الملاذ الذى فى يده **أن يكيد العوازل حتى ولو كان المرض مرض الموت :**

« أمانة يا طبيب لو قابلوك العوازل تقول طيب
يباتوا كمادى وأصبح أنا على السرير ميت »

ومهما كان الطبيب ، فانه لا يستطيع بالتأكيد أن يشفى ، **ولكن الله وحده هو القادر الأعظم :**

« جس الطبيب فى شمالى قلت له على مين (على اليمين)

صابح مسافر يا طبيب وفايتنى عليل على مين ؟
وأهلى وناسى بقوا بالجروح عالمين
والله ان طيبتنى لانصب رايات على المين (على المينا)

وان ما طيبتنى يا طبيب يطبنى الاله وحده
لا فوقه طببه ولا عالمين »

ولا هم للطبيب **الا أن يسأل عن أتعابه وعن ثمن الدواء مهما كانت معاناة المريض من الآلام الى حد الموت :**

« طبيب وقال للعليل أداويك يا عليل وآخد حق الدوا من مين ؟
قالت أخت العليل داويه يا طبيب وخد حلقى وخلخالى ،
قالت أم العليل داويه يا طبيب وخد منى جميع مالى ،
قال أبو العليل داويه يا طبيب ونعلق لك فى الجبال علمات
طق العليل مات من قولت آخذ حق الدوا من مين ؟ »
و « جس الطبيب فى شمالى قلت له على مين
صابح مسافر يا طبيب وفايتنى عليل على مين ؟
قال ان داويتك ياعليل راح آخد الدوا من مين ؟
أنا قلت يا طبيب ماتحسبنيشى من الرجال خالى
دنا لى ألفين غير عمى وغير خالى
قالت أخت العليل داويه يا طبيب وخد حلقى وخلخالى

قالت أم العليل داويه يا طبيب وخــد جميــع مالى
قال أبو العليل داويه يا طبيب ونعلق لك فى الجبـــال علامات
طق العليل مات من قولت حاخد الدواء من مين ؟ »

والأنين من جشع الأطباء يزداد ويزداد حتى يقول القائل :

« طبيب يا جبـــار مكـــاسبى من العيـــا راحت
وكان عنـــدى ميراث عال من أثر الجـــدود راحت
مـــكاسبى قـــلت وحتى صــــحتى راحت » ٠٠

وتبلغ شكوى العليل حــد اليأس ، فيلجأ الى **الأولياء والقديسين يطلب الشفاء منهم :**

« عليل ابتــــلى بالسرطان حير جميع الطبـــابا
زعق وقال يا سرطان (يا سر طنطا) انت كبير الطبابا »

واذا كان الانســـان المصرى يحزن للموت والفراق حزنا شـــديدا ، فالطبيب وهو مصرى اذا يئس من شفاء العليل **يدعو أهله الى الحزن والبكاء :**

« الطبيب يقول لأم العليل هاتى لك ناس وتعـــالى ابكى
على ابنك اللى تعب فى المـــوت وتعـــالى ابكى
دخــــل الطبيب عـــلى العليـــل وهـــو مات
يا طـول بكاك عـــلى الاثنين وتعـــالى ابكى »

ومهما كان العليل مريضا **فالأمل فى أن يشفى قائم** ٠٠ فهو يرجو هذا الشفاء لكى يأكل كما كان يأكل :
« عليـــــل يقـــول للطبيب وقت ايــــه أطيب وأمشى
وأترك بـــــلاد العســـــل وآكل بصل وأمشى (بالمش) » ٠٠

وتجد مشاعر العليل نحو **الأهل الذين جافوه والأصحاب الذين تركوه** تملأ عليه كيانه :

« فى باطنى جرح بشينه بفوارة
وفيها مراكب بتوسق جبس وحجارة
لمــا أتانى العيـــا وبركت فى الحـــارة
أهـــلى جـــافونى وجـــالو ما ولـــدناش حـــد

و « وقت ايه يا ناس أبرأ من العيـــا وأطيب
وأعاتب الصاحب اللى كنت عامله حبيب
يفوت على البيت أكنه أجنبى وغريب
حتى السلام يا رفاقه لم يجـــوله لحد

والملاحظ أن الطبيب عند الانسان المصرى لا يشفى من الأمراض الجسمية فحسب ، **فهو انسان حكيم يدعو الى الايمان والى الخلق القويم :**

« بقول يا طبيب يا لى مؤمن بالاله ونبيــه
وقاضى فــرض ربك وماشى بشرع نبيــه
رب العباد أكرمـك بقيت فصيح ونبيــه
الزور منعته وخـــدت الحــق من طبعــك
ابليس عصيته ولا قبلتش ســؤال منــه
واشتهرت فى الجـــود وداء الكـرم طبعـك
والبخـل دست عليـه ما فاتش قيراط منـه
يا أبو فعـل محبوب تمــلى الأدب طبعــك
كمثل الورد فى شـــجر وريحته تبان منه
وفى كل مكـــان شهدولك العـــالم بالحـق
وقالوا دا طبيب طــاهر وصــاحب حــق
حتى اللسان منصان ما بيقولشى خلاف الحق
وصـــاحب الحـــق تلقـاه مليح ونبيه » ..

ونظرة الانسان المصرى نحو الطبيب ، **أنه الملاذ الأمين** الذى يشكو اليه حاله ويستنصحه فى شأن خلانه وأحبائه :

« تسمع وتسلم أنا شفت العليل على العضم
متاكل اللحم والجلـــد فضل على العضــم
والدود سرح فيـــه ملقـــاش ليان فى العضم
فقال الطبيب للعليل يا عليــل فين رفقاتك
كانوا يجولك يمكـــن تلقى الرجـــال منهم
مقال العليل للطبيب بس ماتقولشى رفقاتك
ما البـلاوى يا طبيب وأصـــل العيـــا منهم
طـــول ما معــاك مال ماهم كتار رفقاتك
وان خس مـــالك لم تلـــق أحـــد منهم
أنا خـانى زمانى المنيـــل والطمع والجـــاه

ووقعت مـع ناس مالهمش أساس ولا جاه
حالا شرحت المثـل زى العسـل والجـاه
عتبك عـلى الأهم ياكلوك لحـم ويرموك عضم » ..
و « يا طبيب معى ألـم قد العلم عينـاه
على خـل صادق كانت ايدى اليمين عينـاه
شبه الجواهر وأغـلى من الدهب عينـاه
سـعدى ووعـدى أتونى فى أذان العصر
اسـتكتروا نعمـتى خـدوا الحبيب مـنى
راحت ليـالى الهنـا جاتنـا ليـالى عسر
يا نار فؤادى انكوى شلعوا الهـوا مـنى
لا أسيب منـادى ينادى كـل يوم العصر
يارب مش قـدرتى وانت قـوى مـنى
يارب وآنا آدمى مانيش حجـر يوسـف
ويعقوب على سجن يوسف ضببت عينـاه(٨) » ..

والملاحظ فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، فى ضوء التراث الثقافى المصرى، وفضلا عما سبق ، أن جسم الانسان ، كله أو بعضه ، له مكانة اجتماعية ذات حساسية معينة عند المصريين المعاصرين .. وأن أى شىء فيه خارج عن المألوف له معنى اجتماعى معين .. حتى بعض وظائف هذا الجسم ينسب لبعضها معانى اجتماعية معينة فى بعض الأحيان .. وأقصد بعبارة « خارج عن المألوف » هذه أن يكون قليلا أو نادرا .. أو أن يكون صاحبه ، أى صاحب الجسم ينتمى الى أقلية من الاقليات فى المجتمع ، وتكون بالضرورة أقلية مستضعفه كأقلية الزنوج فى الولايات المتحدة .. وليست أقلية تملك السلطة وتحكم كأقلية البيض فى جنوب أفريقيا ، أو كالاقلية الحاكمة فى سجن من السجون أو فى معتقل من المعتقلات .. واعطاء الشىء النـاقص فى جسم الانسـان أو فى وظائفه ، أو الزائد أو المغاير - أى اعطـاء الشىء الخـارج عن المألوف معنى اجتماعيا حسنا أو مقبولا أو معنى اجتماعيا غير حسن أو قبيح - يرجع الى الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التى عاشـها مجتمعنا وما زال يعيشها .. ومن ثم نجد ، فى هذا المجتمع ، على مستوى الأشخاص ، الأناث منهم أو الذكور ، بعض المعانى المحببة التى يعطيهـا المصريون المعـاصرون لـ « الخال » أو « الشامة » أو « طابع الحسن » و « اللون الأسمر » .. كما نجد أيضا المعانى الاجتماعية للرجل « الأشقر » و « عدو الشمس » ، وللرجل الذى لا شارب له ولا لحية « الأجرود » و « صباح القرود ولا صباح الأجرود ».

وللشخص الطويل نسبيا وبخاصة اذا كان امرأة « طويل وهبيل » والقصير نسبيا « قصير ومكير » و « شبر واقطع » وغيرها من المعانى الاجتماعية التى تعطى لذى الستة الأصابع ، وأصحاب العاهات مثل « الاعور » و « أبو فانوس مطفى » أو « أبو فردة كريمة » ، وغيرهم وغيرهن ٠٠ وكلها معانى اجتماعية غير محببة ولا مقبولة فى مجتمعنا المعاصر ، ولكنها لا تحمل فى طياتها ذرة من التعصب الفطرى أو العنصرى ، وان كانت تحمل فى طياتها مجرد السخرية اللاذعة فى بعض الأحيان(٩) ٠٠

ونلاحظ اهتمام الانسان المصرى المعاصر أيضا بالتعبيرات التى تتضمن جسم الانسان أو بعض أجزائه ٠٠ فهو اذا يرى الأنثى الجميلة التى أصيبت بشلل الأطفال مثلا يقول وهو آسف أحيانا أو يقول بقصد الغزل أحيانا أخرى « الحلو ما يكملش » ٠ والوجه الجميل يعبر عنه فى حبور بالقول « وشك ولا وش القمر » ٠٠ والشخص صاحب الأسنان البيضة يقال له « يا أبو سنة دهب لولى » ٠٠ واذا أبدى الانسان المصرى اقتناعه ورضاه فانه يقول « كلامك على راسى » أو « كلامك على عينى وراسى » ، أو مجرد « على راسى » ٠٠ واذا مرت سيدة سمينة تجر كرشها الرهيب أمامها وهى تسير الهوينا ، يقول بعض الرجال فى تهكم لاذع « أوعى المحمل ! » ، أو مجرد « دى ست تخينة زى الفشلة » ! أما اذا كانت رفيعة تلفت النظر فهى عند بعضهم : « عصايص النقارية » أو هى « امرأة لها عرقوب » ! واذا كانت السيدة حبلى يقول هؤلاء لافتين أنظار الآخرين فى دعابة جنسية خبيثة « يسلم اللى عبا » ! وعند أداء المعروف للآخرين يكون الشكر على ذلك بالقول « تسلم ايديك » ، وأغنية الوردة البيضاء المعروفة تقول « تسلم ايدين اللى سقاك » ٠ وردا على الجميل ترى الواحد منا يقول ان فلانا أو فلانة « جميله على راسى » ، أو « جميلها على راسى » ، أو يقول شخص عن شخص آخر مادحا أنه : « صاحب جمـــايل » أو يقول عنه « لو قيدنا صوابعنا العشرة شمع ما نقدرشى ننسى جمايله !!! وعندما يغضب أحدنا من آخر قد يقـــول له مزمجرا « ان ما اسكتش أحط صباعى فى عينك » ، أو يدعو عليه قائلا « الله يقطعك » ، وقد يقصد قطـــع جسمه فيموت ٠ واذا قالت سيدة لأخرى « قطيعة أو الله يقطعك » ، تقصد نفس المعنى ٠ وقد لا تقول ذلك وانما تقول صراحـــة « الهى يفرمك تحت الترماى » ٠ وقد يصف رجل رجلا آخر ويقصد ذمه فيقول عنه أنه « مش راجل لأن الست بتاعته عملاه خاتم فى أصبعها » ، أى أنه (لا كلمة له فى الأسرة والكلمة كلمة الست بتاعته أى زوجته) ، ونجد من يحذر الآخرين من الثرثرة التى لا تفيد وان كانت تضر ، فيقول « لسانك حصانك ، ان صنته صانك وان هنته هانك » ، أو يقول مؤكدا « عقلك فى راسك اعرف خلاصك »

••• ونجد من يدهش اذا ارتفعت المكانة الاجتماعية لشخص لا يستحقها أو تم له ذلك فى غفلة من الزمن ، فيترجم هذه الدهشة اذ يقول « يدى الحلق للى بلا ودان » • وعندما يعيش الأب محنة الزمن يصرخ قائلا « ان جالك الهم طوفان حط ولدك تحت رجليك » ••

وفى ضوء الملاحظة ، نجد الذكور والاناث فى المجتمع المصرى المعاصر يحاولون تجميل أجسامهم أو بعض أجزائها بالوشم • والوشم معروف فى أنحاء الدنيا ، ولكنه نادر فى محيط السكان السود • وقد لا يكون موجودا فى بعض المجتمعات (الصين مثلا) • والوشم له وظائف • منها أنه يزود بالوقاية السحرية ضد المرض والحظ السيء والحسد ، ومنها أنه ييسر التعرف على مركز المستوشم ، أو مكانته الاجتماعية أو انتمائه لجماعة معينة • ومنها أنه يستخدم للزينة أو يرمز الى حب الجنس الآخر • وقد عرف الوشم فى مصرنا الخالدة منذ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد• وقد ذكر فى كتب المؤلفين الاغريقيين والجرمان القدماء • وقد كان الرومان يشمون العبيــــد والمجرمين • والديانة المسيحية تحرم الوشم : « ولا تجرحوا أجسادكم لميت • وكتابة وشم لا تجعلوا فيكم • أنا الرب » (لا ١٩ : ٢٨) •

والدين الاسلامى يحرم الوشم أيضا : « ان يدعون من دونه الا أناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله ، وقال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ولأمنينهم ، ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم **فليغيرن خلق الله** ••• » (٤ م النساء : ١١٧ ــ ١١٩) •• وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صــــلى الله عليه وسلم : لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة » متفق عليه • ومع ذلك فاننا نجد المستوشمات وبخاصة فى محيط النساء فى الريف المصرى أو فى الأحياء الشعبية فى المدينة • ويستخدم الوشم هنا فى معظم الأحيان من أجل الزينة • فنجد المرأة استوشمت ذقنها أو استوشمت ما تحت أنفها ، وقد تستوشم رصغ يديها أو احدى اليدين • ويروج الوشم عند الرجال بجوار العين أو على الذقن أو على الصدر أو اليدين •• ومعظم رسوم الرجال المصريين من أجل درء الحسد أو لأسباب رومانتيكية أو بقصد التعرف على الانتماء • ولعل الاصرار على الوشم فى المجتمع المصرى المعاصر أن يكون استمرارا لمـــا كان يستعمل قديما منذ حـــوالى ٤٠٠٠ سنة(١٠) ••

والملاحظ أن مفهوم « العين » عند الذكر أو الأنثى مفهوم ذو معنى مصرى قديم قدم الدهر منذ أن فقد حورس الشجاع عينه المقدسة التى تسلمها منه

أبوه « أوزيريس » بعد أن مات ، فصار « روحا » · والعين عنــــد المصريين القدماء صارت شيئا خطيرا مقدسا ، ولعلها لم تفقد قداستها عند المصريين المعاصرين ، نساء ورجالا حتى اليوم · وأصبحت كتميمة أشبه بالحرز الذى يقى من يحملها من الشرور ·· فنراها تعلق على صدور الأطفال فى شـــكل تميمة زرقاء لتحمى الطفل من عين الحسود ، كما تعلق العين على كل ما هو جديد لتحميه من الشر والأذى ، وتجلب له الفال الحسن ·· وتعلق أيضـــا على مناديل الرأس لتحمى صاحبتها من « الدوخة » وتجلب لها الحظ الوافر ، وتحميها من حسد جيرانها وأقاربها ·· واهتمام المرأة المصرية بتجميل العين أمر معروف ·· وقد بدأ هذا الاهتمام منذ وقت بعيد ، فقد عثر على عدد غير قليل من « المكاحل » والمراود المستخدمة فى مقابر بعض النساء فى عصر ما قبل الأسرات(١١) · وأصبحت العين بمرور الزمن موضوعا لتعبيرات عديدة ترد على أفواه الانسان المصرى · فنحن اذ نحزن على شر يصيب انسانا ما نقول « ياعينى » ·· ونردد فى الغناء « ياليل يا عين » · واذا لبى أحدهم طلبا عزيزا يقول « على عينى وراسى » ·· واذا داعب رجل امرأة يقول لهـــا اذ يلبى طلباتها « عينى التسعة وقلبى العاشر » ·· وعندما نحاول أن نتقى شر الحسد نقول « حصوة فى عين الى ما يصلى على النبى » و « تندب فى عينك رصاصة يالى بتبص » ·· واذا مدحنا شيئا أو أطنبنا فى مدحه يقول الشخص درءا لغضب من يملك هذا الشىء « عينى باردة » ·· وعندما نقر بعظمة الخالق يرد مغنى الموال « بنى الحواجب وعلا الرمش على النننى » ، واذا كان فى حوزة شخص شىء ما وطلب هذا الشىء آخر أو أخرى قال له أو لها رافضا « دا من عينك » ·· وعندما نستسلم عاجزين تحت ضغط الظروف نقول « ضربوا الأعور على عينه قال خسرانه خسرانه » ·· واذا حزنا وكثر بكاؤنا نقـــول « كفايا ياعين » ·· والأم التى تريد أن تعوض زوجها لأنها ولدت أنثى بقصد منع شماتة الأعداء ، تسمى ابنتها « عين أبوها » · واذا كانت العين « ترف » توقع الشخص منا شرا فيقول عندئذ « خير انشاء الله !! » · ومن أكثر الدعوات ايلاما أن يدعو الشخص على آخر **بالعمى** · ويقال فى الامثال « العين عليها حارس » ·· وعلى الرغم من أن كل ذى عاهة جبار ، فان الأعمى يرثى له من أى صاحب عاهة أخرى ·· ومن ثم قد يدعى أكثر الشحاذين العمى استجلابا للعطف والرثاء ومن ثم الرواج !!

وقد تضمنت أغانينا الشعبية أوصاف العيون ، ولعـــل أغنيـــة بيرم التونسى عن العيون من أهمها :

«من العيون يا سلام سلم   شوف واتعلم
تحت البراقع نتكلم   والدنيا نهار
عيون تقولك قصدك ايه   بتبحلق ليه
ما لكش شغل تسعى عليه   ياراجل ياحمار
وعيون تقولك انا عرفاك   والنبى ما أنساك
من يوم ما شفتك م الشباك   يا جدع يا صغار
وعيون تقولك روح يا رزيل   يا أبو دم تقيل
يا باى كبه فى المخاليل   يا ما هم كتار
وعيون تقولك انا حبيت   يا للا بنا البيت
وعيون تقولك انشا الله ما جيت   أنا رايحة الزار
وعيون تقولك بالمحسوس   أنا عايزه فلوس
وانشالله حتى نحوس وتدوس   أنا عاملاه كار
وعيون تقولك امشى يا واد   أنا أم ولاد
وعيون تقولك عندى ميعاد   ويا السمسار
وعيون بسر الحب تبوح   كدا بالمفتوح
ونعرف القلب المجروح   ما عليهش ستار
وعيون تسبل فوق الحد   دى جد فى جد
وعمرها ما تكلم حد   عيون أحرار
وعيون تحقق فيها بشوق   تهرب على فوق
بتقولك ابعد عنى بذوق   نظراتك نار
وعيون ما تعرف زعلانه   أو فرحانة
صباح مسا اهى ساهتانه   صاحبة أفكار
وعيون لها ضحكة ف وشك   بس تغشك
وتبص من تحت اليشمك   تلقى المنقار
وعيون كده يبقم ساهتين   صفر وباهتين
بالشكل دا عيون الخاينين   تضرب بصفار
وعيون تبص وتتسفلق   واقفة شلقلق
وعيون تبرق وتبحلق   عايزين مسمار(١٢)

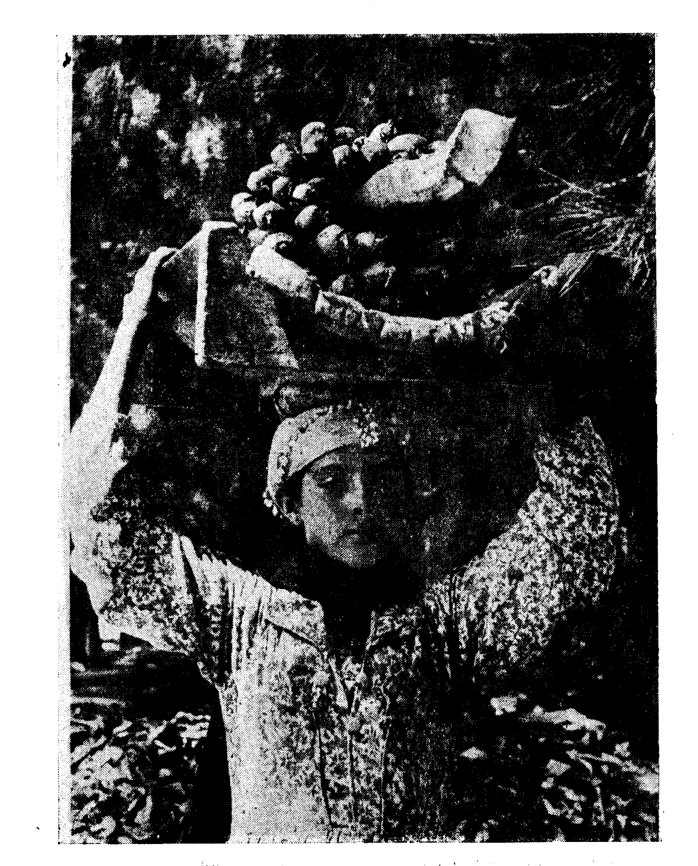
ومنذ الزمان القديم وحتى الآن يلعب الجسم الانسانى أو بعض أجزائه وبخاصة جسم المرأة المصرية دورا هاما فى الحب والغزل وحتى فى الزواج ٠٠ فنجد فى مجموعة طيبة وهى مكتوبة على بردية هيراطيقية ويرجع أصلها الى مدينة طيبة عاصمة الدولة الحديثة التى أسستها الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٠ ق٠ م٠) يقول المحب عن حبيبته :



فريدة حبيبتى فى حسنها
ما مثلها أحد
أجمل من كل النساء هى
مشرقة
أنظر اليها
كالنجمة الآلهة
فى مطلع العام السعيد
ساطعة باهرة وضاءة البشرة
جميلة العينين حين تنظر
عذبة الشفة حين تتحدث
كلمة زائدة لا تقولها
طويلة العنق جميلة الثدى
شعرها لازورد أصيل
ذراعها يفوق الذهب
أصابعها أزهار اللوتس
مشدودة الخصر عند انسياب الردف
تزيد ساقاها من جمالها
تخطو على الأرض فى نبل
أسرت قلبى بعناقها
وأدارت رقاب كل العشاق
مشدوهين بجمالها(١٣)

وقد استمر الاهتمام بالجسم الانسانى أو بعض أجزائه وبخاصة جسم المرأة ، والاهتمام بالدور الذى يلعبه فى مجالى الحب والغزل حتى الآن .. نجد ذلك فى المواويل الشعبية التى يتغنى بها الشبان فى القرية المصرية المعاصرة :

« قلبى هوى بنت بتبيع خوخ فى سبتها
اذا فاتت على القوم بتسبى القوم بثباتها
لها جوز نهود يشبه كما الرمان فى سبتها
أنا من حبى فى البنت فت الأهل والبلدى
أنا تنى ماشى وراء البت لما نخار علينا الليل
أنا قلت ماطيلا يا بنت ينا بلدى
قالت ماشية العوازل وأنا يا جدع بالليل
البنت معها لواحظ تشبه لسلام بلدى



الشـــعر منثــور يشـــبه لظلام الليـــل
أنا قلت يابنتعندى جوزبنانى بيحوا الطيوربالليل
وقفت البنت يا ناس وشـــالت عينهـا فى
الوجــه كيف القمر والجسم كاللية
حـرة نقيـــة لكن الأندال ســبتها

أنظر أيضا :

« عينى رأت بنت بيضة بتملى والندا نازل
والشعر الاصفر على الخـد الجميل نازل
طلبت منهـــا الوصال قالت لى ياجدع ارجع
لتموت قتيل المحبـــه والنـــدا نازل »

ونلاحظ الدور الذى يؤديه جسم الأنثى المصرية فى مستواها الجمـــالى عند الرجال وخاصة فى القرى المصرية ٠ فهم يرون بعامه أن الجمال هو الجمال الطبيعى وليس الجمال المصطنع ٠ وامتلاء الجسم يزيد من قيمة جمال الأنثى عندهم ٠ فهو يدل على الخير والعز وجودة الصحة ٠ وبيـــاض بشرة الأنثى محبوب وكذلك سمارها ٠ ومن الأقوال التى تعلى من شأن بيــاض الأنثى « ياريتنى بيضة ولى ضب ، ده البياض عند الرجال ينحب » ، و « وياريتنى بيضا ولى عرقوب، ده البياض عند الرجال محبوب » ٠ ومع ذلك فـ «السواد» مطلوب ، « لولا سواد العين ما كانش نورها » ، و « السمار » أيضا مطلوب ، ف « السمار نص الجمال » و « السمرا بلحة حمرا » ، وفى الأغانى نلاحظ :

« مكتوب حـــدانا فى الـــورق أســـمر ودمـــه خفيـــف
عمـــى وخـــالى قالـــوا لى البحـــر مـــا ترويش

ونلاحظ أيضا :

« يا بيض يا بيض واحنا السمر خير منكم
وانتم مصاص القصب واحنـا حــلاوتكم
وانتم مصـــاص القصب ع الكوم مرمية
واحنا بلا ليص العسل فى الضل مخبية
البيض زى اللـبن ان عـــوقوا رابـــو
والسمر زى العســل ان عوقوا زادوا ٠٠ »

وبالاضافة الى بياض البشرة أو سمارها ، نلاحظ الاهتمام بطول الشعر ونعومته ، وسعة العينين ، ودقة تقاطيع الوجه « أى التقاطيع » المسمسمة »

٠٠ وتفاصيل جسم الانثى وشكلها مسجلة فى الأغانى والأمثال ٠ ولعل **الأغنية التاليه التى** استمعت لها ، لاول مرة وأنا صبى ان نصور لنا المثل **الاعلى لجمال** جسم الفتاه بعامه وفى الريف المصرى بخاصة ٠٠

« أنظر بعينك ياجميل بيضا بلون الياسمين
راسها راس ليمامه سبحان الخلاق العظيم
يا جبينها هلال شعبان **يا شعرها** سلب الجمال
يا عيونها عيون غزلان يا حا جبينها خطين بقلام
باسنانها لولى ومرجان يا خدوها تفاح الشام
يا حنكها خاتم سليمان يا صدرها بلاط حمام
يا بطنها عجين خمران يا سرتها قعر الفنجان
يا نهودها فحول رمان يا فخادها عواميد رخام(١٤) »

ومما يؤكد الاهتمام بشعر المرأة فى الريف المصرى ما وراه المغفور له الزميل العزيز الدكتور محمد محمد شلبى أحد رواد مهنة الخدمة الاجتماعية الريفيه فى مصر ٠ قال رحمه الله فى حديث له ألقاه فى يوم ٢٦ مايو عام ١٩٤٢ ما يلى بالنص : « انه فى يوم حضر الى أكثر من خمس سيدات (ريفيات من قرية المنايل التى كان يعمل فيها) يبكين ويقلن : هو ده يخلص من ربنا انتو جايين تصلحو ولا تفسدو ٠ **عاوزين تقرعوا البنات دا الراجل ما يدخل البيت** ٠٠ ولما سألت عن الخبر ، قلن : ان الست الحكيمة قالت لنا نضفوا **رؤوس** بناتكم من القمل فنضفناها ٠ ولما فتشت عليهم النهاردة بتقول ان فيهم قمل لسه ٠ وجايبة الحلاق يحلق لهم شعورهم ٠ **يخلص ده من ربنا ٠ بنات على وش جواز يحلقوا شعرهم !!** »(١٥) ٠

ونلاحظ القسم بالشعر أو بعض أجزائه (مقصوص الشعر مثلا ، أى الجزء من الشعر الذى ينساب على جبين الأنثى المصرية) فى أحاديث الرجال مع النساء ، أو النساء مع النساء ٠ ومن هذا نجد « وحياة مقصوصك الطاهر ، لم أفعل كيت وكيت » ، أو « وحياة مقصوصى الطاهر ما فعلت كيت وكيت » ، أو اذا أرادت أنثى أن تهدد أنثى أو ذكرا تقول « وحياة مقصوصى الطاهر لأوريكى أو لأوريك » ٠ ولعل هذا القسم أن يبين للقارىء أهمية شعر الأنثى المصريه أو بعض أجزائه ومدى الاهتمام أو الاعزاز الذى يحيط به ٠

ولعل القارىء أن يلاحظ الاهتمام بجسم المرأة (الأنثى) أو بعض أجزائه فى مجالات الحب والغزل والزواج منذ الزمان القديم وحتى وقتنا هذا ٠٠

ولعل الاهتمام بدور العينين والثدى أو النهود والشعر كان ولا يزال اهتماما مستمرا منذ قديم الزمان ٠٠ ومع ذلك فاننا نجد الرجل المصرى فى أحيان عديدة (الأب والأخ أو الزوج وفى بعض الأحيان الابن) يجعل جسم الانثى المصرية مهينا رخيصا ٠ فهو يضرب هذا الجسم وربما أخذ يصيح متوعدا ثائرا وهو يضرب هذا الجسم ، اذ يقول « والله العظيم لاشرب من دمك !! » ، وربما يضرب أكرم ما فيه وهو الوجه ، لاتفه الأسباب ، أو بقصد التأديب !! واذا أحس الرجل المصرى ، أو توهم هذا الاحساس بأن عرضه قد مسه خادش فانه يقتل هـذا الجسم وقد يقطعه اربا اربا ٠٠ ولا يبالى عندئذ بالعينين أو بالثدى أو النهود أو بالشعر أو بغيرها ، وانما تراه فى ظل بعض العناصر الثقافية الاجتماعية البالية التى لا يزال يعتنقها وحشا مفترسا لا يتعقل أو يتحلم ويعمى عن نور الحكمة والصواب ٠٠

المراجع والتعليقات

١ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، صفحات ٢٨ - ٢٩ و ٤٤ ٠٠

٢ - المرجع السابق : صفحة ٦١ ٠٠

٣ - المرجع السابق : صفحة ٧١ ٠٠

٤ - أنظر الفصل الثانى : المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية فى الماضى من رسائلها الى الموتى ٠

٥ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، صفحات ٥ ٨- ٨٧ ٠

٦ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الاول ، القـاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، صفحة ٢٢٥ ٠

- أنظر أيضا :

محمد عزة دروزة : المرأة فى القرآن والسنة ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ ، صفحة ٢٥٦ ٠٠

٧ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، صفحات ١١٣-١١٧٠

٨ - المواويل والأمثلة الشعبية الموجودة فى هذه الدراسة قد جمعها الباحث فى دراساته السابقة ما لم ينص على غير ذلك ٠

٩ - سيد عويس : من التعبيرات الشعبية المصرية المعاصرة، المجلة الاجتماعية القومية القاهرة ، العدد الثالث ، المجلد الحادى عشر ، سبتمبر ١٩٧٤ ،

صفحة ٣٧٢ ٠

١٠ - Encyclopaedia Britannica, Chicago, William Benton, 1968, Vol. 21, pp. 718-719.

(أنظر أيضا : رياض الصالحين للامام المحدث الحافظ محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٥٥ صفحة ٦٠١) ٠٠

١١ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، صفحة ٦٤ ٠٠

أنظر أيضا :

نادية عبد الحميد : العين : حارسة ومحروسة ، القـــاهرة ، جريدة الأهرام ، ١٣/٨/١٩٧٢ ·

١٢ — بيرم التونسى : المجموعة الكاملة لشاعر الشعب ، القاهرة ، مكتبـــة مصر ، ١٩٧٣ ، صفحتا ٨ — ٩ ··

١٣ — منير مجلى : الجزيرة المسحورة ، نصوص من الأدب المصرى القـــديم ، القاهرة ، مطبوعات الجديد ، ١٩٧٢ ، صفحتا ٤٩ — ٥٠ ··

١٤ — فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية فى ج· ع· م· ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطبـــاعة والنشر ، ١٩٦٦ ، صفحات ٢٦٤ — ٢٦٦ ·

١٥ — سيد عويس : نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر ، تاريخ شخصى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٣ ، صفحة ١٢٦ ··

٢ - نظرة الشبان المصريين غير المتزوجين
نحو المرأة المصرية المعاصرة

فى ضوء احدى الدراسات التى قمت بها فى خلال العا مالدراسى ١٩٧٢/ ١٩٧٣ عن نظرة الشبان غير المتزوجين نحو المرأة المصرية المعـــاصرة كأم ، وكأخت ، وكزميلة ، وكصديقة ، ثم نظرتهم نحو المرأة التى يرغبون فى الزواج منها من حيث اختيارها وصفاتها وسماتها - يتبين بعض الحقائق ، أهمها :

١ - كان عدد هؤلاء الشبان خمسين شابا ، وقد نشأ حوالى ثلاثة أرباعهم فى المدينة ، وأقل من الربع فى القرية ، والباقى فى المركز ٠٠ وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٨ - ٣٠ عاما ٠٠ مع ملاحظة أن من كانت أعمارهم من فئة السن من ١٨ الى أقل من ٢٤ كانت نسبتهم نحـــو ٧٨٪ ٠٠ ، وأن الأغلبية الساحقة منهم من المسلمين بنسبة ٩٢٪ ، كما كانت أغلبيتهم الساحقة أيضا يسكنون فى المدينـة بنسبة ٩٤٪ ٠٠ وكان معظم هؤلاء الشبان من **طلبة الجامعات والمعـــاهد العليا بنسبة نحو ٨٦٪ ٠٠**

٢ - وقد تبين أن الأغلبية الساحقة يكنون لأمهـاتهم أو بديلاتهن **المحبـــة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٩٠٪ ، ٨٢٪ على التـــوالى ٠٠ ومن حيث نوع معاملة الوالدة أو بديلاتها ، نجد أن الأغلبية الساحقة يعاملون أمهاتهم أو بديلاتهن فى ضوء الاحترام المتبادل بنسبة نحو ٨٤٪ ٠٠

٣ - وقد تبين أيضا أن الأغلبية الساحقة يكنون لاخواتهم أو بديلاتهن **المحبة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٩٢٪ ، ٩٢٪ ، ٧٨٪ على التوالى ٠٠ ومن حيث نوع معاملة الاخوات أو بديلاتهن ، نجد أن الأغلبية الســـاحقة يعاملون أخواتهم أو بديلاتهن فى ضـــوء الاحترام المتبـــادل بنسبة نحو ٩٠٪ ٠٠

٤ - وقد رضى نحو ٧٤٪ من الشبان عن معاملة الـوالد أو بديله العـــامة لأمهاتهم أو بديلاتهن ٠٠ أما الباقى بنسبة نحو ١٨٪ فلم يرضوا عن هذه المعاملة لأسباب عديدة ٠٠ منها :

– ان الوالد أو بديله لا يكترث بما يحدث بالمنزل ولا ينتقى الالفاظ المناسبة مع الأم أو بديلتها ، وأنه سطحى فى تفكيره !!
– ان الولد أو بديله لا يتيح للأم أو بديلتها الفرصة فى الأمور المنزلية للتعبير عن رأيها الخاص ، فهو يتدخل فى الشئون المنزلية الخاصة بها ٠
– وجود خلافات بسيطة بين الوالد أو بديله وبين الأم أو بديلتها ٠٠
– ان الوالد أو بديله مشغول عن الاسرة ٠٠ فالعمل يأخذ أكبر وقت منه ، أو لانه يسافر دائما الى مناطق خارج المدينة التى تعيش فيها الأسرة ٠

وقد ذكر أحدهم أن أباه « لا ينظر بتفكير العصر وأحاسيسه وتكيفاته المعنوية والمادية والعاطفية ، وعدم حسن المعاملة » كما ذكر آخر : « ان الوالد يستعمل العنف وسيلة لتحقيق طلباته » ٠٠

٥ – واذا كان نحو ٧٤٪ من الشبان قد رضوا عن معاملة آبائهم أو بدلائهم العامة لأمهاتهم أو بديلاتهن ، فان نحو ٨٢٪ منهم قد رضوا عن معاملة آبائهم أو بدلائهم لاخواتهم أو بديلاتهن ٠ أما الذين لم يرضوا عن هذه المعاملة فقد ذكروا أسبابا أهمها ان الوالد أو بديله يعامل الاخوات أو بديلاتهن بقسوة بعض الشيء ٠٠

٦ – وقد تبين أن نحو ٨٠٪ من الشبان موضوع الدراسة قد رضوا عن معاملة اخوتهم أو بدلائهم لأمهاتهم أو بديلاتهن ٠٠ أما باقى الشبان موضوع الدراسة فلم يرضوا عن ذلك لاسباب أهمها :
– ان الاخوة أو بدلاءهم لا يزالون فى فترة المراهقة ٠٠
– ان الاخوة أو بدلاءهم غير مكترثين ولا يتحملون المسئولية ٠٠
– ان بعض الاخوة أو بدلائهم موظفون بمرتبات عالية ولكنهم لا يسهمون بشيء ما للأم ٠٠

وقد ذكر أحدهم ان السبب الحقيقى هو « دلع » الاخوة ٠٠ كما ذكر آخر متحمسا أن الأخوة « لا يقدرون مفهوم الام » !!

٧ – واذا كان نحو ٨٠٪ من الشبان قد رضوا عن معاملة اخوتهم أو بدلائهم على وجه العموم لأمهاتهم أو بديلاتهن ، فان نحو ٨٤٪ منهم قد رضوا عن معاملة الأخوة أو بدلائهم لاخواتهم أو بدلاتهن ٠٠ أما الـذين لم يرضوا عن هذه المعاملة فقد ذكروا أسبابا أهمها : أن الأخوة أو بدلائهم يتنافسون مع الأخوات أو بديلاتهن فى أثناء المذاكرة ، وأنهم أنانيون ولا يؤدون التزاماتهم نحوهن ٠٠

وقد ذكر أحدهم أن أخى : « يريد اثبات شخصيته بطريقة ملحـــوظة وليس لديه أى تعاطف أخوى » !!

٨ ـ وقد وافق نحو ٨٦٪ من الشبان موضوع الدراسة على الاختلاط بين النوعين وكانت أسباب عدم موافقة الباقى ما يلى :

ـ ان الاختلاط يسبب الاحراج وخاصة للرجال !! وهو تقييد للحرية الشخصية للطرفين !!

ـ ليس هذا الوقت مناسبا لهذا الاختلاط !!

* لان بعضهم يسىء فهم فكـرة الاختـــلاط ويؤدى ذلك الى تحطيم الشباب فى حياته العامة ٠

* لأن هذا الاختلاط قد يتيح فرصة الانحرافات الخلقية (الجنسية) ٠
وقد ذكر أحدهم فى هذا الصدد « **ليس عندى أية ثقة فى أية فتاة** ، وأن الاختلاط اهدار للمستقبل والنتيجة صدمة للشباب !! »

٩ ـ وقد تبين أن الذين يوافقون على الاختلاط يكنون لزميلاتهم **المـــودة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٨٦٪ ، ٦٥٪ ، ٤٧٪ على التـــوالى ٠٠ ومن حيث نوع المعاملة ، نجد أن الأغلبية الساحقة يعاملون زميـــلاتهم فى ضوء الاحترام المتبادل بنسبة نحو ٩٦٪ ٠٠

١٠ ـ وقد ذكر نحو ٣٨٪ من الشبان موضوع الدراسة أن الشعور العـــام للآباء أو بدلائهم اذا عرفوا أن لهم صديقات يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٢٨٪ منهم ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعـــدم الرضا ٠٠ أما الباقى فقد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعـــدم الاكتراث ٠٠

وبالنسبة للاخوة أو بدلائهم فقد ذكرو نحو ٣٦٪ من الشـــبان موضوع الدراسة أن الشعور العام لهؤلاء الاخوة أو بدلائهم اذا عرفوا أن لهم صديقات يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٢٢٪ منهم ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا ٠٠ أما الباقى فقد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ٠٠

١١ ـ وقد ذكر نحو ٣٠٪ فقط من الشبان موضوع الدراسة أن الشعور العام للأمهات أو بديلاتهن اذا عرفن أن لهم صديقات يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٤٢٪ منهم قد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم

الرضا ٠٠ أما الباقى فقد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعـــدم الاكتراث ٠٠

وبالنسبة للاخوات أو بديلاتهن ، فقد ذكر نحو ٤٦٪ من الشبان أن شعورهن العام اذا عرفن أن لهم صديقات يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٢٠٪ منهم فقط قد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا ٠ أما الباقى فقد ذكروا أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ٠٠

١٢ ـ وقد ذكر نحو ٨٦٪ من الشبان موضوع الدراسة أنهم اذا رغبوا فى الزواج فانهم وحدهم سوف يختارون زوجاتهم المقبلات ٠٠ أما الباقى فقد ذكروا أنهم لن يختاروا زوجاتهم المقبلات وحـدهم ، وقد ذكروا بعض الأسباب ٠٠ أهمها :

- لعدملعدم الوقوع فى الخطأ والجرى وراء العاطفة وحدها ٠
- للاستفادة من خبرة والدى ووالدتى فى اختيار زوجـة كاملة من جميع النواحى ٠
- لأن كل انسان له نظرة معينة قد تفيدنى افادة لا أعرفها وحدى٠
- وفى حالة أخذ رأى الأهل قال البعض أن يكون هـــذا الرأى استشاريا فقط ٠

١٣ ـ وقد ذكرت أغلبية ساحقة بنسبة نحـــو ٨٢٪ منهم أنهم يفضلون الزوجـــة المقبلة أن تكون مصرية من الأقرباء أو من غـير الاقرباء ، (وكانت نسبة الذين يفضلون الزوجـة المقبلة أن تكون مصريه من الاقرباء نحو ١٨٪ فقط) وهم يفضلون بنسبة نحو ٧٦٪ أن تكون أصغر سنا ، وبنسبه نحو ٦٨٪ أن تكون متعلمة فى نفس المستوى ، وبنسبة نحو ٣٤٪ فقط أن تكون عامله ، ومع ذلك فقد ذكر نحـــو ٧٢٪ من الشبان موضوع الدراسة أنهم يفضلون أن يكون للزوجـه المقبلة دخل ٠٠ ويرى نحو ٨٢٪ أن تكون الزوجة المفضلة ذكية فى نفس المستوى ٠٠ وقد ذكر نحو ٩٢٪ من الشبان أنهم يفضلون أن يعيشوا مع زوجاتهم المقبلات فى مسكن خاص ٠ وأجمـــع الشبان جميعا على أن تكون الزوجة المقبلة لم تتزوج أبدا ٠

١٤ ـ وقد أفصح الشبان موضوع الدراسة عن نوع الشعور والمعاملة بينهم وبين زوجاتهم المقبلات ، وقد تبين أن الأغلبية الساحقة منهم يودون

أن تكون **المحبة والثقة والاحترام والطاعة** متبادلة بينهم وبين زوجاتهم بنسب نحو ٩٢٪ ، ٨٦٪ ، ٩٤٪ ، ٧٤٪ على التوالى ٠

١٥ – وكانت أهم السمات الجسمية التى يرغبها الشبان فى الزوجة المقبلة أن تكون بيضاء عادية ، وأن يكون جسمها عاديا ، وأن لا تستعمل النظارة بنسب نحو ٥٦٪ ، ٥٠٪ ، ٧٦٪ على التوالى ٠

ومن حيث الطول فقد انقسم أعضاء العينة ورأى نحو ٥٢٪ منهم أن يكون للزوجة نفس الطول ، ورأى نحو ٤٤٪ أن تكون الزوجة أقصر طولا !!

أما الخلال الأخرى ، فقد رأى نحو ٨٢٪ من أعضاء العينة أن تكون الزوجة المقبلة رزينة ، ونحو ٥٨٪ أن تكون متسامحة ٠٠ وقد وجدت نسبة ضئيلة نحو ١٢٪ ترى أن تكون الزوجة المقبلة غيورة ٠

ومن حق القارىء أن يستنتج فى ضوء ما سبق ما يراه من استنتاجات ، ومع ذلك ، فالملاحظ أن الشبان موضوع الدراسة يعتبرون من صفوة الشبان فى المجتمع المصرى المعاصر ٠٠ وأنه اذا كانت الآراء المدونة سابقا هى كما هى ، فلعل آراء الشبان الآخرين غير المتعلمين من الفئات الأخرى أن لا تكون أفضل ٠٠ بل على العكس ، فانه فى ضوء ملاحظاتى ، أجد أن بعض هذه الآراء أسوأ ، وهى فى العادة أقرب من أن تكون قاسية بل ظالمة ٠٠ وأهم ما يمكن أن نستخلص من نتائج نلاحظ ما يلى :

١ – أن الشبان موضوع الدراسة يكنون لامهاتهم أو بديلاتهن المحبة والثقة والتفاهم بنسب عالية ٠

٢ – أن الشبان موضوع الدراسة يكنون لأخواتهم أو بديلاتهن المحبة والثقة بنسب عالية ، فى حين أن النسبة تنخفض قليلا فى حالة التفاهم ٠٠ وفى الحالة الأخيرة ، قد يكون هذا متوقعا وبخاصة اذا كانت الأعمار متقاربة ٠

٣ – ان معاملة الآباء أو بدلائهم للأمهات أو بديلاتهن غير مرضية بنسبة نحو ١٨٪ ٠ أى أن فى محيط هؤلاء الشبان (الصفوة) ما زال حوالى خمس الآباء على حد قول أحدهم عندما تحدث عن أبيه ، أنه « لا ينظر بتفكير العصر وأحاسيسه وتكيفاته المعنوية والمادية والعاطفية » ٠

٤ – واذا كانت معاملة الآباء أو بدلائهم لأخوات هؤلاء الشبان أو بديلاتهن أفضل من معاملة الأمهات أو بديلاتهن ، فان معاملة الاخوة الذكور أو

بدلائهم للأمهات أو بديلاتهن غـــير المرضية تكون بنسبة الخمس ٠٠ وكان حظ الأخوات أو بديلاتهن من معاملة اخوتهن أو بدلائهم حظـــا أحسن ٠٠ وقد ترجع هـــذه النتائج الى عوامل عـديدة ٠٠ فالآباء المصريون أكثر عطفا على بناتهم على وجه العموم ، واهتمامهم بهن أكثر قد يرجع الى أنهن رمز العرض والشرف عندهم ٠ والأبنـــاء الذكور ينتظرون من الأمهات التسامح والصبر على ترهاتهم ، والاخوة الذكور قد يكونون لا يزالون فى فترات عمرية لا يستطيعون فيهـــا الا أن يعاملوا أخواتهم أو بديلاتهن معاملة طيبة ومرضية ٠٠

٥ ـ والاختلاط عند الشبان الذكور موضوع الدراســـة أمر مرغوب فيـه بنسبة مرتفعة جدا ، أى بنسبة أكثر من أربعة أخماسهم ٠٠ وعندى أن ذلك يرجع الى أنهم هم أنفسهم يختلطون بالنوع الآخر ، وأن ربعهم فقط قد نشئوا فى الريف ٠٠ وعندى أيضا أنه على الرغم من المعارضة، فان نسبة الموافقة على الاختلاط ، وبخاصة فى محيط الشـــباب فى المدينة ترتفع مع مرور الزمن ٠

ويلاحظ أن الموافقين على الاختـــلاط فى محيط الشبان موضـــوع الدراسة يكنون لزميلاتهم المودة والثقة والتفـــاهم بنسب مختلفه ٠٠ وكانت نسبا عالية بوجه عام ، ولكن نسبة الثقـــة فيهن كانت أقل النسب ٠٠ ولعل ذلك أن يرجع الى العناصر الثقافية المتناقضة التى نجدها فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى من حيث ان الاختلاط قد يقبل ، كما سبق أن ذكرنا ، ولكن نلاحظ مع ذلك أن الاختلاط شيء والثقة فى الأنثى شيء آخر ٠٠ ولا يعنى ذلك بالضرورة أن هذه الأنثى ليست على خلق قويم ، ولكن يعنى ذلك ما قد يوحى به المثل الشعبى المصرى من معنى « مالت لك مالت لغيرك » ، أى أن الانثى فى أثنـــاء الاختلاط قد ترتاح الى صحبة ذكر معين أكثر من غيره سواء كان هذا الذكر يرتاح الى هذه الصحبة أو غيره ، ومع ذلك فلا أمان لها ، لأنه كما يقال فى ظل نفس المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى « لا أمان للنساء ولو نزلن من السماء » ٠٠ والملاحظ أن الشاب قد يختلط مع أخت صديقه ولكنه لا يرضى لصديقه أن يكون علاقة ما مع أخته هو !!

والمعروف أن المودة والثقة والتفاهم هى مفاهيم تختلف حتمـا عن مفهوم الاحترام ٠٠ وقد تبين من الدراسه المذكورة أن نسبة عاليـــة جدا جدا من الشبان الذكور يرون أنهم يعاملون زميلاتهم فى ضـــوء الاحترام المتبادل ٠

٦ - وفى حالة صداقة بين الشبان موضوع الدراسة وبين أخريات ، نلاحظ أن الشعور العام عند الآباء أو بدلائهم يختلف عن الشعور العام عند الامهات أو بديلاتهن ، كما يختلف هذا الشعور عند الاخوة أو بدلائهم وعند الأخوات أو بديلاتهن • ويلاحظ أن الأخـــوات أو بديلاتهن كن أكثر تسامحا من الاخوة أو بدلائهم ، والأخـــيرون أكثر تسامحا من الامهات أو بديلاتهن ، والأخيرات أقل تسامحا من الآباء أو بدلائهم •

وكل هذا متوقع فى ظل القيم التى تنظم هذه العـلاقات فى محيط الفئة من الذكور المصريين موضوع الدراسة •• فالملاحظ أن الصراع الثقافى بين الاجيال قائم فى مجتمعنا ، وأن الآباء أو بدلاءهم لا يرون فى الكثير من الاحيان أن العلاقات بين الذكر والأنثى فى سن الشباب الا أن تكون مضيعه للوقت ، وبخاصة اذا كان هؤلاء الشباب لا يزالون فى سن الدراسة • أما الامهات أو بديلاتهن فهن لعوامل لا تخفى على القارىء قد لا يسعدهن وجود هذه العلاقات ، وفى بعض الاحيان قـد يسعدهن ذلك فالابن الذكر قد كبر ونما وكاد أن يكون رجلا •• ومع ذلك فان التعميم هنا غـــير مقبول ، لان نسبة الأمهات أو بديلاتهن اللاتى يرى الشبان موضوع الدراسة أن شعورهن ازاء هذه العلاقة أو العلاقات يكون شعورا **بعدم الرضا** أكبر نسبة •

٧ - واختيار الشبان موضوع الدراسة الزوجة المقبلة وحدهم أمر مرغوب فيه بنسبة مرتفعة جـــدا ، أى بنسبة أكثر من أربعة أخماســهم •• والملاحظ أنها نفس النسبة منهم الذين رأوا أن الاختلاط أمر مرغوب فيه ••

وقد لوحظ أن نسبة أكثر من أربعـــة أخماس الشبان يفضلون الزوجة المقبلة أن تكون مصرية من الاقرباء أو من غير الاقرباء ، وان كان الأرجح عندهم أن تكون هذه الزوجة **من غير الأقرباء** (حـــوالى ثلثيهم) ، وأن تكون أصغر سنا (حوالى ثلاثة أرباعهم) ، وأن تكون متعلمه فى نفس المستوى (حـــوالى ثلثيهم) ، وأن تعمل (حـــوالى ثلثهم) ، ومع ذلك فقد ذكر نحو ثلاثة أرباعهم أنهم يفضلون أن يكون للزوجة المقبله دخل •• وترى نسبة عالية جدا من الشبان موضـــوع الدراسة (حوالى أربعة أخماسهم) أن تكون الزوجة المفضلة ذكية فى نفس مستواهم • وذكر جميعهم تقريبا أنهم يفضلون أن يعيشوا مـع زوجاتهم المقبلات **فى مسكن خاص** • وقد أجمعوا على أن تكون الزوجة المقبلة **لم تتزوج أبدا !**

وأرجو أن يلاحظ القارىء أن حوالى ثلثى الشبان موضوع الدراسة يفضلون أن تكون الزوجة المقبلة من غير الأقرباء ٠٠ وهذا اتجاه ليس حديثا ٠٠ فقد بدأ منذ فترة طويلة فى مجتمعنا المصرى المعـــاصر ٠٠ وهو اذا كان يتجه نحو تفتيت الأسرة الممتدة أو المركبة ، فانه فى رأيى لا ينفى الصلة الوثيقة أو على الأقل الشعور بالانتماء ، بأى من هذين النوعين من الأسر ٠٠ ومع ذلك فاننى أذكر القارىء بأن ربع الشبان موضوع الدراسة فقط قد نشئوا فى الريف ٠

٨ — وقد أفصح الشبان موضوع الدراسة عن نوع الشعور والمعاملة بينهم وبين زوجاتهم المقبلات ٠٠ وهم يودون أن تكون المحبة والثقة والاحترام والطاعة متبادلة بينهم بنسب عالية ٠

٩ — واذا كنا قد ذكرنا فى بند رقم ٧ ما يفضله الشبان موضوع الدراسة فى زوجاتهم المقبلات من حيث اختيارهن والجنسية اصلة القرابة والسن والتعليم والدخل والذكاء والسكن — فانهم أى هؤلاء الشبان يرغبون فى بعض الســـمات الجسمية التى يرون أن تتحـــلى بهـا زوجاتهم المقبلات ٠٠ وكانت أهم هذه السمات أن تكون بيضـــاء عادية ، وأن يكون جسمها عاديا ، وأن لا تستعمل النظارة بنسب متفاوتة (لا تقل عن نصفهم) ٠٠ ومع ذلك فقد كان الذين يفضلون أن تكون زوجاتهم المقبلات لا يستعملن النظـــارة أكثر من ثلاثة أرباعهم ٠٠ ومن حيث الطول فقد انقسم أعضاء العينة ورأى أكثر من نصفهم قليلا أن يكون للزوجة نفس الطول ، ورأى أقل من نصفهم قليلا أن تكون الزوجـة أقصر طولا ٠ ويلاحظ أن أكثر من أربعة أخماس الشبان قد فضلوا أن تكون الزوجة المقبلة رزينة ، وأن حوالى ثلاثة أخماسهم قد فضلوا أن تكون متسامحة ٠٠ وهناك نسبة ضئيلة من هؤلاء الشـــبان (حوالى العشر فقط) يرون أن تكون الزوجة المقبلة غيورة !!

٣ - نظرة الشابات المصريات غير المتزوجات
نحو الرجل المصرى المعاصر

وفى ضوء دراسة أخرى قمت باجرائها فى نفس العام الدراسى ، أقصد عام ١٩٧٣/٧٢ ، عن نظرة الشابات غير المتزوجات نحو الرجـل المصرى المعاصر كأب وكأخ وكزميل وكصديق ، ثم نظرتهن نحو الرجل الذى يرغبن فى الزواج منه من حيث اختياره ومن حيث صفاته وسماته - يتبين بعض الحقائق ، أهمها :

١ - كان عدد هؤلاء الشابات خمسين شابة ، وقد نشىء نحو ٧٨٪ منهن فى المدينة وحوالى الخمس فى المركز ، والباقى فى القرية ٠٠ وكانت أعمارهن تتراوح ما بين ١٨ - ٢٦ عاما مع ملاحظـــة أن من كانت أعمارهن من فئه السن من ١٨ الى أقل من سن ٢٤ كانت نسبتهن نحو ٩٠٪ ٠٠ وكانت الأغلبية منهن من المسلمات بنسبة نحو ٨٢٪ ، وكانت أغلبيتهن الساحقة يسكن فى المدينة بنسبة نحو ٩٤٪ ، وكان معظم هؤلاء الشابات من **طالبات الجامعة والمعاهد العليا** بنسبة نحـو ٨٤٪ ٠

٢ - وقد تبين أيضا أن الأغلبية الساحقة يكنن لآبائهن أو بدلائهم **المحبة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٩٢٪ ، و ٨٠٪ ، ٧٨٪ على التوالى ٠٠ ومن حيث نوع معاملة الأب أو بديله ، نجد أن الأغلبية الساحقة يتعاملن مع آبائهن أو بدلائهن فى ضوء الاحترام المتبادل بنسبة نحو ٩٤٪ ٠٠

٣ - وقد تبين أيضا أن الأغلبية الساحقة يكنن لأخوتهن أو بدلائهم **المحبة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٩٤٪ ، ٨٦٪ ، و ٨٦٪ ، و ٨٤٪ عـلى التوالى ٠٠ ومن حيث نوع معاملة الاخوة أو بدلائهم نجد أن الأغلبية يتعاملن مع أخوتهم أو بدلائهم فى ضوء الاحترام المتبادل بنسبة نحو ٨٢٪ ٠٠

٤ - وقد رضيت نحو ٧٨٪ من الشابات موضوع الدراسة عن معاملـــة الوالد أو بديله العامة لأمهاتهن أو بديلاتهن ٠٠ ولم ترض نحو ١٨٪ من هؤلاء الشابات عن هذه المعاملة لأسباب عديدة ، منها :

- أن الوالد أو بديله يريد دائما أن يتحكم فى كل كبيرة وصغيرة فى

المنزل ، ولا يترك لها (للأم) **حرية التصرف** ويريد دائمـــا أن **يفرض رايه عليها** ٠

ـ أن الوالد أو بديله لا **يحترمها الاحترام الكافى أمام الأبناء** ، وهو **يلصق لها التهم التى تكون بريئة منها** ٠٠

ـ لعدم التكافؤ بينهما ٠٠

ـ لعدم تقديره لمتاعبها ، وغضبه السريع **واستمرار هذا** الغضب لمدة طويلة ٠

ـ بسبب تقاليده الرجعية الشديدة ، **والغيرة على والدتى بالرغم من أن عمرها ٤٥ سنة تقريبا !!**

وقد ذكرت أحدى الشابات أن أباها « رفض تعنيمى مما أدى الى مشكلة كادت **أن تكون أمى ضحيتها** » ٠٠ كما ذكرت أخرى عن بديل الأب (وهو أخوها الاكبر) ، انه « يكثر من الطلبات ، كما أنـــه لا يحترم أمى الاحترام الكافى » ٠٠

٥ ـ واذا كانت نسبة الراضيات من الشابات موضوع الدراسه عن معاملة آبائهن أو بدلائهم العامه لامهاتهن أو بديلاتهن هى نحو ٧٨٪ ، فان نحو ٨٢٪ منهن قد رضين عن معاملة آبائهن أو بدلائهم لأخواتهن أو بديلاتهن ٠٠ أما اللاتى لم يرضين عن هذه المعاملة ، فقد ذكرن أسبابا ، أهمها :

ـ أن الوالد أو بديله يتدخل فى الشئون الخاصة للاخوة والأخوات ٠ ويقوم بعملية **التأنيب الشديد لاتفه الاشياء** ٠٠

ـ لعدم اعطائهن الثقة الكافية والحرية التامة أو بمعنى آخر بسبب الكبت الذى يحدث من جراء ذلك ٠٠

ـ لأن معاملته (بديل الأب وهو الأخ الأكبر) ليس فيها **حنو كحنو الآباء** ٠

وقد ذكرت أحدى الشابات أن « أبى وأخى يعاملان أختى غـــير المتعلمة والتى توجد بالمنزل خلاف معاملتى **أنا كمتعلمة** » ٠٠ كما ذكرت أخرى « أننى أنا وأخوتى كنا نعامل معاملة خاصة من **والدنا الذى توفى** ولا يمكن أن نجد بديلا يستطيع أن يحل محله » ٠٠

٦ ـ وقد تبين أن نحو ٨٨٪ من الشابات موضوع الدراسة قد رضين عن معاملة أخوتهن أو بدلائهم لأمهاتهن أو بديـلاتهن ٠٠ أما اللاتي لم يرضين عن هذه المعاملة فقد ذكرن أسبابا ، أهمها :

ـ أن الاخوة أو بدلاءهم يجلبون للأم الكثير من المتاعب والمشاجرات ٠

ـ أن أخي يعامل والدتي بعصبية زائدة أحيانا مما يؤلم شعورهـا وأحساسها كأم ، وذلك بسبب الدلال الزائد **لأنه وحيد أبويـه** بالنسبة للذكور !!

٧ ـ واذا كانت نسبة الشابات موضوع الدراسة اللاتي رضين عن معاملة أخوتهن أو بدلائهم على وجـه العموم لأمهاتهن أو بديـلاتهن نحـو ٨٨٪ ، فان نحو ٨٠٪ منهن قد رضين عن معاملة أخوتهن أو بدلائهم لاخواتهن أو بديلاتهن ٠ أما اللاتي لم يرضين عن هذه المعاملة فقـد ذكروا أسبابا ، منها :

ـ ان الاخوة وبخاصة الأخ الأكبر منهم اذا كان مسئولا عن تربيـة أخواته لا يصغى لمشاكل البنات والأخوات وخاصـة اذا كانت **مشاكل عاطفية وخاصة بالشباب** ٠٠

ـ أن الاخوة يحاولون دائما اثبات وجودهم ولو كانوا على خطأ !!

ـ ان الاخوة أحيانا أصحاب ألسنة طويلة ولا يستمعـون للنصـائح والارشادات ٠

وقد ذكرت أحدى الشابات أن أخاها « على خمس بنات ويضرب أخواتي ولا يتقبل أى رأى حتى ولو خضع ، فهو خضوع مؤقت ٠٠ وأنا أعتقد أنه أحيانا يكره نفسه مما ينعكس ذلك على معاملاته » ٠٠

٨ ـ وقد وافقت نحو ٨٦٪ من الشابات موضوع الدراسة على الاختلاط بين النوعين ، وكانت أسباب عدم موافقة الباقيات ما يلي :

ـ ان الشبان لا يزالون لا يفهمون معنى الاختـلاط السليم ، فهم يعاملون البنات (الزميلات) على أنهن غرباء أو يعاكسونهن في الطريق العام مثلا وهذا خطأ ٠ ٠

ـ لعدم فهم النوع الآخر (الشبان) معنى الصـداقة والأخـوة ، واستعمالهم السيء للصـداقة واسـاءة السمعـة للنـوع الآخر (الشابات) ٠٠

- ما زال الشبان لا يقدرون المرأة حتى ولو تـــفوقت عليهم ، انهم يحاولون تحطيم جهود المرأة !!

- لعدم فهم الطلبة الطالبات ، واحراجهن فى قاعات المحاضرات ،وذلك عن طريق توجيه الأسئلة السخيفة والمضايقات لزميلاتهن ••

- لأن الزملاء لم يكتمل نضجهم بعد ، واذا قالت بنت لزميلهـــــا « صباح الخير » يفتكر أنها واقعة فى حبه !!

وقد ذكرت أحداهن فى هذا الصدد « أننا (تقصد البنات) لا نشعر بالراحة حتى ولو جلسن معهم •• وذلك لاننا اذا جلسن مهم نشعر بأنهم بعداء عنا ، منظر عيونهم يضايقنى بسبب **المكر والدهاء** ، وهذا لا يمنع من **وجود شباب على قدر كبير من الاخلاق** » •• وتستطـرد قائلة : « وذلك يذكرنى بزحمة الأتوبيس التى تثيرنى وتجعلنى أحقد على جميع الشبان وخاصة من تتراوح **أعمارهم ما بين ٤٠ الى ٤٧ سنة** !! » •• وقالت أخرى « لانهم (أى الشبان) يكلمون البنت ثم لا يحترمونها ويتكلمون عليها من ورائها وأنها غير كويسة » •• وقالت ثالثة « لأننى أخاف منهم ولأن والدى يحذرانى من ذلك !! » ••

٩ - وقد تبين أن اللاتى يوافقن على الاختلاط يكنن لزملائهن **المودة والثقة والتفاهم** بنسب نحو ٤ر٨١٪ ، و ١ر٦٥٪ ، و ٧ر٧٦٪ على التوالى •• ومن حيث نوع المعاملة ، نجد أن الأغلبية الساحقة يعاملن زملائهن فى ضوء الاحترام المتبادل بنسبة نحو ٣ر٩٥٪ ••

١٠- وقد ذكرت نحو **١٨٪** من الشابات موضوع الدراسة أن الشعور العام للآباء أو بدلائهم اذا عرفوا أن لهن أصدقاء يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو **٦٨٪** منهن قد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا •• أما الباقيات فقد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ••

وبالنسبة للاخوة أو بدلائهم فقد ذكرت نحو **١٦٪** من الشـابات موضوع الدراسة أن الشعور العام لهؤلاء الاخوة أو بدلائهم اذا عرفوا أن لهن أصدقاء يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٦٤٪ منهن قد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا •• أما الباقيات فقد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ••

١١- وقد ذكرت نحو **٢٦٪** من الشابات موضوع الدراسة أن الشعور العام

للأمهات أو بديلاتهن اذا عرفن أن لهن أصدقاء يكون شعورا بالرضا ، فى حين أن نحو ٦٢٪ منهن قد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا .. أما الباقيات فقد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ..

وبالنسبة للأخوات أو بديلاتهن فقد ذكرت نحو ٣٦٪ من الشابات أن شعور أخواتهن أو بديلاتهن العام اذا عرفن أن لهن أصدقاء يكون شعورا بالرضا ، وأن نفس النسبة من الشابات موضوع الدراسة أى نحو ٣٦٪ قد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الرضا .. أما الباقيات فقد ذكرن أن هذا الشعور يكون شعورا بعدم الاكتراث ..

١٢- وقد ذكرت نحو ٦٤٪ من الشابات موضوع الدراسة أنهن اذا رغبن فى الزواج فانهن وحدهن سوف يخترن أزواجهن المقبلين .. أما الباقيات بنسبة نحو ٣٦٪ فقد ذكرن أنهن لن يخترن أزواجهن المقبلين وحدهن .. وقد ذكرن بعض الأسباب ، أهمها :

- الى حد ما لا بد أولا وقبل كل شىء أن أرتاح للانسان الذى سأختاره زوجا ، غير أننى فى حاجة الى نظرة أهلى ، ورأيهم فيه .
- لأن الأهل لديهم خبرة أكثر فى طباع البشر ..
- حتى لا يكون هناك سوء تفاهم بينى وبين الأهل اذا تم الاختيار بمعرفتى
- التقاليد ما زالت تحتم اختيار الأهل للزوج ..
- يجب معرفة رأى الوالد والوالدة والاخوة ..
- اقتناعى بأن الوالدين أو المقربين لى يريدون مصلحتى ..
- لان الرجال لهم وجوه كثيرة ، ربما أعرف وجهـا أو أثنين ، ولا أستطيع التعرف على بـاقى الوجـوه ، وأرغب فى معرفـة آراء الآخرين ..
- ما دمت لا أحب أحدا ولم أتعلق به فمن واجبى أن أشرك أهلى فى كل ما يخصنى !!
- لا بد من تبادل الآراء ووجهات النظر بين والدى ووالدتى واخوتى ، وأفكارى ، ولكن الرأى الأكبر لى ..
- لأن رأى الأسرة له أهمية فى مستقبل الفتاة ، وأرغب فى رأى أسرتى فى زوج المستقبل حتى لا تقع التبعة على فقط !!

– لأن الأسرة لها تجاربها فى الحياة ٠٠
– لأن المجتمع المصرى لا يسمح بذلك ، ولأن الكبار يفهمون أكثر منى.

١٣– وقد ذكرت أغلبية ساحقة بنسبة نحو ٩٤٪ من الشابات موضوع الدراسة أنهن يفضلن الزوج المقبل أن يكون مصريا من الأقرباء أو من غير الاقرباء (وكانت نسبة اللاتى يفضلن الزوج المقبل ان يكون مصريا من الأقرباء نحو ١٨٪ فقط) ، وهن يفضلن بنسبة نحو ٧٦٪ أن يكون **أكبر** سنا ، وبنسبة نحو ٧٤٪ أن يكون مستوى تعليمه **أكبر** من مستوى تعليمها ، وبنسبة ١٠٠٪ أن يكون للزوج المقبل عمل ٠٠ وقد ذكرت الشابات موضوع الدراسة أن يكون الزوج المقبل أذكى منهن أو ذكيا فى نفس المستوى بنسبة نحو ٥٨٪ ، ونسبة نحو ٤٠٪ على التوالى ٠٠ وكانت نسبة اللاتى يفضلن أن يكون الزوج المقبل لم يتزوج أبدا نسبة عالية جدا أى نحو ٩٨٪ ، **وهى نفس نسبة اللاتى يفضلن** أن يعشن مع أزواجهن المقبلين فى مسكن خاص ٠٠

١٤– وقد أفصحت الشابات موضوع الدراسة عن نوع الشعور والمعاملة بينهن وبين أزواجهن المقبلين ، وقد تبين أن الأغلبية الساحقة منهن توددن أن تكون **المحبة والثقة والاحترام والطاعة** متبادلة بنسب نحو ٩٦٪ ، ٩٤٪ ، ٩٨٪ و ٨٢٪ على التوالى ٠٠

١٥– وكانت أهم السمات الجسمية التى ترغبها الشابات موضوع الدراسة فى الزوج المقبل أن يكون أطول ، وأسمر ، وأن يكون جسمه عاديا ، وأن لا يستعمل النظارة ، بنسب نحو ٨٦٪ ، ٥٢٪ ، ٤٦٪ و٦٦٪ على التوالى ٠٠

أما الخلال الأخرى فقد رأت نحو ٧٨٪ من الشابات موضوع الدراسة أن يكون الزوج المقبل رزينا ، ونحو ٦٢٪ أن يكون متسامحا ٠٠ وقد وجدت نسبة ضئيلة نحو ١٢٪ ترى أن يكون الزوج المقبل غيورا !!

ومن حيث المهارات ، فقد كانت الرغبة فى أن يسوق الزوج المقبل سيارة **أعلى الرغبات بنسبة نحو ٢٣٫٤٪** (يلاحظ أن رغبة الشبان غير المتزوجين فى أن تسوق الزوجة المقبلة سيارة كانت نسبتها نحو ٧٫٨٪ فقط) ، وتلى هذه الرغبة ، الرغبة فى أن يلعب الزوج المقبل رياضة ما بنسبة ١٩٫٧٪ (يلاحظ أن رغبة الشبان غير المتزوجين فى أن تلعب الزوجة المقبلة رياضة ما كانت نسبتها نحو ٨٫٤٪ فقط) ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يجيد الزوج المقبل الرسم أو التصوير بنسبة نحو ١٣٫١٪ (يلاحظ أن رغبة

الشبان غير المتزوجين فى أن تجيد الزوجة المقبلة الرسم أو التصوير كانت نسبتها نحو ٩ر١٢٪) ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يكتب الزوج المقبل القصة بنسبة نحو ٩ر١٠٪ (يلاحظ أن رغبة الشبان غير المتزوجين فى أن تكتب الزوجة المقبلة القصة كانت نسبتها نحو ٥٪ فقط) ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يعزف الزوج المقبل الموسيقى بنسبة نحو ٥ر٩٪ (يلاحظ أن رغبة الشبان غير المتزوجين فى أن تعزف الزوجة المقبلة الموسيقى كانت نسبتها نحـــو ٦ر١٤٪) وتلى ذلك الرغبة فى أن يجيد الزوج المقبل الطهى بنسبة نحـو ٥ر٩٪ ، **أى نفس النسبة السابقة** (يلاحظ أن رغبة الشبان غير المتزوجين فى أن تجيد الزوجة المقبلة الطهى **كانت نسبتها نحو ٣ر٢٥٪ مع ملاحظة أن هده الرغبه كانت اعلى الرغبات عند هؤلاء الشبان**)(١) ..

ومن حق القارىء أن يستنتج فى ضوء ما سبق ، ما يراه من استنتاجات .. ومع ذلك ، فالملاحظ أن الشابات موضوع الدراسة يعتبرن من صفوة الشابات فى المجتمع المصرى المعاصر .. وأنه اذا كانت الآراء المدونة سابقا هى كما هى ، فلعل آراء الشابات الأخريات غير المتعلمات من الفئات الأخرى أن لا تكون أفضل .. وأهم ما يمكن أن نستخلص من نتائج ، نلاحظ ما يلى:

١ - ان الشابات موضوع الدراسة يكنن لآبائهن أو بدلائهم **المحبة والثقة والتفاهم** بنسب عاليه ، مع ملاحظة أن نسبه المحبة كانت أعلى النسب، وان نسبة التفاهم كانت أكثرها انخفاضا ..

٢ - ان الشابات موضوع الدراسة يكنن لاخوتهن أو بدلائهم **المحبة والثقة والتفاهم** بنسب عاليـــة ، وكانت نسبة المحبـة أعلى النسب ، ونسبة التفاهم كانت أكثرها انخفاضا .

٣ - ومن حيث نوع المعاملة ، فقد تبين أن الاغلبية الساحقة يتعاملن مـع آبائهن أو بدلائهم فى ضوء الاحترام المتبادل ، وفى ضوء هذا النوع من المعاملة مع أخوتهن أو بدلائهم ، نجد أن النسبة كانت أقل (أى بنسبة نحـــو ٨٢٪ فى حالة الاخوة بدلا من نحو ٩٤٪ فى حالـــــة الآباء) .. ولعل ذلك أن يكون متوقعا اذا كانت معاملة الصبى فى الأسرة معاملة متميزة وبخاصة اذا كان فارق السن كبيرا ..

٤ - ان معاملة الآباء أو بدلائهم لأمهات الشابات موضوع الدراســـة أو بديلاتهن غير مرضية بنسبة ١٨٪ .. وكانت أسباب عدم الرضـــاء عديدة ، منها تحكم الوالد أو بديله فى كل كبيرة وصغيرة فى المنزل وعدم الاحترام الكافى أمام الأبناء والغضب السريع والغيرة ..

٥ - واذا كانت معاملة الآباء أو بدلائهم لأخوات هؤلاء الشابات أو بديلاتهن أفضل من معاملة الامهات أو بديلاتهن نسبيا ، فان أكثر من أربعة أخماس الشابات موضوع الدراسة (بنسبة نحو ٨٨٪) قد رضين عن معاملة اخوتهن أو بدلائهم لامهاتهن أو بديلاتهن ٠٠ أى أن معاملة الاخوة الذكور أو بدلائهم للأمهات أو بديلاتهن غير المرضية تكون أقل من الخمس ٠٠ وكانت الاخوات أو بديلاتهن من حيث معاملة اخوتهن أو بدلائهم **أقل حظا** ٠٠ وقد ترجع هذه النتائج الى أن الامهات المصريات يتمتعن بمكانة اجتماعية عالية جدا عند الأبناء ٠٠ وفى حالة الاخوة ، نلاحظ كما تقول احدى الشابات « ان الاخوة يحاولون دائما اثبات وجودهم ولو كانوا على خطأ !! » ٠٠

٦ - والاختلاط عند الشابات موضوع الدراسة أمر مرغوب فيه بنسبة مرتفعة جدا (نفس نسبة الشبان)(٢) ، أى بنسبة أكثر من أربعة أخماسهن ٠ وعندى أن ذلك يرجع الى أنهن هن أنفسهن يختلطن بالنوع الآخر ، وأن أكثر قليلا من خمسهن فقط قد نشأن فى الريف ٠٠ وعندى أيضا أنه على الرغم من وجود معارضات ، فان نسبة الموافقة على الاختلاط وبخاصة فى محيط الشباب فى المدينة ترتفع مع مرور الزمن ٠٠ ويلاحظ أن منطق بعض المعارضات سليم فى بعض الأحيان ٠٠ فنجد مثلا من تقول « ان الشبان لا يزالون لا يفهمون معنى الاختلاط السليم » ، وتذكر أخرى « لان الزملاء لم يكتمل نضجهم بعد ، واذا قالت بنت لزميلها « صباح الخير » يفتكر أنها واقعة فى حبه !! » ٠٠

ويلاحظ أيضا أن الشابات الموافقات على الاختلاط يكنن لزملائهن **المودة والثقة والتفاهم** بنسب مختلفة ٠٠ وكانت نسبيا عالية ٠٠ ولكن نسبة الثقة فى الزملاء كانت أقل النسب (وهى نفس نسبة ثقة الشبان فى الشابات)(٣) ٠٠ ويؤكد ذلك التناقض فى محيط العناصر الثقافية المنتشر فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى المعاصر ،فالاختلاط قد تقبله الشابات كما يقبله الشبان ولكن الثقة بينهم ليست عالية كما يجب ٠٠ والمثل الشعبى المصرى يقول « يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية فى الغربال !! » ٠٠

واذا كانت مفاهيم المودة والثقة والتفاهم يختلف كل منها عن مفهوم

الاحترام ، فاننا نلاحظ من الدراسة المذكورة أن نسبة عالية جدا من الشابات يرون أنهن يعاملن زملائهن فى ضوء الاحترام المتبادل •

٧ - وفى حالة وجود صداقة بين الشابات موضوع الدراسة وبين شبان آخرين ، نلاحظ أن الشعور العام عند الآباء أو بدلائهم لا يختلف كثيرا عن الشعور العام عند الاخوة أو بدلائهم ، وكذلك لا يختلف كثيرا عن الشعور العام عند الامهات أو بديلاتهن •• فالشعور عند الجميع بنسب عالية يكون شعورا بعدم الرضا • ويلاحظ أن الاخوات أو بديلاتهن كن أكثر تسامحا وان كن قد انقسمن الى فريقين ، فريق يكون شعوره بالرضا وفريق آخر (بنفس النسبة) يكون شعوره بعدم الرضا ••

ولم تفاجئنى هذه النتائج ، فحرص الآباء الذكور والاخوة الذكور والأمهات على **أعراض بناتهم** ما زال قيمة راسخة فى ثقافة المجتمع المصرى المعاصر •• وتسامح الأخوات أو بديلاتهن نوع من الدفاع عن النفس ، ويعتبر فى رأيى ظاهرة صحية على الرغم من انقسامهن الى فريقين •• لأن الصداقة فى محيط الشباب أصبحت فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر ضرورية •• ولا يمكن أن تعنى الصداقة بين النوعين (أى الذكر والأنثى) بالضرورة فى ظل هذه الظروف فسادا أو افسادا ، بل هى تعين على النضج العاطفى ووضوح الرؤية واحترام الانسان ••

٨ - واختيار الشابات موضوع الدراسة الزوج المقبل وحدهن أمر مرغوب فيه بنسبة مرتفعة ، أى بنسبة أكثر من ثلاثة أخماسهن ، والملاحظ أنها أقل من نسبة اللاتى وافقن على أن الاختلاط بين النوعين أمر مرغوب فيه ، فقد كانت هذه النسبة أكثر من أربعة أخماسهن •• وقد لاحظت أن بعض الرافضات لاختيار الزوج المقبل وحدهن قد أبدين آراء وجيهة •• فواحدة تقول مثلا « ما دمت لا أحب أحدا ولم أتعلق به فمن واجبى أن أشرك أهلى •• » ، وذكرت أخرى « لا بد من تبادل الآراء ووجهات النظر بين والدى ووالدتى وأخوتى وأفكارى •• » ، ثم تستطرد قائلة « **ولكن الرأى الأكبر لى** » ••

وقد لوحظ أن نسبة أكثر من تسعة أعشار الشابات يفضلن الزوج المقبل أن يكون مصريا من الأقرباء أو من غير الأقرباء ، وان كان الأرجح عندهن أن يكون هذا الزوج من غير الأقرباء (حوالى ثلاثة أرباعهن) ، وان يكون أكبر سنا (حوالى ثلاثة أرباعهن) ، وأن يكون مستوى

تعليمه أكبر من مستوى تعليمهن (حوالى ثلاثة أرباعهن) ، وان يكون له عمل (بالاجماع) ، وترى نسبة عالية من الشابات موضوع الدراسة (حوالى ثلاثة أخماسهن) أن يكون الزوج المفضل أذكى منهن ، ونسبة أخرى (حوالى الخمسين) أن يكون ذكيا فى نفس مستواهن • وذكرت الشابات بالاجماع تقريبا أنهن يفضلن أن يعشن مع أزواجهن المقبلين فى **مسكن خاص** ، وأن يكون الزوج المقبل **لم يتزوج أبدا** ••

٩ – وقد أفصحت الشابات موضوع الدراسة عن نوع الشعور والمعاملة بينهن وبين أزواجهن المقبلين ، وهن يوددن أن تكون المحبة والثقة والاحترام والطاعة متبادلة بينهن وبين هؤلاء الأزواج بنسب عالية جدا جدا •• وهى نسب أعلى من نسب الشبان •• وان دل ذلك ، فانما يدل على حرص المرأة المصرية المعاصرة مثل أمها وجداتها على دعم الأسرة وتوطيد أركانها • وكأن لسان حالها يقول : « قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى عند أحبابى » أو يقول : « ظل راجل ولا ظل حيط !! » •

١٠– وكانت أهم السمات الجسمية التى ترغبها الشابات موضوع الدراسة فى الزوج المقبل أن يكون أطول ، وأسمر ، وأن يكون جسمه عاديا ، وأن لا يستعمل النظارة بنسب متفاوتة (لا تقل عن نصفهن) • ومع ذلك فقد كن اللاتى يفضلن أن يكون الزوج المقبل أطول أكثر من أربعة أخماسهن ، واللاتى يفضلن أزواجهن المقبلين لا يستعملون النظارة أكثر من ثلاثة أخماسهن •• ويلاحظ أن حوالى أربعة أخماس الشابات قد فضلن أن يكون الزوج المقبل رزينا ، وان حوالى ثلاثة أخماسهن قد فضلن أن يكون متسامحا ، وهناك نسبة ضئيلة من هؤلاء الشابات (حوالى العشر فقط) يردن أن يكون الزوج المقبل غيورا !!

١١– ومن حيث المهارات ، فقد كانت الرغبة فى أن يسوق الزوج المقبل سيارة أول الرغبات وتليها الرغبة فى أن يلعب الزوج المقبل رياضة ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يجيد الزوج المقبل الرسم أو التصوير ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يكتب الزوج المقبل القصة ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يعزف الزوج المقبل الموسيقى ، وتلى ذلك الرغبة فى أن يجيد الزوج المقبل الطهى ••

واذا كانت رغبة الشابات موضوع الدراسة أن يكون أزواجهن

المقبلون يجيدون الطهى هى آخر الرغبات المسجلة أعلاه ، فانها كانت عند الشبان أول الرغبات فى مهارات زوجاتهم المقبلات ٠٠ واذا كانت أول رغبة الشابات موضوع الدراسة فى أن يسوق الزوج المقبـــل سيارة ، فان هذه الرغبة عند الشبان كانت الخامسة بالنسبة لمهارات زوجاتهم المقبلات !!

١٢- ولعل ذلك أن يؤكد لى بعض ما تطلبه المرأة المصرية من الرجل فى الوقت الحاضر ٠ أنها فى ضوء الحقائق السابقة لا تطلب المساواة مع التطابق أو حتى مع عدم التطابق ٠٠ أى أن اعترافها بهذه المساواة غير قائم فى الوقت الحاضر ، وان بدا لى فى ضوء المستقبل المشرق غير بعيد ٠٠

« المراجع والتعليقات »

١ ـ يقصد بالشبان غير المتزوجـــين هنا نفس الشبان الذين تضمنت دراستهم الموضوع السابق :

« نظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحو المرأة المصرية المعاصرة » ٠٠

٢ ـ أنظر موضوع « نظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحـــو المرأة المصرية المعاصرة » ٠٠

٣ ـ أنظر نفس الموضوع السابق ٠٠

٤ — رأى الشباب المصرى المعاصر فى اختيار الزوج أو الزوجة

ومن الدراسات التى قمت بها فى خلال العـام الدراسى ١٩٧٤/٧٣ دراسة عن رأى الشبان غير المتزوجين فى اختيار الزوجة المقبلة وعن رأى الشابات غير المتزوجات فى اختيار الزوج المقبل • وذلك فى محيط طالبات وطلبة المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بجاردن سيتى (كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان الآن) ••

ويلاحظ أن مجتمع البحث فى هذه الدراسة هو ٧٠ عضوا ، منهم ٣٥ شابا ، ٣٥ شابة وكانت أهم حقائق الدراسة ما يلى :

١ — ان أعمار الشبان تتراوح ما بين ٢٠ عاما و ٢٦ عاما بنسبة نحـــو ٥ر٨٨٪ ، وأن تنشئتهم الاجتماعية كانت فى المدينة بنسبة نحـــو ٦ر٦٨٪ ، وفى المركز بنسبة نحو ٨ر٢٢٪ ، وفى القرية بنسبة نحو ٦ر٨٪ ، وكانت الاغلبية منهم من المسلمين بنسبة نحو ١ر٧٧٪ ، وهم يعيشون الآن فى المدينة بنسبة نحو ٩ر٨٢٪ ، وفى المركز بنسبة نحو ٧ر٥٪ وفى القرية بنسبة نحو ٤ر١١٪ ••

أما أعمار الشابات ، فهى تتراوح أيضا ما بين ٢٠ عاما و ٢٦ عاما بنسبة نحو ٢ر٩٧٪ ، وان تنشئتهن الاجتماعية فى المدينة بنسبة نحو ١ر٩٧٪ (يلاحظ وجود فروق جوهرية بين هذه النسبة ونســـــبة الشبان) ، وكانت الاغلبية منهن من المسلمات بنسبة نحو ٩ر٨٢٪ ، وهن يعشن الآن فى المدينة بنسبة نحو ١ر٩٧٪ (يلاحظ وجود فروق دالة بين هذه النسبة وبين نسبة الشبان) ••

٢ — وكان الموافقون على الاختلاط بين النوعين فى محيط الشبان موضوع الدراسة بنسبة نحو ٦ر٨٨٪ (أى ٣١ شابا) ، فى حين أن الموافقات فى محيط الشابات موضوع الدراســـة بنسبة نحو ١ر٩٧٪ (أى ٣٤ شابة) •

٣ — وقد لاحظت أن ٢٧ شابا فقط من ٣١ شابا من الموافقين على الاختلاط بين النوعين قد أجاب عن نوع الشعور العام نحو زميلتك أو زميلاتك اذا كان هذا الشعور شعورا بالمودة أو الكراهية أو عدم لاكتراث ••

وكانت نسبة من أجاب منهم أن نوع هذا الشعور **بالمودة** نحو ٩٦٫٣٪ وقد أجابت ٣١ شابة من ٣٤ شابة من الموافقـات على الاختلاط بين النوعين عن هذا السؤال ، وكانت نسبة من أجابت منهن أن نوع هذا الشعور **بالمودة نحو الزميل أو الزملاء** بنسبة نحو ٩٠٫٣٪ ٠

٤ ـ أما من أجابوا عن نوع الشعور العـام نحو الزميلة أو الزميلات من الشبان الموافقين على الاختلاط اذا كان هذا الشعور شعورا بالثقة أو عدم الثقة أو عدم الاكتراث ، فقد كان عددهم ٢١ شـابا فقط ٠٠ وكانت نسبة من أجاب منهم أن نوع هذا الشعور **بالثقة** نحو ٩٠٫٥٪ ٠ ومن حيث الشابات الموافقات على الاختلاط ، فقد أجابت عن هـذا السؤال المتضمن نوع الشعور العام نحو الزميل أو الزملاء ٣١ شابة فقط ٠٠ وكانت نسبة من أجابت منهن أن نوع هـذا الشعور **بالثقة** نحو ٩٣٫٦٪ ٠

٥ ـ وقد تبين أن من أجابوا عن نوع الشعور العام نحو الزميلة أو الزميلات من الشبان الموافقين على الاختلاط اذا كان هذا الشعور شعورا بالتفاهم أو سوء التفاهم أو عدم الاكتراث ٢٢ شـابا فقط ، وكانت نسبة من أجاب منهم أن نوع هذا الشعور **بالتفاهم** نحو ٩٥٫٥٪ ٠٠ ومن حيث الشابات الموافقات على الاختلاط بين النوعين ، فقد أجابت عن هـذا السؤال المتضمن نوع الشعور العام نحو الزميل أو الزملاء ٣٢ شـابة فقط ، وكانت نسبة من أجابت منهن أن نوع هـذا الشعور **بالتفاهم** نحو ٩٣٫٨٪ ٠

٦ ـ أما من أجابوا عن نوع المعاملة العامة بين الشبان الموافقين على الاختلاط بين النوعين وبين الزميلة أو الزميلات اذا كانت هذه المعاملة احتراما متبادلا أو احتراما من ناحيـة الزميل أو الزملاء فقط أو احتراما من ناحية الزميلة أو الزميلات فقط ، أو عدم احترام متبادل ـ فقد كان عددهم ٣١ شابا ، أى بنسبة ١٠٠٪ ، وقد كانت الاجابة بنفس هذه النسبة أن نوع المعاملة هو **احترام متبادل** ٠ ومن حيث الشـابات الموافقات على الاختلاط بين النوعين ، فقد أجابت عن هـذا السـؤال المتضمن نوع المعاملة بين الزميل أو الزملاء ٣٢ شابة ، وكانت نسبة من أجابت منهن أن نوع هذه المعاملة هو **احترام متبادل** نحو ٩٨٫٤٪ ٠

٧ ـ وقد ذكر الشبان موضوع الدراسة أن الشعور العام عند الاب أو بديله اذا عرف أن لأحدهم **صديقة** يكون شعورا بالرضا أو بعدم الرضا أو بعدم الاكتراث بنسب نحو **٤٨٫٦**٪ و ١١٫٤٪ ، ٤٠٪ على التوالى ٠٠

في حين أن الشابات موضوع الدراسة قد ذكرن أن الشعور العام عند الاب أو بديله اذا عرف أن لاحداهن **صديقا** يكون شعور بالرضــا أو بعدم الرضا أو بعدم الاكتراث بنسب نحو ٢ر٢٤٪ و ٧ر٦٩٪ و ١ر٦٪ على التوالى ، مع ملاحظة أن عدد من أجبن عن هــذا السؤال كان ٣٣ شابة فقط (تلاحظ دلالة الفرق بين نسبتى ٦ر٤٨٪ و ٢ر٢٤٪) ٠

٨ ـ وقد ذكر الشبان موضوع الدراسة ان الشعور العام عند الاخ أو بديله أو الاخوة أو بدلائهم اذا عرفوا أن لاحدهم **صديقة** يكون شعورا بالرضا أو بعدم الرضا أو بعـــدم الاكتراث بنسب نحو ٣ر٥٤٪ ، ٧ر٥٪ ، ١ر٣٧٪ على التوالى ، وكانت نسبة من ذكر أنه لا يعرف نحو ٩ر٢٪ ٠ في حين أن الشابات موضوع الدراسة قد ذكرن أن الشعور العام عند الاخ أو بديله أو الاخوة أو بدلائهم اذا عرفوا ان لاحداهن **صديقا** يكون شعورا بالرضا أو بعدم الرضا أو بعدم الاكتراث بنسب نحو ٢ر٢١٪ و ٧ر٦٩٪ و ١ر٩٪ على التوالى ، مع ملاحظة أن عدد من أجبن عن هذا الســـؤال كان ٣٣ شابة فقط ٠ (تلاحظ دلالة الفرق بين نسبتى ٣ر٥٤٪ ، ٢ر٢١٪) ٠

٩ ـ وقد تبين أن الشبان موضوع الدراسة قد ذكروا أن الشعور العام عند الأم أو بديلتها اذا عرفت أن لأحدهم **صديقة** يكون شعورا بالرضا أو عدم الرضا أو عدم الاكتراث بنسب نحو ١ر٤٤٪ و ٤ر٣٢٪ و ٥ر٢٣٪ على التوالى ، مع ملاحظة أن شابا واحدا لم يجب عن هذا السؤال ٠٠ في حين أن الشابات موضوع الدراسة قد ذكرن أن الشعور العام عند الأم أو بديلتها اذا عرفت أن لاحداهن **صديقا** يكون شعورا بالرضا أو بعدم الرضا أو بعدم الاكتراث بنسب نحو ٢ر٢٧٪ و ٧ر٦٦٪ و ١ر٦٪ على التوالى ، مع ملاحظة أن شابتين اثنتين فقط لم تجيبا عن هـــذا السؤال ٠٠

١٠ـ وقد ذكر الشبان موضوع الدراسة أن الشعور العام عنـــد الأخت أو بديلتها أو الاخوات أو بديلاتهن اذا عرفن أن لاحـــدهم **صديقة** يكون شعورا بالرضا أو عدم الرضا أو عـدم الاكتراث بنسب نحو ٨ر٦١٪ و ٩ر٢٪ و ٣ر٣٥٪ على التوالى ، مع ملاحظة أن شابا واحدا لم يجب عن هذا السؤال ٠٠ في حين أن الشابات موضوع الدراسة قد ذكرن أن الشعور العام عند الاخت أو بديلتها أو الاخـــوات أو بديلاتهن اذا عرفن أن لاحداهن **صديقا** يكون شعورا بالرضا أو عدم الرضا أو عدم

الاكثراث بنسب نحو ٤ر٤٢٪ و ٥ر٤٨٪ و **١ر٩٪** على التوالى ، مــع ملاحظة أن شابتين اثنتين فقط لم تجيبا عن هذا السؤال ·

١١– ومن حيث اختيار الشبان موضوع الدراسة الزوجة المقبلة وحدهم فقد رغب ٢٧ منهم فى هذا الاختيار أى بنسبة نحو ١ر٧٧٪ ، ولم يرغب منهم الباقى أى بنسبة نحو ٩ر٢٢٪ ، فى حين أن الشابات موضوع الدراسة فقد رغبن فى اختيار الزوج المقبل وحدهن بنسبة نحو **٩ر٨٢٪** ، ولم ترغب منهن الباقيات بنسبة نحو ١ر١٧٪ ··

١٢– وقد تبين أن الشبان يفضلون الزوجة المقبلة أن تكون مصرية من غـير الأقارب بنسبة نحو ٨ر٦٢٪ ومصرية من الأقرباء بنسبة نحو ٦ر٢٨٪ ، فى حين أن الشابات يفضلن الزوج المقبل أن يكون مصريا من غــير الأقارب بنسبة نحو ٤ر٧١٪ ومصريا من الأقارب بنسبة نحو ٩ر٢٢٪·

ومن حيث السن فان الشبان موضوع الدراسة يفضلون الزوجة المقبلة أن تكون **أصغر سنا** بنسبة نحو ٤ر٧١٪ وأن تكـون فى نفس السن بنسبة نحو ٦ر٢٨٪ ، فى حين أن الشابات يفضلن الزوج المقبل أن يكون **أكبر سنا** بنسبة نحـو ٥ر٦٨٪ ، وأن يكون فى نفس السن بنسبة نحو ٦ر٢٨٪ !!

واذا كان الشبان موضوع الدراسة يرغبون فى أن تكون الزوجة المقبلة متعلمة فى مستوى كل منهم بنسبة نحــو **٦ر٦٨٪** ، وأن تكون متعلمة فى مستوى أقل من مستوى كل منهم بنسبة نحو ٤ر٣١٪ ، فان نسبة الشابات موضوع الدراسة اللاتى يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل أكثر تعليما منهن قد بلغت نحو ٦٠٪ ، ونسبة من يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل متعلما فى مستوى كل منهن نحو **٣ر٣٤٪** ، ونسبة من يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل متعلما فى مستوى أقل من مستوى كل منهن نحو ٧ر٥٪ فقط (يلاحظ وجود فروق جوهرية بين نسبتى ٦ر٦٨٪ ، ٣ر٣٤٪) ·

ويرى الشبان موضوع الدراسة أن تكون الزوجة المقبلة تعمـل بنسبة نحو ٤ر٧١٪ ، وأن تكون لا تعمـــل بنسبة نحو ٩ر٢٢٪ ، ولا تعمل وعندها دخل بنسبة نحو ٧ر٥٪ · ومن ذكر من الشـــبان ان الزوجة المقبلة تكون من العاملات حدد المهنة التى تعمل فيها على النحو التالى : أخصائية اجتماعية ومدرسة وأعمال كتابية وطبيبة وموظفـة بنسب نحو ١ر٢٦٪ و ٧ر٢١٪ و ١٣٪ و ٧ر٨٪ و ٧ر٨٪ على التوالى·

أما الشابات موضوع الدراسة فقد ذكرن أنهن يرين **أن يكون** الزوج المقبل يعمل وله دخل ثابت بنسبة نحو ٨٠٪ ، وأن **يكون يعمل** وله دخل كبير غير ثابت بنسبة نحو ٣ر١٤٪ ولا **يعمل** وله **دخل كبير** ثابت بنسبة نحو ٧ر٥٪ • ومن ذكرن من الشـــابات أن يكون **الزوج** المقبل من العاملين وهن أغلبية ساحقة (نحو **٣ر٩٤٪**) حـددن **المهنة** التى يعمل فيها على النحو التالى : مهندس وطبيب وأخصائى **اجتماعى** ومحاسب ومهندس زراعى بنسب نحو ٣٦٪ و ١٦٪ و٨٪ و٨٪ و٤٪ على التوالى •

واذا كانت نسبة نحو ٩ر٢٢٪ من الشبان موضوع **الدراســـة** يرون أن تكون الزوجة المقبلة **لا تعمل** فان نحـــو ١ر٧٧٪ منهم **يرون أن يكون لها دخل شهرى** •

ويرى الشبان موضوع الدراسة أن تكون الزوجة المقبلة ذكيـة فى مستوى كل منهم بنسبة نحو **٨٠٪** ، وفى مســـتوى أذكى **بنسبة** نحو **٩ر٢٪** ، وفى مستوى أقل بنسبة نحو ١ر١٧٪ • أما الشـــابات موضوع الدراسة فانهن يرين أن يكون **الزوج** المقبل ذكيا **فى مستوى** كل منهن بنسبة نحو **٨ر٤٢** ، وفى مستوى أذكى بنسبة نحو **٢ر٥٧٪** (يلاحظ وجود فرو قجوهرية بين النسب التى كتبت بالبنط الأسود)

١٣- وقد تبين أن مائة فى المائة من الشبان موضوع الدراسة يفضلون أن تكون الزوجـــة المقبلة **لم تتزوج أبدا** • كما تبين أن نحو ١ر٩٧٪ من الشابات موضوع الدراســـة يفضلن أن يكون الزوج المقبل **لم يتزوج أبدا** ••

١٤- واتضح أن نحو ٣ر٩٤٪ من الشـــبان يفضلون أن يعيشوا حيـــاتهم الأسرية فى مسكن خاص ، **وكان نفس النسبة** من الشابات **يفضلن** ذلك •

١٥- وقد أفصح الشبان موضوع الدراسة عن نوع الشعور والمعاملة بينهم وبين زوجاتهم المقبلات ، وقد تبين أن الأغلبية الساحقة منهم يودون **أن تكون المحبة والثقة والاحترام والطاعة** متبادلة بنسب نحـــو ٨ر٩٦٪ و ٧ر٩٦٪ و ١ر٩٤٪ و **٨ر٨٠٪** على التوالى • فى حين أن **الشـــابات** موضوع الدراسة قد أفصحن عن نوع الشعور والمعاملة بينهن **وبين** أزواجهن المقبلين ، وقد تبين أن الأغلبية الساحقة منهن تودون أن **تكون المحبة والثقة والاحترام والطاعة متبادلة** بنسب نحو ١٠٠٪ • و ١٠٠٪

و ١ر٩٧٪ و **٩٧٪** على التوالى • (يلاحظ وجود فروق دالة بين نسبتى ٨ر٨٠٪ و ٩٧٪) •

١٦- وكانت أهم السمات الجسمية التى يرغبها الشبان موضوع الدراسة فى الزوجة المقبلة أن يكون طولها فى مثل طولهم بنسبة نحو **٨ر٥٤٪** وأن تكون أقصر طولا بنسبة نحو ٢ر٤٥٪ • وأن تكون بشرتها بيضاء عادية بنسبة نحو ٧ر٦٦٪ وأن تكون سمراء بنسبة نحو **٣ر٢٧٪** ، وأن تكون شقراء بنسبة نحو ٦٪ • وأن يكون جسمها عاديا بنسبة نحو ٧٠٪ وجسمها رياضيا بنسبة نحو ٣٠٪ وأن لا تستعمل النظارة بنسبة نحو ٣ر٩٦٪ وأن تستعمل النظارة بنسبة نحو ٧ر٣٪ •

أما الشابات موضوع الدراسة فانهن يرين أن أهم السمات الجسمية التى يرغبنها فى الزوج المقبل أن يكون طوله أطول من طولهن بنسبة نحو ٤ر٩١٪ وأن يكون طوله مماثل لطولهن بنسبة نحو **٦ر٨٪** وأن تكون بشرته سمراء بنسبة نحو **٦ر٦٧٪** ، وأن تكون بشرته بيضاء عادية بنسبة نحو ٤ر٣٢٪ وأن يكون جسمه جسما رياضيا بنسبة نحو ٧ر٦٦٪ وأن يكون جسمه عاديا بنسبة نحو ٣ر٣٣٪ • وأن لا يستعمل النظارة بنسبة نحو ١ر٩٣٪ وأن يستعمل النظارة بنسبة نحو ٩ر٦٪ (يلاحظ وجود فروق بين نسبتى ٨ر٥٤٪ و ٦ر٨٪ ، وبين نسبتى ٣ر٢٧٪ و ٦ر٦٧٪ ، وبين نسبتى ٣٠٪ ، ٧ر٦٦٪) •

١٧- وقد أفصح الشبان موضوع الدراسة عن أهم الخلال التى يرغبونها فى الزوجة المقبلة من حيث كونها **غيرية** أو **متسامحة** أو **رزينة** •• وتبين أن نسبة نحو ٥ر٣٧٪ منهم يرغبون فى أن تكون الزوجة غيرية وأن نسبة نحو ٨ر٤٥٪ يرغبون فى أن تكون الزوجة بين بين • كما تبين أن نسبة نحو ٤ر٧٣٪ يرغبون فى أن تكون الزوجة المقبلة متسامحة ، وأن نحو ٣ر١٣٪ يرغبون فى أن تكون الزوجة غيورة ، وأن نحو نفس النسبة الأخيرة يرغبون فى أن تكون الزوجة بين بين • كما تبين أن نحو ٦ر٨٠٪ يرغبون فى أن تكون الزوجة المقبلة رزينة ، وأن نحو ٤ر١٩٪ يرغبون فى أن تكون الزوجة بين بين •

أما الشابات موضوع الدراسة فان نسبة نحو **٥ر٦٤٪** منهن يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل غيريا وأن نسبة نحو ٥ر٣٥٪ يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل بين بين • وتبين أيضا أن نسبة نحو ٣ر٨٣٪ من الشابات يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل متسامحا وأن نحو

٧ر١٦٪ منهن يرغبن فى أن يكون الزوج بين بين . كما تبين أن نحو ٦ر٦٠٪ يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل رزينا ، وأن نحو ٢ر٢١٪ يرغبن فى أن يكون الزوج المقبل مندفعا ، وأن نحو ٢ر١٨٪ منهن يرغبن فى أن يكون الزوج بين بين . (يلاحظ وجود فروق بين نسبتى ٥ر٣٧٪ و ٥ر٦٤٪) .

١٨– ومن حيث المهارات ، فقد كانت الرغبة عند الشبان موضوع الدراسة فى أن تجيد الزوجة المقبلة **الطهى والحياكة والتريكو** ثم **الرسم** أو **التصوير وعزف الموسيقى وقيادة السيارة** بنسب نحو ٧ر٨٥٪ و ٩ر٤٢٪ و ٤٠٪ و ٦ر٢٨٪ و ٧ر٢٥٪ و ٢ر١٤٪ على التوالى .

أما الشابات موضوع الدراسة فقد كانت الرغبة عندهن فى أن يجيد الزوج المقبل **لعبة رياضية وقيادة السيارة وعزف الموسيقى ثم الرسم أو التصوير ثم الطهى ثم قرض الشعر** بنسب نحو ٦ر٦٨٪ و ٦٠٪ و ١ر٣٧٪ و ٣ر٣٤٪ و ٩ر٢٢٪ و ٢٠٪ على التوالى .

أى أنه فى الوقت الذى تكون الرغبة الأولى عند الشبان موضوع الدراسة فى الزوجة المقبلة هى أن تجيد الطهى ، تكون نفس هذه الرغبة عند الشابات موضوع الدراسة فى الزوج المقبل هى الخامسة . وفى الوقت الذى تكون الرغبة الأولى عند الشابات موضوع الدراسة هى أن يجيد الزوج المقبل لعبة رياضية ، لا نجد ذكرا لهذه الرغبة فى محيط الشبان موضوع الدراسة . واذا كانت الرغبة الثانية عند الشبان موضوع الدراسة هى أن تجيد الزوجة المقبلة الحياكة ، فان الرغبة الثانية عند الشابات موضو عالدراسة هى أن يجيد الزوج المقبل قيادة السيارة .

١٩– ولم يوافق نحو ٧ر٨٥٪ من الشبان موضوع الدراسة على الزواج من أكثر من زوجة . وكانت نسبة الشابات موضوع الدراسة اللاتى لا يوافقن على أن يتزوج الزوج من أكثر من زوجة نسبة أكبر أى نحو ١ر٩٤٪ .

٢٠– وقد وافق الشبان موضوع الدراسة على الطلاق أمام المحكمة بنسبة نحو **٦ر٢٨٪** فقط ، فى حين أن الذين لم يوافقوا على ذلك كانت نسبتهم نحو **٤ر٧١** . وكانت نسبة الشابات الموافقات على الطلاق أمام المحكمة نحو ٥٠٪ ، وكانت **نفس النسبة** منهن لا يوافقن على ذلك ..

وفى ضوء الحقائق السابقة يمكن للقارىء أن يستخلص ما شاء له من نتائج ٠ ولعل أهم هذه النتائج فى رأيى أن تكون كما يلى :

١ — أن اجابات الشابات موضوع الدراسة قد تأثرت حتما بمكان تنشئتهن الاجتماعية ومكان اقامتهن ٠ فالملاحظ أن الأغلبية الساحقة منهن نحو ١ر٩٧٪ قد نشئن تنشئة اجتماعية ويقمن فى المدينة ٠

٢ — وقد وافق الشبان موضوع الدراسة على الاختلاط كما وافقت الشابات موضوع الدراسة أيضا على الاختلاط ، وكانت نسبة الشابات أعلى ٠ وهذه النتيجة متوقعة فالشبان والشابات يعيشون الاختلاط فى الدراسة فعلا ، والشعور العام نحو الزميلة أو الزميل كان شعورا بالمودة وبالثقة وبالتفاهم ، وان وجدت فروق غير داله دلالة احصائية٠ ولقد لوحظ أن المعاملة العامة بين الشباب (ذكورا كانوا أو اناثا) الذين وافقوا على الاختلاط كانت معاملة تتسم بالاحترام المتبادل ٠

٣ — وفى ضوء ظروف مجتمعنا المعاصر ، نلاحظ أن الشعور العام للأب أو بديله اذا عرف أن لابنه الشاب صديقة كان شعورا بالرضا بنسبة أعلى مما اذا عرف أن لابنته الشابة صديقا ٠ وأن شعور الأب أو البديل العام يكون صراحة بعدم الرضا اذا عرف أن لابنته الشابة صديقا ٠

ونفس الشعور العام نجده عند الاخوة أو بدلائهم اذا عرفوا أن لأحد اخوتهم صديقة أو لاحدى أخواتهم صديقا ٠٠ أما الشعور العام عند الأم أو بديلتها ، فهو الرضا بنسبة أعلى من نسبه عدم الرضا فى حالة الأبناء الشبان موضوع الدراسة ، وهو بعدم الرضا بنسبة أعلى من نسبة الرضا فى حالة البنات الشابات موضوع الدراسة ٠ وما نجده عند الأم أو بديلتها من شعور عام فى هذه الحالة نجده عند الأخوات أو بديلاتهن اذا عرفن أن لأحد اخوتهن صديقة أو لاحدى أخواتهن صديقا ٠٠ ولكن يلاحظ أن النسب متباينة ، وانه فى حالة الاخوة تكون نسبة عدم الاكتراث أعلى منها فى حالة الأخوات ٠٠

٤ — ومن حيث اختيار الزوج المقبل أو الزوجة المقبلة نلاحظ أن نسبة المؤيدين والمؤيدات لهذا الاختيار نسبة عالية ، وهى أعلى عند الشابات موضوع الدراسة ٠ ولعل ذلك أن يرجع الى البيئة التى نشئن فيها اجتماعيا ، وهى المدينة ، ولعوامل أخرى لم تبينها الدراسة الحالية ٠

٥ — وقد تبين أن الشبان يفضلون الزوجة المقبلة أن تكون مصرية من الأقارب ومن غير الأقارب ، وان كانوا يفضلونها أكثر أن تكون مصرية

من غير الأقارب • ورأى الشابات موضوع الدراسة فى الزوج المقبل فى هذا الشأن هو نفس رأى الشبان فى الزوجة المقبلة •

واذا كان الشبان يرون على وجه العموم أن تكون الزوجة **المقبلة** أصغر سنا ، ومتعلمة **فى** نفس مستواهم وأن يكون لها دخل **شهرى** (أقل من ربع الشبان لا يطلبون أن تعمل الزوجة) •• وذكيـــة **فى** نفس مستواهم وأنها لم تكن قد تزوجت أبدا ، فان الشابات يرين على وجه العموم أن يكون الزوج المقبل أكبر سنا وأكثر تعليما وبنســـبة أكبر يكون عاملا ولكن يكون له دخل شهرى ومستوى ذكائه **أعلى من** مستوى ذكائهن وأنه لم يكن قد تزوج أبدا •

وقد أجمع الشبان والشابات موضوع الدراسة على أنهم **يفضلون** أن يعيشوا حياتهم الأسرية فى **مسكن خاص** ••

٦ – وقد أفصح الشبان والشابات عن نوع الشعور والمعـــاملة بينهم **وبين** الزوجات المقبلات والأزواج المقبلين ، وقد تبين أن الأغلبية الســـاحقة يودون أن تكون **المحبة والثقة والاحترام والطاعة** متبادلة ، مع ملاحظة أن نسبة الطاعة المتبادلة عند الشبان موضوع الدراسة أقل من **نسبتها** عند الشابات موضوع الدراسة ، **وأن الفرق بين النسبتين دال دلالة احصائية** • •أى أن الشبان موضو عالدراسة يرضون بهذه الطاعـــة المتبادلة بنسبة أقل من نسبة الشابات ، والأخيرات يرضين بهـــذه الطاعة المتبادلة بنسبة أعلى من نسبة الشبان ••

٧ – وقد لاحظت أن الشبان موضوع الدراسة يرغبون فى الزوجـــة المقبلة بأغلبية قليلة أن يكون طولها فى مثل طولهم وبنسبة كبيرة (**تقرب من** النصف) أن تكون أقصر طولا • وقـــد ذكرت أغلبية الشبان بنسب متفاوتة أن تكون بشرة الزوجة المقبلة بيضاء ، **وأن يكون جسمها عاديا** (**يعنى ليس بالضرورة أن يكون رياضيا**) وأن لا تستعمل **النظـــارة** (**٢٧ شابا من ٣٥ شابا أجابوا عن سؤال استعمال النظارة ، والباقى** وعددهم ثمانية شبان لم يجيبوا) • واذا كان هذا موقف الشبان **من** الشابات ، فان **الشابات موضـــوع الدراســة يرين أن أهم السمات** الجسمية التى يرغبنها فى الزوج المقبل أن يكون طوله **أطول من طولهن** وأن تكون بشرته سمراء وأن يكون جسمه رياضيا وأن **لا يســـتعمل** النظارة (**٢٩ شابة من ٣٥ شابة أجبن عن سؤال استعمال النظارة** ، والباقيات وهن ست شابات لم يجبن) •

٨ – واذا كان الشبان موضوع الدراسة يرون أن أهم الخلال التى يرغبونها فى الزوجة المقبلة هى أن تكون غيرية ومتسامحة ورزينة ، فاننا نلاحظ أن الشابات موضوع الدراسة يرين أن هذه الخلال فى الزوج المقبل هى أن يكون غيريا **بنسبة أعلى لها دلالة احصائية** ، وأن يكون متسامحا ثم رزينا ٠٠ وقد رغب أكثر من خمسهن فى أن يكون الزوج المقبل **مندفعا** !!

٩ – ومن حيث المهارات فقد كانت الرغبة عند الشبان موضوع الدراسة فى أن تجيد الزوجة المقبلة الطهى ثم الحياكة ثم التريكو ثم الرسم أو التصوير ثم عزف الموسيقى ثم قيادة السيارة ٠٠ أما الشابات موضوع الدراسة فقد كانت الرغبة عندهن فى أن يجيد الزوج المقبل لعبة رياضية ثم قيادة السيارة ثم عزف الموسيقى ثم الرسم أو التصوير ثم الطهى ثم قرض الشعر ٠٠

أى أنه فى الوقت الذى تكون الرغبة **الأولى** عند الشبان موضوع الدراسة فى الزوجة المقبلة هى أن تجيد الطهى تكون نفس هذه الرغبة عند الشابات موضوع الدراسة فى الزوج المقبل هى **الخامسة** ٠٠ وفى الوقت الذى تكون الرغبة الأولى عند الشابات موضوع الدراسة هى أن يجيد الزوج المقبل لعبة رياضية ، لا نجد ذكرا لهذه الرغبة فى محيط الشبان موضوع الدراسة ٠٠ واذا كانت الرغبة **الثانية** عند الشبان موضوع الدراسة هى أن تجيد الزوجة المقبلة **الحياكة** ، فان الرغبة الثانية عند الشابات موضوع الدراسة هى أن يجيد الزوج المقبل **قيادة السيارة** (الملاحظ أن رغبة قيادة السيارة كانت آخر رغبات الشبان موضوع الدراسة فى الزوجة المقبلة) ٠

١٠– ولم يوافق أكثر من **أربعة أخماس** الشبان موضوع الدراسة على الزواج من أكثر من زوجة ، فى حين أن **أكثر من تسعة أعشار** الشابات موضوع الدراسة لا يوافقن على أن يتزوج الزوج من أكثر من زوجة ٠٠ وفى الوقت الذى وافق أكثر من **خمس** الشبان موضوع الدراسة على الطلاق أمام المحكمة ، كان **نصف** الشابات موافقات على الطلاق أمام المحكمة ٠٠

١١– ولعل النتائج السابقة أن تشير بذاتها الى موقف الشابات غير المتزوجات المصريات والى نظرة الشبان غير المتزوجين المصريين نحوهن فى الوقت الحاضر ٠ والملاحظ أن أعضاء عينة الدراسة من صفوة الشبان فى مصرنا المعاصرة ٠ فهم طالبات وطلبة يؤهلون لكى يكونوا قادة

ثقافيين فى المجتمع المصرى المعاصر .. أى لكى يعملوا فى محيط أعضاء المجتمع بكل فئاته على اختلاف أعمارهم ونوعهم ومستويات ثقـــافتهم وتباين مستوياتهم الاقتصادية وظروفهم الاجتماعية ومواقع أعمالهم . وإذا كانت أعباء التوجيه والارشـــاد تقع على عاتق هؤلاء القـــادة من الشباب ، فالملاحظ أنهم حاملو عناصر ثقافية أخذوها من المجتمع ، وبقيت معهم يحملونها فى أجهزة قيمهم ويشعون منها من حين الى حين الى من يقودونهم ويرشدونهم ويوجهونهم . وإذا كانت هذه العنـــاصر الثقافية أو بعضها قد تبدو عند المراجعـــة والفحص معوقة ولا تتفق وكرامة المرأة المصرية المعاصرة أو مع ما يجب أن تكون عليـــه نظرة الرجل المصرى المعاصر فى ضوء العصر لها ، فان الأمل معقود على أن دوام الحال من المحال وأن التغيير الى الأفضل ســـيأتى حتما . ومن حقى وحق القارىء فى هذا الضوء أن نتفاءل وأن ننظر فى شوق الى الأمام الى الغد الأسعد ..

٥ ـ نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو نفسها
(تجربة منهجية)

لم يستخدم مفهوم « النفس » أو «الذات » كثيرا فى الدراسات والبحوث الامبريقيه • فالملاحظ ان هذا المفهوم مفهوم غامض ، فقد يستخدم كصورة أو تصور أو مفهوم أو شعور أو كصفة ذاتيه أو كمجرد نفس تفحص نفسها • والدراسة الحاليه ترتكز على الفكرة القائله ان « النفس » هى عبارة عن « اتجاهات » • ويفترض فى هذه الحالة أن السلوك الانسانى منظم وموجه ، وان هذا التنظيم وهذا التوجيه يزودان باتجاهات الفرد نحو نفسه • ومن ثم فان اتجاهات النفس لكى تتطابق وتقاس تكون ذات أهمية حاسمة ••

وقد قمت فى الدراسة الحالية باجراء اختبار بسيط للغاية لتحقيق هذا الغرض • وقد بنى هذا الاختبار على أساس أنه يهدف مباشرة الى « اتجاهات النفس » (على فرض أن السلوك البشرى منظم وموجه فى ضوء صيغ محفوظة متمثله ولكنها واعيه) • ولعل القارىء ان يعلم أن وقتا طويلا قد استغرق فى مناقشة مدى ما سيخفيه الناس من اتجاهاتهم « الحقيقية » سواء كانت هذه اتجاهات ذاتية أو مجرد اتجاهات نحو أشياء أو حالات معينة • وهى مناقشة كانت سابقة على التجريب ، ومن ثم كانت فى رأى بعض العلماء مناقشة ضائعة(١) ••

والاداة التى استخدمتها فى هذه الدراسة تحتوى على صفحة واحدة من الورق قد توجت بعنوان « دراسه عن صورة الذات » ، وتضمنت بعض البيانات الاولية عن المسئول مثل السن ومحل التنشئة والديانة والنوع والمستوى التعليمى والعمل ونوع العمل والحالة الزواجية ومحل الاقامة ثم صورة الذات •• وأمام البيان الأخير ذكرت : « المطلوب الاجابة عن سؤال من أنا ؟ فى عشرين اجابة ، والرجاء عند الاجابة أن يكون السؤال موجها من المسئول الى ذاته وأن تكون الاجابات بالتسلسل من رقم ١ الى رقم ٢٠ »(٢) ••

وفى يوم ١٥ مارس ١٩٧٤ وزعت الاختبار الموضح أعلاه على طالبات وطلبة السنة الرابعة بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعيه بجاردن سيتى (كلية الخدمة الاجتماعيه بجامعه حلوان الآن) •• وكان عدد الحاضرين ستة عشر طالبا وطالبه •• وكان عدد الطالبات عشر وعدد الطلاب ستة •• وكان اهتمامى موجها الى أن يسأل الطلاب أنفسهم ، أى أن يكون السؤال موجها من

كل طالبة أو طالب الى نفسها أو الى نفسه ، وليس الى شخص آخر • ولم أحدد وقتا للاجابة • أى أن كل طالبة أو طالب رد الى ورقة الاختبار بعد الانتهاء منه فى حدود الوقت الذى استغرقته كتابة الاجابات فى نطاق الوقت الباقى من الحصة وقدره ٤٠ دقيقة •• وتركت الطالبات والطلبة يكتبون ما شاءوا •• ولم أكن شخصا غريبا عنهم •• فقد عاملتهم قبل ذلك بشهور ، عندما كنت أنظم حلقة بحث معهم توطدت فى أثنائها العلاقات المهنية ودعمت الثقة المتبادلة بيننا ••

واننى أبادر فى الدراسة الحالية بتسجيل نتائج الاختبار المشار اليه بعد تصنيفها وتحليلها واستخلاص ما يفيد منها ثم محاولة التعليق على ذلك • وسأقتصر على نتائج اختبار الطالبات دون الطلبة •• واهم هذه النتائج ما يلى :

١ ـ ان أعمار الطالبات كانت تتراوح ما بين ٢٢ ، ٢٣ عاما ، وكان معظم الطالبات (ثمانى طالبات) فى سن ٢٢ عاما • كما كانت التنشئة الاجتماعية للأغلبية الساحقة (ثمانى طالبات) فى المدينة ، وطالبة واحدة فى المركز وطالبة أخرى فى القرية •• وكانت تسع طالبات من العشر من المسلمات ـ وكل الطالبات لا يعملن عملا ما •• وكلهن لم يتزوجن •• وكانت الأغلبية الساحقة (ثمانى طالبات) يقمن فى المدينة ••

٢ ـ وتبين أن عدد الاجابات عن السؤال الموجه من كل طالبة الى نفسها وليس الى شخص آخر وهو « من أنا ؟ »١٥٠ اجابة ، أى أن المتوسط ١٥ اجابة لكل طالبة ، وكان المتوقع أن يكون هذا المتوسط ٢٠ اجابة لكل طالبة • وذلك على الرغم من عدم تحديد وقت للاجابة عن السؤال « من أنا ؟ » ••

٣ ـ والملاحظ أن ال ١٥٠ اجابة المشار اليها فى ضوء تصنيفها على أساس محددات الشخصية الانسانية ، أى المحددات التكوينية والمحددات الثقافية الاجتماعية ثم المحددات النفسية العقلية ، اننا نجد أن المحددات النفسية العقلية قد حصلت على ٨٥ اجابة أى بنسبة نحو ٧ر٥٦٪ ، وتليها المحددات الثقافية الاجتماعية ، فقد نالت ٥٤ اجابة بنسبة نحو ٣٦٪ ، ثم المحددات التكوينية وعدد اجاباتها ١١ اجابة بنسبة نحو ٣ر٧٪ ••

والملاحظ أن هذا التصنيف تصنيف تعسفى ، لأن شخصية الانسان منا لا يمكن الا أن تكون دينامية ، أى أن عناصرها تكوينية ثقافية

عقلية نفسية اجتماعية جميعا ‥ والأمثلة على هذا التعسف سيلاحظها القارىء حتما ‥ وانني لا ادعى فى هذه الدراسة الكمال ، ولكنى أحاول أن أعطى صورة موضوعية عما يراه بعض الشابات المصريات المتعلمات عن أنفسهن فى ضوء التصنيف الذى تبنيته على الرغم من التعسف الواضح الذى ذكرته ‥

٤ ــ والملاحظ أن الاجابات المتعلقة بالمحددات النفسية العقلية تتضمن أنواعا شتى من الاجابات ‥ ومعظم هذه الاجابات ان لم يكن كلها متصلة اتصالا وثيقا بالقدرات العقلية ، والعواطف الانسانية ، والانفعالات ، والمشاعر ، والحالة النفسية الصحية أو غير الصحية ، كالحالة النفسيه العصابية مثلا ‥ أى أن هذه الاجابات متصلة اتصالا وثيقا ، اذا جاز التعبير ، بالسلوك النفسى للحالة المدروسة ‥

أما الاجابات المتعلقة بالمحددات الثقافية الاجتماعيه،فهى تتضمن أيضا أنواعا شتى من الاجابات ‥ ومعظم هذه الاجابات ان لم يكن كلها متصلة اتصالا وثيقا بالعناصر الثقافيه بمعناها الدارج (كمعظم نشاطات وزارة الثقافة المصرية فى الوقت الحاضر)، والعناصر الثقافية غير المادية بمعناها العلمى (كالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمبادىء والمثل العليا) ، والادوار الاجتماعية ‥ أى أن هذه الاجابات متصلة اتصالا وثيقا ، اذا جاز التعبير ، بالسلوك الاجتماعى للحالة المدروسة ‥ وأود أن أؤكد انه لكى نفهم الشخصية الانسانية ، فلا يمكن أن يكفى التعرف على السلوك النفسى على حدة او السلوك الاجتماعى على حدة او المحددات التكوينية على حدة ‥ **لأن هذا كله فى تفاعله** ، كما سبق أن أوضحت هو وحده ، الذى ييسر هذا الفهم ، أى فهم الشخصية الانسانية ‥

٥ ــ واذا كانت الاجابات المتعلقة بالمحددات النفسية العقلية هى ٨٥ اجابة ، فاننا نلاحظ أن **الحالة الاولى** قد أجابت منها **خمس** اجابات هى :

« أنا مش بحب المذاكرة » و « أنا أحب الاطفال » و « أنا بازعل بسرعة » ، و « أنا متوسطة الذكاء » و « أنا امورة » ‥

أما **الحالة الثانية** فقد كان عدد اجاباتها **أربع عشرة** اجابة هى :
« عادية » و « سعيدة » و « أحب الناس » و « أسعدهم » و « أخافهم (أى الناس) أحيانا » و « متوسطة الذكاء » و « أضحك كثيرا » و «اتكلم كثيرا » و « متعبة أحيانا » و « قلقــة » و « متزمتة » و « مترددة » و « متكيفة » و « صبورة أحيانا » ‥

وكان عدد اجابات **الحالة الثالثة ، عشر اجابات** هي :
« بسيطة » و « لماحة وخجولة » و « بعض الأوقات حزينة » و « شديدة الحساسية » و « عنيدة » و « متقلبة المزاج » و « صريحـــة في بعض الأمور الخاصة بي » و « لا أحب التقليد » و « أحبس مشاعري ولا أخرجها الا بصعوبة » و « أحب التهريج ولكن في نهايته لا بد أن أحزن » ..

وكان عدد اجابات **الحالة الرابعة ست اجابات** هي :
« أنا أحب تكوين أصدقاء جدد » و « أنا احب أن أكون اجتماعية » و « أنا أحب أن أكون مشهورة في المركز العلمي » و « أنا أحب أن أكون أسرة مشهورة » و « أنا أحب أن أكون مشهــورة اجتماعية » و « أنا أحب أن أكون لي مركز في مكان عملي » ..

أما **الحالة الخامسة** ، فقد كان عدد اجاباتها **ست اجابات** هي :
« أنا انسانة اجتماعية » و « أنا أحب التغيير في كل شيء » و « أنا أحب حياة الجماعة في حدود » و « أنا انسانة خجولة » و « أنا أحب السفر والرحلات » و « أنا نشيطة في عمل كل شيء » ..

وكان عدد اجابات **الحالة السادسة ، عشر اجابات** هي :
« أنا أحب أن أساعد جميع الناس بدون مقابل » و « أنا أحب أن أتقن عملي واتفانا (اتفاني) في الاخلاص فيه » و « أنا باشارك جميع الأفراد أفراحهم وأحزانهم » و « أنا أعامل الجنس الآخر بحذر جدا » و « أنا لا أكره أحدا من الناس » و « أنا بفرح عند تقديم مساعدة وتكـــون بنتيجة » و « أنا أريد التفوق وأحصل على درجات عليا » و « أنا أحيانا ينتابني أحساس بأني سعيدة في يوم ما وأحصل على كل ما أريد » و « أنا أحيانا ينتابني خوف من أني لا أحقق التفوق » و « أنا بأهتز وأخاف عند سماعي للدروس الدينية » ..

أما **الحالة السابعة** فقد كان عدد اجاباتها ، **احدى عشرة** اجابة هي :
« انسانة مترددة في كل شيء » و « أتمنى أن أصبح في مركز مرموق » و « أحب الناس وأتمنى أن يحبوني » و « صريحة لدرجة تسبب لي المشاكل » و « لا أثق في الرجال اطلاقا » و « أخاف من مستقبل غير مشرق » و « لا أتعصب لرأي وأنا أقتنع برأي الآخرين » و « أريد أن أتزوج رجل (رجلا) أحبه أولا ولكن هذا طريق غير مأمون » و « أحب الاصدقاء من نفس الجنس وأشعر بالراحة معهم » و « يضايقني عدم لباقتي في الحديث في وسط مجموعة أكبر مني سنا » و « أحب الرحلات والانطلاق » ..

وكان عدد اجابات **الحالة الثامنة ، سبع اجابات هى :**
« أنا متواضعة » و « أنا محبوبة من الناس » و « منفعلة فى بعض الأحيان » و « أمتاز بالصراحة » و « انا أحب زملائى » و « أنا راضية عن تصرفاتى » و « أنا أحب أسرتى » ..

وكان عدد اجابات **الحالة التاسعة ، اجابة واحدة هى :**
« أنا عصبية بعض الشىء » ..

وكان عدد اجابات **الحالة العاشرة ، خمس عشرة اجابة هى :**
« شديدة الانفعال لمشاهدة أى انحراف » و « لدى شعور زائد بالكبرياء» و « لدى حساسية شديدة » و « لا أميل الى العلاقات الكبيرة » و «أتأثر بدرجة كبيرة لالم الآخرين » و « أحب أن أكون دائما متفوقة » و «أشعر بأن الناس يحبوننى جدا » و « **وناس آخرين يكرهوننى » و « أميل لنقد** كل شىء خارج عن الوضع الطبيعى » و « **وآمل أن أعيش فى عـــالم** نموذجى » و « أخاف جدا من الأمراض » و « **دائمة التفكير فى مرض** السرطان وأود أن أخترع له علاج » و أميل الى الشعور بالراحة التامة دون أى تفكير » و « أشعر بالغيرة الشديدة لمن أحب » و « **أتمتع بدرجة** عالية من الذكاء » ..

٦ - واذا كانت الاجابات المتعلقة بالمحددات الثقافية الاجتماعيـة هى ٥٤ اجابة ، فاننا نلاحظ أن **الحالة الأولى** قد أجابت منها **تسع اجابات هى :**
« أنا طيبة » و « أنا بحب الخير » و « أنا أحب الحياطة وأشغال الابرة »، و « أنا مؤدبة ومحافظة » و « أنا أحب الموسيقى الهادئة » و « أنـا أحب الكرة ولكن لا أجيدها » و « أنا ست بيت ممتازة » و « أنا صديقة مخلصة » و « أنا أحب الوفاء » ..

أما **الحالة الثانية** فقد كان عدد اجاباتها **خمس اجابات هى :**
« فتاة » و « متعلمة » و « روح » و « نفس » و « مؤمنة الى حد ما » .

وكان عدد اجابات **الحالة الثالثة ، ثمانى اجابات هى :**
« أنثى » و « مصرية » و « مثقفة » و « ولدت فى قرية وبيئة محافظة » و « أعيش حياة عادية » و « لم أندمج بمستويات أعلى أو أقل مـن المستوى الذى كنت أعيش فيه » و « **تعاملت مع مستويات مختلفة » و « لا أحب المجاملة الزائدة »** ..

وكان عدد اجابات **الحالة الرابعة ، أربع اجابات هى :**

« أنا طالبة فى المعهد العالى للخدمة الاجتماعية » و « أنا أحب أن أعمل دراسات عليا » و « أنا أحب سماع الموسيقى والألحان » و « أنا أحب أن أؤدى واجبى نحو وطنى » ..

أما **الحالة الخامسة** فقد كان عدد اجاباتها **ست اجابات هى** :
« أنا أهوى قراءة القصص البوليسية » و « أنا أحب الاستماع الى الموسيقى » و « أنا أحب الاستماع الى القرآن الكريم » و « أنا أهوى قراءة نصف كلمة لأحمد رجب(٣) » و « أنا أحب أبى وأمى » و « أنا أسكن فى منطقة هادئة » ..

وكان عدد اجابات **الحالة السادسة** ، **خمس اجابات هى** :
« أنا أحب أن أحصل على نتيجة تعبى وبخاصة الدراسة » و « أنا أعطى كل صغير وكل كبير حقه واحترامه » و « أنا لا أحب أأذى أحد » و « أنا أميل الى الذهاب الى المساجد بصفة مستمرة » و « أنا كل عملى لكى أحقق النجاح الاكبر فى الآخرة » ..

أما **الحالة السابعة** فقد كان عدد اجاباتها ، **اجابتين** هما :
« أود أن أعيش فى مستوى مرتفع ولكن ؟؟ » و « أريد التحرر من القيود ولكن المجتمع قاسى » ..

وكان عدد **اجابات الحالة الثامنة** ، **سبع اجابات** هى :
« أنا طالبة » و « أعيش مع والداى » و « أنا لا أمارس أى عمل » و « أنا على درجة عالية من الاخلاص » و « أنا لا أحب النفاق » و « أنا أميل الى الاستقامه » و « انا أميل الى القراءة والاطلاع » ..

وكان عدد اجابات **الحالة التاسعة ست اجابات** هى :
« أنا فتاة » و « أنا طالبة » و « أنا أحب سماع الموسيقى » و « أنا أريد استكمال دراستى العالية » و « أنا أميل الى الناحية الدينية » و « أنا أعتقد أن الزواج عن تعارف أنجح » ..

وكان عدد اجابات **الحالة العاشرة** ، **اجابتين** هما :
« طيبة الى حد بعيد » و « أقاوم بدرجة كبيرة الكذب » ..

٧ - واذا كانت الاجابات المتعلقة بالمحددات التكوينية هى احدى عشرة اجابة، فاننا نلاحظ أن **الحالة الأولى** قد أجابت منها **اجابة واحدة** هى :

« أنا ذات عيون عسلية » .

أما **الحالة الثانية** فقد أجابت أيضا **اجابة واحدة هى** :
« جميلة » ..

وكان عدد اجابات **الحالة الثالثة** ، **اجابتين هما** :
« طويلة » و « بيضاء » ..

ولم تجب **الحالة الرابعة أية اجابة** ..

وأجابت **الحالة الخامسة اجابة واحدة** هى :
« أنا جميلة العينين » ..

ولم تجب كل من **الحالة السادسة والحالة السابعة أية اجابة** :

وأجابت **الحالة الثامنة اجابتين** هما :
« أنا متوسطة الطول » و « قصيرة الشعر سمراء اللون » ..

وأجابت **الحالة التاسعة اجابة واحدة** هى :
« متوسطة الطول » ..

وكان عدد اجابات **الحالة العاشرة** ، **ثلاث اجابات** هى :
« طويلة نحيفة » و « مظهرى عادى » و « متوسطة الجمال » ..

٨ – وفى ضوء البنود أرقام ٥ ، ٦ ، ٧ نلاحظ **ما يلى** :

– أن نسبة المحددات النفسية العقلية وهى المتصلة اتصالا وثيقا بالقدرات العقلية ، والعواطف الانسانية والانفعالات والمشاعر ، والحالة النفسية الصحية أو غير الصحية كالحالة النفسية العصابية مثلا – هى أعلى نسبة بلغت نحو **٥٦ر٧٪** ..

– وتلى نسبة المحددات السابقة نسبة المحددات الثقافية الاجتماعية وهى المتصلة اتصالا وثيقا بالعناصر الثقافية بمعناها الدارج (مثل سماع الموسيقى والقراءة ..) ، والعناصر الثقافية غير المادية بمعناها العلمى مثل القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمبادىء والمثل العليا – اذ بلغت نحو **٣٦٪** ..

– وتلى هذه النسبة المحددات التكوينية المتعلقة ببعض أعضاء الجسم (كالعينين) أو طوله أو حجمه أو لونه – اذ بلغت **٣ر٧٪** ..

– ان القارىء المدقق يلاحظ حتما التطابق الجزئى فى بعض الاجابات وبخاصة ما تعلق منها بالمحددات النفسية العقلية والمحددات الثقافية

الاجتماعية . والأمثلة على ذلك كثيرة منها اجابة « أنا أحب الأطفال » مثلا . ان تحليل هذه الاجابة يبرز « عاطفة » الحالة المجيبة نحو الاطفال ، وهى عاطفة تنتمى الى المحددات النفسية العقلية ، وفى الوقت نفسه يبرز هذا التحليل « قيمة اجتماعية » يتعطر بها المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، ومن ثم فهى قيمة تنتمى بالضرورة الى المحددات الثقافية الاجتماعية .. ومن هذه الأمثلة أيضا اجابات « أحب الناس » و « أسعدهم » و « أحبس مشاعرى ولا أخرجها الا بصعوبة » و « أحب التهريج ولكن فى نهايته لا بد أن أحزن » و « أنا أحب أسرتى » و « لم أندمج بمستويات أعلى أو أقل من المستوى الذى كنت أعيش فيه » و « أنت أحب أبى وأمى » ..

- وبالاضافة الى ملاحظه التطابق الجزئى فى بعض الاجابات ، يلاحظ القارىء المدقق التكرار فى معانى وألفاظ بعض الاجابات سواء كانت اجابات تتعلق بالمحددات النفسية العقلية أو الثقافية الاجتماعية أو التكوينية جميعا .. ولعل أوضح مثال على ذلك نجده فى الاجابات المتعلقة بالمحددات التكوينية (احدى عشرة اجابة) .. لقد تناولت هذه الاجابات الطول أربع مرات ، « أنا طويلة » و « أنا متوسطة الطول » و « متوسطة الطول » و « طويلة ونحيفة » . وتناولت هذه الاجابات الجسم ككل ثلاث مرات : « جميلة » و « مظهرى عادى » و « متوسطة الجمال » .. وكانت من نصيب العيون اجابتان : « أنا ذات عيون عسلية » و « أنا جميلة العينين » .. ومن نصيب اللون اجابتان أيضا : « أنا بيضاء » و « قصيرة الشعر سمراء اللون » ، ويلاحظ فى الاجابة الأخيرة أن الشعر قد ذكر مع اللون ، وأن حجم الجسم من حيث « النحافة » قد ذكر قبل ذلك مع الطول ..

٩ - ويلاحظ أن الكثير من الاجابات تتعلق بعناصر عديدة من **الصحة النفسية وبالمثل العليا والقيم النبيلة** التى يزخر بها مجتمعنا ، ومنها « أحب الناس » و « أسعدهم » و « أحب تكوين أصدقاء جدد » و « أنا أحب أن أكون اجتماعية » و « أنا أحب أن أساعد جميع الناس بدون مقابل » و « أنا باشارك جميع الافراد أفراحهم وأحزانهم » و « أنا بفرح عند تقديم مساعدة وتكون بنتيجة » و « لا أتعصب لرأى وأنا أقتنع برأى الاخرين » و « أنا متواضعة » و « آمل أن أعيش فى عالم نموذجى » و « أنا طيبة » و « أنا بحب الخير » و « أنا أحب أن أؤدى واجبى نحو وطنى » و « أنا أحب أبى وأمى » و « أنا أعطى كل صغير وكل كبير

حقه واحترامه » و « أنا لا أحب أأذى أحد » و « أنا أميل الى الاستقامة » و « أقاوم بدرجة كبيرة الكذب » و « أنا صديقة مخلصة » و « أنا أحب الوفاء » ٠٠٠ الخ ٠٠

ومن الاجابات ما يتعلق بالحساسية الزائدة على الحد وبالمزاج المتقلب مثل : « أنا بأزعل بسرعة » و « متعبة أحيانا » و « قلقة » و « مترددة » و « شديدة الحساسية » و « عنيدة » و « متقلبة المزاج » و « أنا انسانة خجولة » و « أنا عصبية بعض الشيء » و « أتأثر بدرجة كبيرة لألـم الآخرين » و « شديدة الانفعال لمشاهدة أى انحراف » ٠٠ الخ ٠٠

ومن الاجابات ما يتعلق بظاهرة التدين وبالنظر نحو الجنس الآخر ، فنجد مثلا : « أنا باهتز وأخاف عند سماعى للدروس الدينية » و « أنا أميل الى الذهاب الى المساجد بصفة مستمرة » و « أنا كل عملى لكى أحقق النجاح الأكبر فى الآخرة » و « أنا أميل الى الناحية الدينية » و « أنا أحب الاستماع الى القرآن الكريم » و « أنا أعامل الجنس الآخر بحذر جدا » و « لا أثق فى الرجال اطلاقا » و « أريد أن أتزوج رجـل (رجلا) أحبه ولكن هذا طريق غير مأمون » و « أحب الأصدقاء من نفس الجنس وأشعر بالراحة معهم » و « أشعر بالغيرة الشديدة لمن أحب » و « أن الزواج عن تعار فأنجح » ٠٠٠ الخ ٠٠

وقد يبرز الطموح والتفاخر وسمات المظهرية فى بعض الاجابات ، فنجد مثلا : « أنا أحب أن أكون مشهورة فى المركز العلمى » و « أنا أحب أن أكون أسرة مشهورة » و « أنا أحب أن أكون مشهورة اجتماعية» و « أنا أحب أن أكون لى مركز فى مكان عملى » و « أنا أريد التفـوق وأحصل على درجات عالية » و « أتمنى أن أصبح فى مركز مرموق » و « أحب أن أكون دائمة متفوقة » و « أنا أحب أن أعمل دراسات عليا » و « أنا أحب أن أساعد جميع الناس بدون مقابل » و « أنا محبوبة من الناس » و « لدى شعور زائد بالكبرياء » و « أشعر بأن الناس يحبوننى جدا » و « أتمتع بدرجة عالية من الذكاء » و « أنا ست بيت ممتازة » و « مثقفة » و « أنا على درجة عالية من الاخلاص » و « طيبة الى حد بعيد » و « أنا أمورة » و « جميلة » و « أنا جميلة العينين » ٠٠٠ الخ ٠٠

والملاحظ أنه توجد اجابات أخرى يستطيع القارىء أن يجدها ٠ ومن

هذه الاجابات ما هو شخصى أى يتعلق بالحالة نفسها كحب المذاكرة من عدمه ، ومنها ما قد ينم عن علامات عصابية مثل الخوف من الامراض أو دوام التفكير فى مرض كمرض السرطان ، وغير ذلك ٠٠

١٠- وأود ان أذكر القارىء بأن هذه الدراسة تتناول عشر طالبات فقط ، والتعميم من نتائجها لا يفيد أحدا وربما كان ضرره كبيرا ٠٠ ومع ذلك فالدراسة قد أظهرت شيئا فى حدود المادة البشرية التى تعاملت معها ٠٠ ولعل ما أظهرته هذه الدراسة هو العديد من العناصر الثقافيـــة الاجتماعيه التى توجد فى المجتمع المصرى المعاصر بما تضمنته من قيم اجتماعيه ومبادىء ومثل عليا ، فضلا عن بعض العناصر النفسية التى يتميز بها الكثير من المراهقين والمراهقات فى مجتمعنا ٠ ولعل مما يلفت النظر بعض الاجابات المتعلقة بالنظرة نحو الجنس الآخر ، فهى تنم عن عدم النضوج وتؤكد ، على وجه العموم ، أن فقدان الثقة المتبادلة بين الانثى والذكر فى المجتمع المصرى المعاصر ما زال قائما ٠٠

١١- والملاحظ أن الاجابات لم تتضمن واحدة منها ما يخدش الحياء أو يسم صاحبتها بالخلق غير الحسن ٠ اى الخلق الذى تنفر منه القيم الاجتماعية والمبادىء والمثل العليا السائدة فى مجتمعنا ٠٠ ولعل ذلك أن يرجع الى أن قيمة مثل « الستر » أو « الله ستار » ، وخصوصا ما يتعلق منها بما هو قبيح أقوى من قيمة « الاباحية » أو « الاعلان » عما هو قبيح أو مستهجن ، وبخاصة فى محيط الاناث العاديات فى المجتمع المصرى ٠ ولعل الاستثناء فى هذا المجال ان نجده فى محيط الذكور أو بعضهم فى هذا المجتمع ٠ فالاخيرون قد يفعلون ذلك على سبيل المباهاة أو التفاخر ولسان حالهم يقول او قد يقول « اللى يعرف أبويا يروح يقول له » ! ومع ذلك فقد يقول بعضهم لو أن الاختبار أتاح للمبحوث أن يجيب عن أكثر من عشرين اجابة لتضمنت الاجابات نوعيات أخرى منها ما قــد يخدش الحياء أو يسم صاحبتها بالخلق غير الحسن ٠ ولكنى لا أرى وجاهة فى هذا الرأى ٠٠

١٢- والملاحظ أيضا أن بعض الاجابات قد تحمل حكما ذا قيمة ٠٠ فالاجابة « أنا جميلة » تتضمن هذا الحكم ٠٠ ومع ذلك فانه ليس كل الاجابات من هذا النوع ٠ فهناك اجابات تذكر وقائع أو أدوارا محددة لا لبس فيها ولا ابهام ٠ ومنها « أنا مش بحب المذاكرة » و « أنا أعامل الجنس

الآخر بحذر جدا » و « أنا بأهتز وأخاف عند سماعى للدروس الدينية » و « أنا أحب الخياطة وأشـــغال الابرة » ، و « أنا فتاة » و « أنثى » و « مصرية » ٠٠٠ الخ ٠ وحتى الاجابة التى تتضمن « أنا جميلة » مثلا ، عانها لا تتعارض مع أغراض الدراسة الحالية التى تركز أول ما تركز **على فهم المبحوث لنفسه** ٠ فاللاتى يرين أن الواحدة منهن « جميلة » أو « أمورة » و « بسيطة » أو « لماحة وخجولة » تؤكد كل منهن أهـداف الدراسة الحالية ٠ أنهن كذلك كما يرين أنفسهن ، فالدراسة الحالية كما لا يخفى على القارىء هى عن « نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحـــو نفسها » ٠٠

(المراجع والتعليقات)

١ - انظر :

- Manford H. Kuhn and Thomas S. McPartland, «An Empirical Invetigation of Self-Attitudes», in jerome G. Manis and Bernard N. Meltzer, «Symbolic Interaction : A Reader in Social Psychology,» Boston, Allyn and Bacon, 1969, pp. 120 - 133.

٢- انظر صورة الاختبار المرافقة •

٣ - الاستاذ أحمد رجب صحفى ناقد مصرى وتميل كتاباته الى السخرية ، وهو فى الوقت الحاضر أحد محررى جريدة الاخبار •

(دراسة عن صورة الذات)

١ ـ رقم مسلسل :

٢ ـ السن :

٣ ـ محل التنشئة الاجتماعية مدينة ( ) مركز ( ) قرية ( )

٤ ـ الديانة : مسلم ( ) مسيحى ( )

٥ ـ النوع : ذكر ( ) أنثى ( )

٦ ـ المستوى التعليمى : شهادة متوسطة ( ) شهادة عالية ( )

٧ ـ العمل : يعمل ( ) لا يعمل ( ) نوع العمل :

٨ ـ الحالة الزواجية : لم يتزوج ( ) متزوج ( ) أرمل ( ) مطلق ( )

٩ ـ الأبناء : العدد ( ) النوع : ذكر ( ) أنثى ( )

١٠ـ محل الاقامة : مدينة ( ) مركز ( ) قرية ( )

١١ـ صورة الذات : المطلوب الاجابة عن سؤال من أنا فى عشرين اجابة ٠٠ والرجاء عند الاجابة أن يكون السؤال موجها من المسئول الى ذاته ، وأن تكون الاجابات بالتسلسل من رقم ١ الى رقم ٢٠ ٠

الاجابـــات

١ ـ	١١ ـ
٢ ـ	١٢ ـ
٣ ـ	١٣ ـ
٤ ـ	١٤ ـ
٥ ـ	١٥ ـ
٦ ـ	١٦ ـ
٧ ـ	١٧ ـ
٨ ـ	١٨ ـ
٩ ـ	١٩ ـ
١٠ ـ	٢٠ ـ

الفصل الرابع

من انماط سلوك المرأة المصرية المعاصرة

١ ـ من التعبيرات الشعبية النابية عند النساء المصريات المعاصرات ..

٢ ـ من التعبيرات الشعبية الحانية عند النساء المصريات المعاصرات ..

٣ ـ من جـــرائم الأنثى المصريــــــة المعـــــاصرة ..

١ ـ من التعبيرات الشعبية النابية عند النساء المصريات المعاصرات

لعل القارىء أن يذكر « شمة » بنت ... التى أرسلت احدى الرسائل الى ضريح الامام الشافعى(١) ، تشكو فيها اليــه من كان السبب فى طلاق زوجها اياها وأخذه منها وحرمانها منه .. ولعله أن يذكر أيضـا الدعوات ضد حمدة ان أخذت محمد أبو ... (مطلق شمة) « بأن لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها ، لأنها السبب فى فصــلى عن زوجى » ، وفى غضب شديد يشع منه الشعور بالعـــداوة المريرة نجدها تقول فى رسالتها المشار اليها للامام الشــافعى « ياسيدى الامام الشــافعى كل من قطعتنى من زوجى اقطعها من ولدها واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها » .. والملاحظ هنا ان « القطع » يعنى الفصل وقد يعنى الحرمان .. ونجد أن « قطيعة » على ألسنة بعض النساء فى مجتمعنـــا .. فعندما تخطىء المرأة المصرية قد تقول صائحة « يوه قطيعة ! أو « يوه قطيعة داهية تقطعنى » ، والمعنى هنا واضح ، وهو أقرب الى اســتحقاق الحرمان نتيجة للخطأ .. وهناك من تقول « الله يقطعها » ، أو « الله يقطعه » .. وقد يعنى « القطع » أو « القطيعة » المعنى الحرفى للكلمة . قد نجد من تقول فى غضب « الهى تقطعه الترماى (أى الترام) حتت حتت » وذلك بمعنى « أن تفرمه الترام » .. وكلمة « افرم » هذه واردة فى قاموس الكثير من المصريين المعاصرين على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ، نساء كن أو كانوا رجالا ..

ولا جدال فى أن ما كتبته شمة بنت ... هـــو من قبيل التعبــيرات الشعبية المصرية المعاصرة .. أى هو من قبيل الكلام الذى يعبر به الانسان المصرى عندما يحاول أن يكشف عن مشاعره الانسانية ، وهو يواجه المواقف الاجتماعية المختلفة . والملاحظ أن هذه المشاعر الانسانية عند الانســـــان المصرى المعاصر ، مثل ما عند غيره من الناس ، عديدة ومتباينة .. وأن هذه المواقف لا يمكن حصرها . لأن مجالاتها هى مجالات العلاقات الانسانية فى المجتمع المصرى المعاصر كلها .. وقد تكون المشاعر الانســانية التى يكشف عنها الانسان المصرى المعاصر وهو يواجه أحد المواقف مشاعر رحيمة فيعبر عنها بكلام بليغ رقيق الحاشية .. وقد تكون مشاعر الانسان المصرى المعاصر فى بعض الأحيان مشاعر غير رحيمة ، ومن ثم تكون تعبيراته قاســـية ينبو عنها الذوق السليم .. ومن هذه التعبيرات القاسية ما فعلته السيدة شمة

بنت ٠٠٠ وهى تدعو ضد حمدة بنت ٠٠٠ ، ان أخذت مطلقها وتزوجته ، فى رسالتها الى ضريح الامام الشافعى • ومع ذلك فان هذه الدعوات النابية قد لا تتأثر بها السيدة (أى حمدة مثلا) التى تعمل فى خفاء او فى علانية على « خطف » الزوج • فنراها تهز الكتفين غير مهتمه وهى تقول « خدى بختك من حجر أختك » ! ومهما يكن من الامر فان التعبيرات القاسية والنابيه تدل ان دلت على شىء ، فى معظم الاحيان ، على الغل والحقد والمرارة •• ويبدو أن النساء المصريات تحت ضغط الظروف القاهرة التى يعشن فى ظلها يجدن فى التعبيرات القاسية النابية **نافذة اجتماعية ثقافية** ينفسن بها عن الشعور بالعداوة الذى بسبب هذه الظروف القاسيه يملأ بالضرورة صدورهن •

والدعوات عند نسائنا المصريات المعاصرات وحتى عنـــد بعض الرجال المصريين المعاصرين قد تكون دعوات « خراب البيوت » • ومن اهم ما يودى بعمار البيوت وانهيارها فى ظل المناخ الاجتماعى الثقافى المصرى هو الحرمان من « لقمه العيش » أو هو « قطع العيش » •• وأرجـــو أن يكون القارئ متذكرا رسالة السيدة التى قدمت شكواها فى رسالتها الى الامام الشافعى ضد رجل ذكرت اسمه لانه كان السبب فى حرمانهـــا من معونة الضمان الاجتمـــاعى التى كانت تحصل عليهـــا ، واعتبرت ذلك قطعـــا لعيشها « ٠٠٠ شكتلك محمد بن ٠٠٠ بربى فى يتامى وكنت مكتوبة فى الضمان ، وشكى فى **وقطع عيشى** يا امام ياشافعى »(١) •• فلعل هـــذه المعونـــة أن تكون مصدرا هاما لقوتها ٠٠٠ والملاحظ فى مجتمعنا المصرى المعـــاصر أن حرمان الشخص من عمله ، مثلا ، أو مصدر قوته ، أى من لقمة العيش ، يعنى فى معظم الاحيان خراب بيته ، واحساسه بالضياع « ياواخد قوتى ياناوى على موتى » • وخراب البيوت بهذا المعنى ، والاحساس بالضياع ، قد يكونان من العوامل التى تدفع الشخص منا الى أن يعمل أعمالا غـــير سوية ، قد يكون منها ارتكاب أنماط معينة من الجرائم أو من قبيل الجرائم •• ولكن فى حالة السيدة المشار اليها لقلة حيلتها وضعفها لم يسعها أن ترتكب جريمة ما او أن تسلك سلوكا يعتبر من قبيل الجريمة • انها امرأة مصرية مستضعفه تقول عن نفسها أشياء تؤكد معانى المسكنة والمذلة والفقر ، فلم يسعها الا أن تدعو ضد من حرمها وظلمها وتطلب من الامام الشافعى قائلة « بذنب محنا غلابة ويتامى ومقطوعين يا امام ياشافعى •• تبين لنا فيه(٣) » • انها لم تذكر شيئا عن نوع القصاص الذى تطلبه من الامام ، وانما تركت الأمر كله وهى مستسلمة اليه •• ومع ذلك فان القارىء يلاحظ أن «نزهة» وهى سيدة ثالثة قد أرسلت رسالة الى ضريح الامام الشافعى تقول عن نفسها أنها « حرمة فقيرة الحال ومسكينة وغلبانة » وتطلب من الامام الشافعى أن

« يتفسر » فيمن كسر بيتها وفتحه عنوة وسرق منهـــا البهايم والبرسيم ، تقول ذلك وهي مستسلمة مستضعفة وكأنها تهتف « تتفسر فيه وشاركه في عمره وتخبله بأى داء في جميع جسمه ، أو يلقوه مقتول مرمى ! »(٤) ٠٠ والملاحظ في ضوء احدى الدراسات الواقعية التي قمت بها أننا نجد العديد من التعبيرات القاسية النابية التي تطلب « شلل المدعو ضده وعجزه ، وعدم قيامه من الأرض » ، أو التي تطلب « الدمار والخراب والموت والهلاك » ، أو التي تطلب باسم من أسماء الله الحسنى « الانتقام من جسد المدعو ضده ومن أولاده ، ومن ماله حتى لا يكون له ولا أولاده ولا منزله على الأرض منهم شيئا » ٠ والدعوات من هذا القبيل عديدة جدا ، نجد منها الدعوات السابقة في الأمثلة السابقة ، كما نجد منها الدعوات التي تطلب فضلا عن « الحبل » **الجنون والعمى والكساح والبلاء ٠٠**

ولعل القارىء أن يلاحظ ما تضمنته « الورقة البردية السحرية » من العصر المسيحي في القرن الرابع أو القرن الخامس السابق ذكرها في هـذه الدراسة(٥) من طلب العون والمساعدة للانتقام من شخص معين ذكر اسمه ، وذلك باصابته بمرض خطير « الجذام » قبل أن يموت وينزل في قبره ٠٠ وحتى في العصر المصرى القديم من الماضي السحيق ، كان المرض ، مرض الأحياء ، يحتاج الى المساعدة والكفاح والسهر من الأعزاء وبخاصة الموتى منهم ٠٠ واذا حدث وأصاب الانسان الحي مرض فهو دليل انتقام جاءه من روح من أرواح الموتى التي تكون قد اتخذت موقفا ليس وديا ، ان لم يكن عدائيا ، من الشخص المريض ٠٠

والملاحظ أن نمط التعبيرات السابقة ليس قاصرا على النساء المصريات المعاصرات ٠٠ فالملاحظ أن الدعوات ضد أشخاص آخرين من هذا القبيـــل يتبادلها الكثير من الناس في مجتمعنا ، وخصوصا في بعض المجتمعات المحلية، في محيط الطبقات الشعبية في المدينة وفي القرية ٠٠ وهؤلاء قد يكونون من النساء ومن الرجال ٠ وذلك لأنهم جميعا من المستضعفين المطحونين ٠٠ ومع ذلك فالملاحظ أنه اذا كان بعض الرجال المصريين من المستضعفين ، فان نساءهم في ضوء الواقع الحي ، كما يعلم القارىء ، أكثر استضعافا ٠٠

ومن التعبيرات الشعبية عدا الدعوات ضد المشكو في حقهم السابقـة مثل طلب الحرمان من الذرية أو خراب البيوت أو المرض بأنواعه حتى الموت بالقتل وغيرها ، نجد الشتائم بأنواعها وقد تكون هذه الشتائم بين سـيدة وأخرى أو بين رجل وسيدة أو بين شابة وشاب ٠٠ ونجد أن هذه الشتائم تتناول اذا كانت تتبادلها سيدة مع أخرى ، **الفاظا جنسية مكشوفة ، أو**

علاقات اخلاقية غير مشروعة . أو تتناول أعضاء معينة من الجسم ، أو عادات غير مستحبة ، كالقذارة مثلا ، أو مثل تعبير « يا دون » أو « يا دون الدون » ، أو تعبير « يا واطية » ، أو تعبير « يا دون الدون يا أوحش ما يكون !! » ٠٠ واذا كانت الشتائم يتبادلها الرجال مع النساء ، فنجد أنها قد تتناول في معظم الأحيان نفس التعبيرات السابقة موجهة من رجل الى أنثى أو من أنثى الى رجل ٠٠ وقد يضاف الى ذلك أدعاء المرأة أن الرجل الذى تشتمه هــو « امرأة » ، وادعاء الرجل أن المرأة التى يشتمها ليست أنثى وانما هى « زى الراجل ! » ، والملاحظ أن طراز الشتم الأول أقذع وأكثر مرارة ، مما يدل على ما وصلت اليه المكانة الاجتماعية للمرأة العادية من انخفاض وضعة ٠٠ واطلاق لفظ « الواد أو الولد » أو لفظ « العيل » على الرجل ، أو اطلاق لفظ « البت أو البنت » أو لفظ « العيلة » على المرأة قد يقصد بها الشتم ، وقد لا يقصد بها الشتم ٠٠ وهى لا تعنى شتما اذا قيلت بأسلوب عاطفى معين أو اذا وصفت وصفا رقيقا ، فيقال للرجل مثلا « يا واد يا عترة ! » أو يقال عنه « عيل ولكن مجدع ! » أو يقال للمرأة مثلا « يا بت يا عترة ! » ، أو يقال عنها « عيلة لكن جدعة » ٠٠ ومعظم الشتائم التى يتبادلها الشبان والشابات تتناول العلاقات الأخلاقية غير المشروعة ، وبعض الألفاظ الجنسية المكشوفة ، كمـا تتناول أعضاء معينة فى جسم الشاب أو الشابة فضلا عن الشتائم التى توجه الى الأم ٠٠ وقد يرجع ما يتعلق بالأم الى أن الانسان المصرى يقدس مكانة الأم الاجتماعية ٠٠ وعليه تكون هذه المكانة هدفا عندما يسخط ويغضب ، أو عندما يحقد ويشعر بالمرارة ٠٠ والملاحظ أن الشتائم ضد الأم قد تتكرر عندما يتبادل الرجال المصريون أو يتبادل الصبيان المصريون الشتائم بعامة ٠٠ وقد تتناول الشتائم الأخيرة فضلا عن ذلك الكثير مما سبق ٠٠ وقد يضاف الى ذلك بعض الأوصاف غير الأخلاقية وأنواعا شتى من اللعنات أو ما يرمز الى ذلك ٠٠ وتشتم الأم التى ماتت والتى تعيش على السواء ٠٠ **فالملاحـظ أن شتم الأموات عند المصريين بعامة هو شتم لأعزائهم وأحبابهم الذين سبقوهم ٠٠** لهم عليهم حقوق وعليهم لهم واجبات ، وأحاسيسهم نحوهم تكون فى العادة عميقة سواء كانوا أقرباء مقربين أو أقرباء غير مقربين ، أو حتى غرباء ٠٠ فالميت الغريب يذكر المصرى بمن فقده من الأعزاء ٠٠

وهناك شتائم أخرى تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى تتعلق بالمرأة الزوجة ، وبخاصة اذا كانت حبلى ٠٠ فنلاحظ بعض الاشخاص ، ذكورا أو اناثا ، فى مجتمعنا ، اذا رأى أحدهم أو بعضهم امرأة حبلى راق له أن يمزح ، فيقول ما شاء له من ألفاظ نابية ، وهى جنسية فى الغالب ، منها وربما أخفها وطأة على الذوق السليم « يسلم اللى عبا !! » ٠٠ وأنا أذكر عندما رأت

الحكومة المصرية فى الماضى غير القريب أن تمنح موظفيها علاوات عن أطفال أسرهم وبخاصة الأطفال الثلاثة الأول ، كانت المرأة الحبلى اذا سارت فى الشارع المزدحم تتلقى ضمن ما تتلقى من ألفاظ تنم عن السخرية عبارات تتضمن هذا الموقف بالذات ، منها مثلا « اوعى العلاوة ! » ، أى احرصى على الجنين وأنت تسيرين فى هذا الشارع المزدحم حتى يحصل زوجك الموظف على العلاوة !! ٠٠

وكما تشتم « الأم لأنها شخص عزيز عند المصريين الذين يقدسون مكانتها الاجتماعية ، وكما تشتم الزوجة الحبلى ويسخر منها ، فان الشتم يتناول « الدين » ، تتناوله الاناث فى مجتمعنا كما يتناوله الذكور ، وبخاصة فى مناطق معينة من المجتمعات المحلية التى يعيش فيها المطحونون والمطحونات من أعضاء شعبنا ٠٠ ولعل ذلك أن يرجع الى أننا نحن المصريين بعامة ، شعب متدين ، وأن هذا التدين يرجع الى الأزمان السحيقة الماضية ٠٠ أى أن الدين عندنا عزيز ومقدس ، ومن ثم فان مكانته قد تكون هدفا ، من غير حق ، لمن يسخط أو يغضب من بعض المصريين الرجال والاناث ، الكبار والصغار ، على السواء ٠٠

والملاحظ أن الشتائم التى يتبادلها الذكور والاناث المتعلقة بالعلاقات الأخلاقية غير المشروعة وبعض الألفاظ الجنسية المكشوفة مرجعها الى أن الذكر المصرى حريص الحرص كله على أن يعرف عنه أنه رجل فحل ، وأن الأنثى المصرية يتوقع منها أن تكون طاهرة وعفيفة ٠ أى أن قيمة الرجولة عند الذكر المصرى وقيمة العرض الطاهر عند الأنثى المصرية لا تزالان قيمتين يقدسهما المجتمع المصرى المعاصر ٠ فالويل كل الويل للشاذ جنسيا من ذكور هذا المجتمع ، والمصيبة كل المصيبة للأنثى التى يشتهر عنها فيه ما هو غير طاهر أو غير عفيف ٠٠

واذا كانت هناك شتائم لا تزال تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى تتعلق بالأم وبالدين وبالأموات وبالمرأة الزوجة أو بالعلاقات الأخلاقية غير المشروعة وبعض الألفاظ الجنسية المكشوفة ، فاننا نلاحظ وجود بعض الشتائم التى تعيش فى هذا المناخ وتتعلق باللون ٠ فألوان « الطين » و « السواد » و « الهباب » و « النيله » و « اللون الأصفر » مثلا متداولة فى الشتائم ٠٠ ففلانة نهارها « زى الطين » و « وفلانة صباحها سواد وحبر » أو « زى الهباب » و « المنيلة على عينها » و « المنيلة بنيلة » و « البنت الصفرا » ، والعبارة المشهورة التى تتداولها الفتيات « صفرؤ كلى دقة بالوقة بوسى رجلى وأنا أصالحك » والمرأة الخبيثة التى تكتم خبثها ويعظم انتقامها يقال عنها « ان

نابها أزرق » . أما التى تأكل كثيرا ويبدو وكأنها لا تأكل فيقال لها ان « مصرانها أزرق » . وعلى شاكلة هذه العبارات نجد من تقول لأخرى « اهرى يا قوطة وأنا مبسوطة ! » ، أو من تقول « اهرى يا مهرى وأنا على مهلى ! » ... الخ . ولعل القارىء أن يعرف أن مادة هذه الألوان أو بعضها يستخدمها النساء المصريات كأساليب الحداد عند وفاة الأعزاء لديهن .. انها أساليب قديمة قدم الدهر ومستمرة حتى الآن وصورها ما زالت أمثالها حية فى ريف بلادنا بعامة ، وفى ريف الصعيد بخاصة .. وقد لاحظ « هردوت » ما تفعله النساء فى هذه المناسبات عندما زار مصر فى خلال القرن الخامس قبـــل الميلاد .. فالنساء عندما يموت أحد من بيتهم ، كن يلطخن الرأس أو الوجه بالطين .. وقد تستعمل « النيلة » لنفس الغرض(٦) ..

ومن الشتائم ما نجده يتعلق بالمرض والهم والزرايا والسم وما عـلى شاكلتها . ففلانة مريضة بـ « السودة » أو هى مثل « الهم على القلب » أو هى « امرأة تهمة » ، أو « رزية » أو « دمها زى السم » .. وقد تتضمن الشتائم فى بعض الأحيان صفات من صفات بعض الحيوانات كالحمارة والجحشة والكلبة وأنثى السبع والثعبانة مثلا .. والمرأة الثعبانة كما يعلم القارىء ، هى التى توصف بأنها « مية من تحت تبن » أو امرأة « سهتانة » أى هى التى تبدى غير ما تبطن .

والأمثلة السابقة قليل من كثير .. ونحن نرى فى ضوئها ما يؤيد ، كما سبق أن أوضحنا ، وجود مشاعر الغل والحقد والمرارة فى نفوس من يتبادلون التعبيرات النابية اذا ما واجهوا مواقف اجتماعية معينة . ومهما يكن من الأمر فاننا نؤكد أن مجتمعنا المصرى المعاصر كأحد المجتمعات الانسانية لا يمكن أن يكون فريدا فى نوعه . فهو مثل هذه المجتمعات ، فيه التعبيرات الشعبية النابية ، وفيه أيضا التعبيرات الشعبية الحانية .. والمرأة المصرية بعامة فى ظل المناخ الاجتماعى الثقافى ، فى ضوء ظروف معينة ، تشع نفسها أحيانا بالشعور بالعداوة ، فتعبر عن ذلك بالتعبيرات الشعبية النابية .. وهى فى ضوء الصفات الانسانية الطيبة التى تأصلت فيها منذ القدم ، فى ضوء ظروف أخرى ، تتلألأ نفسها بالشعور بالمحبة ، فتعبر عن ذلك بالتعبيرات الشعبية الحانية(٧) ..

« المراجع والتعليقات »

١ ـ الفصل الثانى من الكتاب : (أنظر الوثيقة رقم ٩) ٠

٢ ـ الفصل الثانى من الكتاب : (أنظر الوثيقة رقم ١٣)

٣ ـ المرجع السابق ٠

٤ ـ الفصل الثانى من الكتاب : (أنظر الوثيقة رقم ٨) ٠

٥ ـ الفصل الثانى من الكتاب : (أنظر الوثيقة رقم ١) ٠

٦ ـ محمد صقر خفاجة : هردوت يتحدث عن مصر ، مراجعة أحمد بدوى ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٩٢ ٠٠

٧ ـ سيد عويس : من التعبيرا تالشعبية المصرية المعـاصرة ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد الحادى عشر ، العدد الثالث ، سبتمبر ١٩٧٤ ، صفحات ٣٦٩ ـ ٣٧٣ ٠

٢ ــ من التعبيرات الشعبية الحانية عند النساء المصريات المعاصرات

والمقصود بالتعبيرات الشعبية الحانية فى الدراسة الحالية ، بعض الكلام الذى تعبر به المرأة المصرية عندما تحاول أن تكشف عن مشاعرها الانسانية الرحيمة بأسلوب بليغ ليس فيه تعقيد ، أو عندما ترجو الخير للآخرين وبخاصة أعضاء أسرتها من الأبناء والبنات والأزواج والزوجات ٠٠ والملاحظ أن مجتمعنا المصرى الأصيل يفيض بهذه التعبيرات فى كل المناسبات التى تخلقها العلاقات الانسانية بين الكبير والصغير وبين الذكر والأنثى ، حيث تبرز قيم الرحمة والتعاون والمجاملة فى ظل الحب والصفاء والأمل ٠٠

والملاحظ أن مجالات العلاقا تالانسانية فى المجتمع المصرى المعاصر مجالات عديدة ٠٠ ولا يمكن أن أحصر عددها فى هذه الدراسة ٠٠ فهـــذه العلاقات موجودة حتما فى البيع وفى الشراء ، فى ساحات القضاء ، وفى مواقع العمل بأنماطها ، وفى معارك الانتخابات بنارها ونورها ٠٠ وفى الأفـــراح والأتراح ، وفى الهزيمة وفى الانتصار ، وفى النجاح وفى الفشل ٠٠ وتكون هذه العلاقات موجودة فى الحب وفى العداوة وفى عمل الخير سواء كان ذلك فى محيط الأسرة أو فى خارج الأسرة ٠ أى أن العلاقات الانسانية بين الناس تتضمن فى الواقع كل علاقات الناس بعضهم مع بعض منذ أن يدخلوا فى هذه العلاقات حتى تنقطع لسبب أو لآخر ٠٠

ومن أهم المناسبات التى تتدفق فيها « التعبيرات الحانية » فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، **تلك المناسبات التى تخلقها العلاقات الانســانية بين الأم المصرية وابنها ، وبين الأم المصرية وابنتها ، وبين الزوجة المصرية وزوجها ٠٠** ومعظم ما يقال فى هذه المناسبات دعوات ٠٠ فنحن شعب ندعو كثيرا ٠٠ ندعو الله وندعو الناس لكى يدعوا لنا الله ٠ ندعو للأحياء ، كما ندعو للأموات على السواء ٠ ونحن ندعو فى كل الأوقات ، فى ساعات النهار أو ساعات الليل ٠ ندعو حين نفرح وعندما نغنى ، وندعو حين نحزن ، وندعو عندما ننفرد بأنفسنا ، كما ندعو عندما نكون مع الآخرين ٠٠ ومع ذلك فللدعاء فى تراثنا الثقافى أوقات مستحبة ، منها وأهمها ونحن فى صلاة ٠٠ والملاحظ أن الدعوات لا تكون بالضرورة دعوات خاصة فحسب ٠٠ فهى أيضا دعوات عامة **تهدف الى نصرة الدين وانتصار الوطن والى الرخاء وصفاء الأحوال والولايــة الصالحة ٠٠**

والأم تدعو لابنها باليسر « الله يسهلك » و « يجعل العسر يسر معاك يا ابنى » ٠٠ كما تدعو لابنها بأن يبعد عنه الشر أيا كان مصدره « ربنا يكفيك

شر طريقك » و « يكفيك شر الحاكم الظالم » و « يكفيك شر الحرام ويغنيك بالحلال » • وتدعو الام لأبنها بالرزق الكثير والخير العميم « ربنا يفتحلك جميع الابواب المغلقه بالرزق » و « روح ربنا يرزقك بالست المطيعة والدار الوسيعة والدابة السريعة » و « ربنا يجعل الشوية فى ايدك كتير » و « ربنا يجعلك تطعم الغلابة وتكسى المساكين » و « يارب يجعلك من السعدا ويبعد عنك الفقر وأولاد الحرام » و « يارب يعطيك العمر الطويل والنجاح الكبير » •• وانظر الى الام المصرية وهى تدعو لابنها برضا الله ورضا الناس ورضاها ، « يحبب فيك الرب والحصى فى الارض » و « يحبب فيك خلقه » و « ربنا يحنن عليك القلوب العاصية » و « راضى عليك قلبى وبزى وحجرى »(*) • وكما تدعو الام لابنها بالزوجة المطيعة ، فهى تدعو له بأن تكون عصبيته من أبنائه : « ربنا يجعل عزوتك من ضهرك » • ومع كل هذه الالوان من الدعاء ، نجد الأم المصرية تدعو لابنها بالسيادة « روح ربنا يجعل ايدك فوق ايد الناس ولا يجعل أعلى من ايدك » ، وبالظفر « يا رب ترجع لنا ظافر » و « ربنا يجعل جميع العقد حلها على ايدك » وبالسلامة « ربنا يجعل لك فى كل خطوة سلامة » •• والام المصرية تجوع ليأكل ولدها ولسان حالها يقول « اللى يدى ابنى بلحة تنزل حلاوتها فى بطنى » ••

والأم المصرية المعاصرة تعبر لابنتها من التعبيرات الحانية ما لا يمكن حصره •• وتتضمن هذه التعبيرات فى معظم الاحيان الدعوات •• ويدور معظم هذه الدعوات حول موضوعات العرض والزواج وراحة البال • « ربنا يريح قلبك ويبيض عرضك » و « يقعدك قاعدة الصبايا العالية » « روحى الله يريح قلبك » و « يرزقك بابن الحلال » و « يرزقك بعريس هنى وغنى ويكون ماشى فى طاعتك » و « يحبب فيكى جوزك » و « يهدى سرك » ••

ومن الدعوات التى تدعوها الأم لابنتها ، ما يدور حول الأطفال « ربنا يعطيك الخلف الصالح » و « يرزقك بصبيانك مثل بناتك » و « يرزقك برزق عيالك » و « يهدى لك العاصى » و « ربنا يخليلك ابنك ويخاويه » •• وفضلا عن هذه الدعوات ، نجد الأم تدعو لابنتها برضا الناس بعامة ورضا الطيبين منهم بخاصة « الله يحبب فيكى خلقه » و « يحبب فيك أولاد الحلال » و «يبعد عنك أولاد الحرام » • كما تدعو الأم لابنتها بطول العمر « ربنا يطول فى عمرك » ، وبالغنى عن الناس « يجعل ليكى ما عليكى » ، و « لا يعوزك لأبوك ولا لاخوكى ولا لاى مخلوق على وجه الارض » ••

(*) انظر « ••• تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم » (تك ٤٩ : ٢٥) •



والتعبيرات الحانية التى تعبر بها الزوجة المصرية المعاصرة لزوجها كثيرة جدا ٠ وهى فى معظمها تدل على الحرص عليه والاهتمام به على الرغم من كل شىء ٠ «ظل راجل ولا ظل حائط ! » وأنظر الى الزوجة المصرية وهى تؤكد هذا الحرص « روح الله يخليك لينا ولا يحرمنا منك » و « لا يحرمنا من دخلتك علينا » و « ربنا يحبب فيك جميع رؤساك » و « ربنا يجعلك من الرابحين » و « يجعل قنديلك منقاد » و « ربنا يطرح فيك البركة » و « ربنا يسعدك فى الدنيا والآخرة » ٠٠ وتهتم الزوجة المصرية بالدعاء لزوجها بحمايته من الظالم وأولاد الحرام « ربنا يحميك من شر الظالم » و « ربنا يبعد عنك أولاد الحرام » وباليسر « ربنا يسهل لك الطريق » ، والوقاية من النسيان أو عدم الفطنة « ربنا يكفيك شر الغفلة » ٠٠

والتعبيرات الشعبية الحانية التى تكشف عن المشاعر الرحيمة للمرأة المصرية كأم أو كزوجة سواء كانت دعوات أو غير دعوات كثيرة جدا لا يمكن لهذه الدراسة وحدها أن تستوعبها ٠٠ وهى تدل على أصالة النساء المصريات المعاصرات وسعة صدورهن ورقة حاشيتهن ، فضلا عن نضجهن الاجتماعى الذى لا يدانى ٠٠ **ولا غرو فان نساءنا المصريات هن حاملات التراث الثقافى الشعبى المصرى وحافظاته** ، وعندما يملأ قلوبهن الحب ويعاملن بالاحترام الواجب ، تجدهن وبخاصة الامهات ، على الرغم من المعاناة الظاهرة والباطنة ، صفحة بيضاء لا يشوبها قذى(١) ٠٠

« المراجع والتعليقات »

١ - سيد عويس : من التعبيرات الشعبية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد الحادى عشر ، العـــدد الثالث ، سبتمبر ١٩٧٤ ، صفحات ٣٦٦ - ٣٩٩ ٠٠

٣ - من جرائم الأنثى المصرية المعاصرة

- ١ -

وفى الدراسات العديدة التى قمت باجرائها نجد أن الأنثى المصرية سواء كانت حدثا أو شابة أو امرأة رشيدة فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعيــة والاقتصادية التى تحيا فى ظلها لا تكتفى باطلاق عقيرتها ، اذا ما واجهت مواقف اجتماعية معينة ، بالتعبيرات الشعبية النابية على اختلافها ، ولكنها أى الأنثى المصرية قد تتعدى ذلك فترتكب الجريمة ٠٠ والملاحظ أن الجريمة ، كما يعلم القارىء ، هى ظاهرة اجتماعية ٠٠ أى أنها توجد بالضرورة فى المجتمعات الانسانية ٠ أى توجد فى محيط البشر سواء كانوا ذكورا أو اناثا، حيثما وجد هؤلاء فى المدينة أو فى القرية أو كانوا يحيون حياة البداوة ٠٠ والملاحظ أيضا أن الجريمة تتضمن نمطا معينا أو انماطا معينة من السلوك من طبيعتها أن تكون بشرية ٠٠ وهى قانونا أنماط من السلوك يجرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة ، وذلك بعد المحاكمة وثبـــوت الادانة ٠٠ ويفترض عادة أن كل مخالفة لهذا القانون **تكون ضارة بالمجتمع ،** وعليه يجب أن تمنع أو على الأقل يجب أن تقيد ٠٠

ومع ذلك فالملاحظ أن الجريمة ، كمخالفة لقانون العقوبات ، هى مجرد مخالفة لنوع معين من القوانين السلوكية السائدة فى المجتمع ، أى مجتمع ٠٠ وعلى هذا فالمجرمون ذكورا كانوا أو اناثا ، هم فئة من الأشخاص **لا يختلفون عن غيرهم من الاشخاص الذين يخالفون القوانين الســـلوكية الأخرى ٠٠** انهم ليسوا قط فئة فريدة فى نوعها ٠٠ ومن الناحية الأخرى ، نجد أن القوانين بعامة ، وقانون العقوبات أحدها ، تتغير من وقت لآخر ٠٠ ونجد أن ما يصطلح عليه بأنه ضارا اجتماعيا يختلف من مجتمع لآخر كذلك ٠ لأن المجتمعات تختلف فى أجهزتها وثقافاتها بعضها عن البعض ٠٠ وكذلك بمرور الزمن نجد أنه فى المجتمع الواحد تتغير القيم الاجتماعية والاخلاقية والآراء والمبادىء ووجهات النظر السائدة فيه ، ذلك لأن تطور الأساليب الانتاجية فى مجتمع من المجتمعات ، واتساع رقعة الحضر فيه ، والتغيرات الكبرى فى المسائل المالية والاقتصادية وفى الصناعة ، وفى طريق المواصلات والقوى الآلية وغير ذلك - من الظواهر التى تؤدى الى تعريفات جديدة لانماط جديدة من الجريمة

أو تؤدى الى اعادة تعريف انماط الجريمة القديمة • والملاحظ أن كل هذا لا يحدث ميكانيكيا ، بل يحدث حتما فى ضوء اعادة التربية لأعضاء المجتمع ••

— ٢ —

وإذا كانت الانثى فى مجتمعنا المصرى المعاصر ترتكب الجرائم ، فاننا نجد فى محيط الأعضاء البالغين فى هذا المجتمع أن نسبه النساء المجرمات أقل بكثير من نسبة الرجال المجرمين • اننا نجد مثلا أن عدد النساء اللاتى اتهمن فى جنايات فى خلال الاعوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ كان ٢٦١ امرأة بنسبة نحو ٩ر٣٪ و ١٣٥ امرأة بنسبة نحو ٤ر٢٪ و ١٦٣ امرأة بنسبة نحو ٤ر٢٪ و ١٨٥ امرأة بنسبة نحو ٩ر٢٪ و ١٢٨ امرأة بنسبة نحو ٤ر٢٪ و ١٦٣ امرأة بنسبة نحو ٣٪ و ١٣١ امرأة بنسبة نحو ٣ر٢٪ و ١١٣ امرأة بنسبة نحو ١ر٢٪ و ١١١ امرأة بنسبة نحو ٢ر٢٪ **و ١١٩ امرأة بنسبة نحو ٥ر٢٪ على التوالى** • وان عدد الرجال الذين اتهموا فى جنايات فى خلال نفس الأعوام كان ٦٤٤٠ رجلا بنسبة نحو ١ر٩٦٪ و ٥٦٣١ رجلا بنسبة نحو ٦ر٩٧٪ و ٦٥٩٧ رجلا بنسبة نحو ٦ر٩٧٪ و ٦٢٢٩ رجلا بنسبة نحو ١ر٩٧٪ و ٥٣٠٦ من الرجال بنسبة نحو ٦ر٩٧٪ و ٥٢١٦ رجلا بنسبة نحو ٩٧٪ و ٥٤٩٢ رجلا بنسبة نحو ٧ر٩٧٪ و ٥١٤٣ رجلا بنسبة نحو ٩ر٩٧٪ و ٤٨٧٩ رجلا بنسبة نحو ٨ر٩٧٪ و ٤٦٥٢ رجلا بنسبة نحو ٩٧٪ على التوالى(١) •

وفى ضوء الدراسات والبحوث التى أشرفت على اجرائها فى محيط الاحداث والشباب وبعض النساء الذين وجدوا فى حالات التشرد أو ارتكبوا جرائم فى خلال المدة من عام ١٩٥٦ حتى الآن ، نجد أن مجموع الأحداث المتشردين فى خلال عام ينتهى فى أول يناير عام ١٩٦٢ فى مدينة القاهرة ٣٩٨٠ حدثا ، منهم ٣٨١٢ حدثا من الذكور بنسبة نحو ٩٦٪ و ١٦٨ حدثا من الاناث بنسبة نحو ٤٪ فقط •• وقد تبين أن رجال الشرطة فى خلال نفس هذا العام قد قبضوا على الأحداث المتشردين الذكور مرات أكثر من مرات القبض على الأحداث المتشردات الاناث •• فالغالبية العظمى من المتهمات بالتشرد بنسبة نحو ٣ر٨٦٪ قد قبض عليهن مرة واحدة •• وقد قبض على نحو ٧ر١٣٪ منهن ، أى الباقى من مرتين الى خمس مرات •• بينما نجد أن نسبة الأحداث الذكور الذين قبض عليهم مرة واحدة نحو ٨ر٤٦٪ فقط ، ونسبة الذين قبض عليهم من مرتين الى خمس مرات نحو ٤ر٣٣٪ ، ونسبة

الذين قبض عليهم من **ست مرات الى ست وأربعين** مرة نحو ٨ر١٩٪(٢) ..

وفى محيط الشباب الجانح (من سن ١٥ - ٢٥ عاما) اتضح أن الغالبية العظمى من هذه الفئة كانت من الذكور ، اذ كان عدد من أودع منهم فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى أكتوبر ١٩٦٣ ، ١٤١٠٧ من الشبان الجانحين أى بنسبة نحو ١ر٩٤٪ ، وكان عدد الشابات الجانحات فى خلال نفس المدة **٨٨٤ شابة جانحة** أى بنسبة نحو ٩ر٥٪ فقط .. وبلغ عدد الشبان الجانحين الذكور الذين أودعوا فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى أكتوبر ١٩٦٤ ، ١٠٦٩٢ شابا جانحا أى بنسبة نحو ٢ر٩٤٪ ، وكان عدد الشابات الجانحات فى خلال نفس المدة **٦٦٢ شابة جانحة** أى بنسبة نحو ٨ر٥٪(٣) .

وقد بلغ عدد الأشخاص النشالين المحترفين فى مدينة القاهرة منذ عام ١٩٢٣ حتى اخر ديسمبر ١٩٦٤ ، ٣٢٥٥ شخصا .. **منهم ٢٣٨ نشالة** أى بنسبة نحو ٣ر٧٪ فقط ، والباقى وقدره ٣٠١٧ شخصا كان كله من النشالين الذكور بنسبة نحو ٧ر٩٢٪(٤) ..

- ٣ -

والمرأة البالغة والشابة والأنثى من الأحداث فى المجتمع المصرى ، مثل المرأة البالغة والشابة والأنثى من الأحداث فى المجتمعات الأخرى ، يرتكبن الجرائم على اختلاف أنماطها .. فهن يرتكبن الجرائم ضد الاشخاص أو ضد الاموال أو ضد أمن الدولة أو ضد الآداب أو جرائم التشرد .. مع ملاحظة أن حجم جرائم الاناث حسب كل نمط يختلف من مجتمع لآخر .. وأن عوامل زيادة حجم جرائم الاناث أو نقصانه تختلف من مجتمع لآخر كذلك .. وأن هناك جرائم معينة لا تستطيع المرأة فى ضوء التعاريف القانونية أن ترتكبها ، ومنها فى ضوء التعريف القانونى المصرى جريمة الاغتصاب مثلا ..

وقد تبين فى خلال الأعوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ان عدد النساء اللاتى اتهمن فى جرائم القتل كان ٥٩ امرأة ، ٣٣ امرأة و ٣٦ امرأة و ٦٠ امرأة و ٣٨ امرأة و ٥٤ امرأة و ٣٨ امرأة و ٣٢ امرأة و ٣٥ امرأة و **٤٦ امرأة على التوالى** . وكان عدد الرجال الذين اتهموا فى نفس الجرائم فى خلال نفس الأعوام ٢٢٨١ رجلا و ٢٠٤٠ رجلا و ٢٧٠٣ من الرجال و ٢٤١٩ رجلا و ٢٠٥٩ رجلا و ٢١٩٤ رجلا و ٢٠٢٦ رجلا و ٢٤٠١ من الرجال و ٢٣٠٢ من الرجال و ٢٣١٣ رجلا على التوالى(٥) .

وإذا كانت ٤٦ امرأة بنسبة نحو ٦ر٣٨٪ من المتهمات في جنايــات (١١٩ امرأة) قد اتهمن في جناية القتل العمد في عام ١٩٧٥ ، فقد اتهمت ١٤ امرأة بنسبة نحو ٨ر١١٪ في جناية ضرب افضى الى موت ، و ١٢ امرأة بنسبه نحو ٩ر١٠٪ في جناية ضرب أحدث عاهة و ١١ امرأة بنسبة نحــو ٢ر٩٪ في جناية مقاومه سلطات وتجمهر ، وثمانى نساء بنسبة نحو ٧ر٦٪ في جنايه خطف ، وست نساء بنسبة نحو ٥٪ في جناية حريق عمد ، وست نساء بنسبة نحو ٥٪ في جناية تزوير أوراق رسمية وتقليد أختام ، وخمس نساء بنسبة نحو ٤ر٣٪ في جنايه اختلاس ، وأربع نساء بنسبة نحو ٤ر٣٪ في جناية سرقة ، وامرأتان فقط بنسبة نحو ٧ر١٪ في جناية هتك عرض ، وامرأة واحدة بنسبة نحو ٨٤ر٠٪ في جنايه اتلاف مزروعات ، وامرأة واحدة بنسبة نحو ٨٤ر٠٪ في جناية رشوة ، وامرأة واحدة بنسبة نحو ٨٤ر٠٪ في جنايه عود ، وامرأة واحدة بنسبة ٨٤ر٠٪ في جنايات أخرى . ومع ذلك فان من الملاحظ أنه اذا كان عدد النساء اللاتى اتهمن في هذه الجنايات في عام ١٩٧٥ ، **١١٩ امرأة** فان عدد الرجال الذين اتهموا في نفس الجنايات وفي غيرها من الجنايات مثل جنايات تهديد وتسميم ماشية وتزوير أوراق ماليــة (بنكنوت) وتزييف مسكوكات وتعطيل مواصلات سلكية ولاسلكية ، في نفس العام ، ٤٦٥٢ رجلا(٦) .

وفي ضوء تقارير مصلحة السجون عن أعوام ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، تبين أن عدد المحكوم عليهن الموجودات في سجن النساء بالقناطر في يوم ٣١ ديسمبر في كل عام من هذه الاعوام ، ٣٥٦ نزيله ، و ٣٥٥ نزيله ، و ٣٧٣ نزيله ، و ٢٧٣ نزيله على التوالى .. ويلاحظ أن أكثر الجرائم الخمس الاولى التى ارتكبتها النزيلات في يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٧١ ، **دعارة :** ١٣٣ جريمة بنسبة نحو ٤ر٣٧٪ ، **وتسول :** ٨٧ جريمة بنسبة نحو ٤ر٢٤٪ ، **وقتل عمد :** ٤١ جريمة بنسبة نحو ٥ر١١٪ ، **واتجار مخدرات :** ٣٧ جريمة بنسبة نحو ٤ر١٠٪ ، **وتعاطى مخدرات :** ١٧ جريمة بنسبة نحو ٨ر٤٪ .. أما المحكوم عليهن الموجودات في السجن في يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٢ ، فقد كان معظم الجرائم التى ارتكبنها ، **دعارة :** ١٤٠ جريمة بنسبة نحــو ٤ر٣٩٪ ، **وسرقة (جنحة) :** ٤٥ جريمة بنسبة نحو ٧ر١٢٪ ، **وقتل عمد :** ٤٣ جريمة بنسبة نحو ١ر١٢٪ ، **وتسول :** ٤٠ جريمة بنسبة نحو ٣ر١١٪ **واتجار مخدرات :** ٢٨ جريمة بنسبة نحو ٩ر٧٪ .. وقد ارتكبت النزيلات الموجودات في السجن في يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٣ ، **دعارة :** ١٩٢ جريمة بنسبة نحو ٥ر٥١٪ **وقتل عمد :** ٥٢ جريمة بنسبة نحو ٩ر١٣٪ ، **وسرقة**

(**جنحة)** : ٣٥ جريمة بنسبة نحو ٤ر٩٪ ، **وتسول** ٢١ جريمة بنسبة ٦ر٥٪ **واتجار مخدرات** : ١٩ جريمة بنسبة نحو ٥٪ ٠٠ وقد ارتكبت النزيلات الموجودات فى السجن فى يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٤ ، **دعـــارة** : ١٠١ جريمة بنسبة نحو ٣٧٪ ، **وقتل عمد** : ٥٧ جريمة بنسبة نحـــو ٩ر٢٠٪ **وتسول** : ٢٩ جريمة بنسبة نحو ٦ر١٠٪ **وسرقة (جنحة)** : ٢٧ جريمـــة بنسبة نحو ٩ر٩٪ ، **واتجار مخدرات** : ٢٢ جريمة بنسبة نحو ٨٪ ٠٠

وفى دراسة أشرفت عليها فى محيط نزيلات سجن القناطر ، اتضح ان عدد هؤلاء النزيلات فى يوم ٢/١١/١٩٦٢ ، كان ٦٦٩ نزيلة أودعن فى هذا السجن فى جرائم مختلفة ٠٠ وكان عدد هذه الجرائم ٣٤٠ جناية بنسبة نحو ٥١٪ و ٣٢٦ جنحة بنسبة نحو ٤٩٪ ٠٠ وكان أهم أنماط هذه الجرائم ، جرائم المخدرات : ٢٤٩ جريمة بنسبة نحو ٢ر٣٧٪ ، وجرائم ضد الآداب : ٢٢٩ جريمة بنسبة نحو ٢ر٣٤٪ وجرائم السرقة : ٨٠ جريمة بنسبة نحو ١٢٪ ، وجرائم القتل : ٤٨ جريمة بنسبة نحو ٢ر٧ ، وجرائم تسول : ١٦ جريمة بنسبة نحو ٤ر٢٪ ، ومخالفة مراقبة : ثمانى جرائم بنسبة نحو ٢ر١٪، وجرائم خطف : سبع جرائم بنسبة نحو ١٪ ، وجرائم تزوير : سبع جرائم بنسبه نحو ١/ ، وجرائم سياسية : خمس جرائم بنسبة نحو ٨ر٠٪ ، وجرائم ضرب أفضى الى موت : أربع جرائم بنسبة نحو ٦ر٠٪ ، وجرائم أخـــرى (مخالفة تسعيرة ، ورشوة ، وتبديد ، وتشرد ، وغش لبن) : ١٦ جريمة بنسبة نحو ٤ر٢٪(٧) ٠

وفى دراسة أخرى تناولت ٩٣ نزيلة شابة (من سن ١٦ ــ ٢٥ عاما) من نزيلات سجن القناطر فى يوم ٣٠/١١/١٩٦٠ كن مودعات ضمن ٤٢١ نزيلة فى هذا السجن ، اتضح أنه قد حكم عليهن فى جرائم مختلفة ، وكان عدد هذه الجرائم ٥٠ جنحة بنسبة نحو ٨ر٥٣٪ و ٤٣ جناية بنسبة نحـــو ٢ر٤٦٪ ٠٠ وكان أهم أنماط هذه الجرائم جرائم المخدرات : ٢٦ جريمـــة بنسبة نحو ٢٨٪ ، وجرائم الدعـــارة : ٢٠ جريمة بنسبة نحو ٤ر٢١٪ ، وجرائم التحريض : ثماني جرائم بنسبه نحو ٦ر٥٨٪ ، وجرائم القتل : ثمانى جرائم بنسبة نحو ٦ر٥٨ ، وجرائم هروب من المراقبة : ثمانى جرائم بنسبة نحو ٦ر٥٨٪ ، وجرائم سرقة : سبع جرائم بنسبة نحو ٤٩ر٧٪ ، وجرائم سياسية : خمس جرائم بنسبة نحو ٣٥ر٥٪ ، وجرائم تزوير : ثلاث جرائم بنسبة نحو ٢١ر٣٪ ، وجرائم دخول الاراضى دون ترخيص : ثلاث جرائم بنسبة نحو ٢١ر٣٪ وجرائم أخرى (تسول وخطف واخفاء وضرب أدى الى عاهة) : خمس جرائم بنسبة نحو ٣٥ر٥٪(٨) ٠٠

وقد اتضح أن ال ٨٨٤ شابة جانحة (من سن ١٥ ــ ٢٥ عاما) اللاتى أودعن فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى أكتوبر ١٩٦٣ قد ارتكبن جرائم عديدة ٠ منها جرائم ضد الآداب ٢٩٦ جريمة بنسبة نحو ٥ر٣٣٪ ، وتليها جرائم ضد الأموال : ٢٣٩ جريمة بنسبة نحو ١ر٢٧٪ ، وجرائم ضد أمن الدولة : ١٤٥ جريمة بنسبة نحو ٤ر١٦٪ ، وجرائم تشرد : ١٣٩ جريمة بنسبة نحو ٧ر١٥٪ ، وجرائم ضد الأشخاص : ١٧ جريمة بنسبة نحو ٩ر١٪، ثم جرائم أخرى (حبس بدل غرامة ، وبطاقة شخصية ، وتعاطى مخدرات ، واتجار فى مخدرات ، واحراز سلاح ، واشتباه وعود له) ٤٨ جريمة بنسبة نحو ٤ر٥٪ ٠٠

أما ال ٦٦٢ شابة جانحة اللاتى أودعن فى سجون الجمهورية فى خلال عام ينتهى فى أكتوبر ١٩٦٤ ، فقد كانت جرائمهن عديدة كذلك ٠٠ وكانت الجرائم ضد الأموال أكثر الجرائم ، اذ بلغت ٢٢٢ جريمة بنسبة نحو ٥ر٣٣٪ ، وتليها الجرائم ضد الآداب : ٢١٥ جريمة بنسبة نحو ٥ر٣٢٪ ، وجـــرائم التشرد : ١٢٥ جريمة بنسبة نحو ٩ر١٨٪ ، والجرائم ضد أمن الدولة : ٧٢ جريمة بنسبة نحو ٩ر١٠٪ ، والجرائم ضد الأشخاص : عشر جرائم بنسبة نحو ٥ر١٪ ، ثم جرائم أخرى (حبس بدل غرامة ، وتعاطى مخدرات ، واشتباه وعود له) : ١٨ جريمة بنسبة نحو ٧ر٢٪(٩) ٠٠

وقد تبين أن أهم أنماط التشرد فى محيط الأحداث المتشردين فى خلال عام ينتهى فى أول يناير ١٩٦٢ تتركز فى ثلاث مجموعات ، هى :

- جمع أعقاب ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش ٠٠
- تسول وجمع أعقاب ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش ٠٠
- تسول ولا محل للاقامة ولا وسيلة للتعيش ٠٠

ومن حيث المجموعة الأولى نجد أن عدد الأحداث الذين اتهموا بتهمهـا ١٥٨٤ حدثا بنسبة نحو ٨ر٣٩٪ من مجموع الأحداث وعددهم ٣٩٨٠ حدثا ٠٠ ومن ال ١٥٨٤ حدثا ، ١٥٦٢ حدثا كانوا من الذكور بنسبة نحو ٦ر٩٨٪ و ٢٢ حدثا من الاناث بنسبة نحو ١٤٪ ٠٠

أما المجموعة الثانية فقد كان عدد الأحداث الذين اتهموا بتهمها ١٢٤٤ حدثا بنسبة نحو ٣ر٣١٪ من مجموع الأحداث ٠٠ ومن هؤلاء ١٢٣٨ حدثا من الذكور بنسبة نحو ٥ر٩٩٪ وست احداث من الاناث بنسبة نحو ٥ر٠٪ ٠

وكان عدد الأحداث الذين اتهموا بتهم المجموعة الثالثة ٧٠٠ حدث بنسبة نحو ٦ر١٧٪ من مجموع الأحداث ٠٠ ومن هؤلاء ٦٣٥ حدثا كانوا من الذكور بنسبة نحو ٧ر٩٠٪ و ٦٥ حدثا من الاناث بنسبة نحو ٣ر٩٪(١٠) ٠٠

— ٤ —

وفى ضوء البند السابق ، يتضح أن من أكثر الأنماط أهمية بين النساء والشابات والأحداث الاناث ، هى أنماط الجرائم ضد الآداب (دعارة) ، وجرائم المخدرات ، وجرائم السرقة ، وجرائم القتل ، وجرائم التشرد (تسول) ٠٠ والملاحظ أن الجريمة كظاهرة اجتماعيه يتوقف وجودها ، كأية ظاهرة اجتماعية أخرى ، على عوامل متعددة ودينامية ٠٠

وقد تبين فى احدى الدراسات التى أجريت على ١٠٥٥ من البغايا اللاتى ضبطن بواسطة مكتبى حماية الآداب بالقاهرة والجيزة ، فى خلال عام ينتهى فى ١٨ أكتوبر ١٩٥٨ ، أن أعمار أكثر من ثلاثة أرباعهن تقع بين ١٥ و٢٩ عاما ٠٠ وأن أكثر من نصفهن يقع موطن أسرهن خارج القاهرة ٠٠ وتراوحت أعمار غالبية المهاجرات ما بين ١٠ أعوام و١٩ عاما وقت الهجرة الى القاهرة ٠٠ وقد دفعت الحاجة الى العمل أغلبيه المهاجرات الى النزوح الى القاهرة ٠٠ **وتبين أن أكثر من ثلاثة ارباع البغايا أميات ، وأقل من خمسين تعرفن القراءة والكتابة ٠٠ وتبين أن حوالى ثلث البغايا كن متعطلات ٠٠ فضلا عن أن اللاتى كن يعملن لم يكن يتقاضين الا أجرا ضئيلا عن عملهن ، كما تبين أن حوالى نصفهن كن يعملن فى الخدمة المنزلية ، وكان بعضهن مثقلات بأعباء اعالة آخرين** مثل الابناء والأمهات أو الاخوة أو بعض الاقارب٠

وفى ضوء دراسة اكلينيكية تناولت ١٨ بغيا من البغايا السابقات ، اتضح أن البغاء ظاهرة تتداخل فيها العوامل المختلفة ٠٠ **وأن هذه العوامل تتمثل فى ثلاثة أنواع بالذات ٠٠ هى : الشخصية السيكوباتية ، والضعف العقلى ، وسوء التوافق الاجتماعى النفسى** ٠٠ ويعنى المفهوم الأخير « تحلل روابط الأسرة من جهة ، واضطراب عملية التوافق الاجتماعى من جهة أخرى » ، ويأتى هذا التحلل نتيجة لطلاق الوالدين أو وفاتهما أو لهجرة الأسرة من البيئة الريفية الى البيئة الحضرية ٠٠ وينتج اضطراب التوافق الاجتماعى بالذات عن زواج الفتاة فى سن مبكرة زواجا فاشلا لم يتح لها تكوين أسرة مستقرة أو أوقعها تحت سيطرة زوج قواد استغلها فى الدعارة ، أو ينتج عن التوحد بالجماعات الفاسدة أو التمرد على الأسرة فى المراهقة ومحاولة الاستقلال عنها بالخروج الفعلى عليها وعلى ما تمثله من قيم(١١) ٠

وفى ضوء دراسة تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر فى يوم ١٩٦٢/١١/٣ ، المحكوم عليهن بالايداع فى السجن فى جريمـــة تعاطى الحشيش ، اتضح أن **معظمهن قد بدأن التعاطى فى سن مبكرة** فى الغالب وخصوصا فى المرحلة من سن ١٥ ــ ٢٥ عاما وكانت أقلية منهن قد تعاطين المخدر قبل الزواج ٠٠ **وأكثر من ٥٠٪ من المتعاطيات يتعاطين المخدر مـع أعضاء أسرهن مثل الزوج أو الاخ أو الوالدين أو العم أو الخال** ٠ وهن يتعاطين المخدر لاغراض النسيان ، أو لادخال السرور على أنفسهن ، أو للعلاج من **الأمراض ، أو تحقيقا لرغبة الرجل ٠٠ وكانت أغلبية المتعاطيات اميات (نحو ٨٤٪) ولا يعملن (نحو ٦٠٪) ، ومن كن يعملن فان عملهن كان أقرب الى أن يكون من نوع الخدمات** ٠٠ وتبين أن نحو ٩٦٪ منهن قد تزوجن ، ومن هؤلاء بقى فى أثناء الدراسة نحو ٦٢٪ متزوجات ، **ونحو ٢٠٪ مطلقات ، ونحو ١٤٪ قد ترملن** ٠٠ وقد ولد نحو ٨٠٪ منهن خارج محافظة القاهرة ونحو ٥٨٪ يقمن فيها فى الوقت الحاضر(١٢) ٠٠

وفى ضوء دراسة أخرى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر فى يوم ١٩٦٠/١/١٤ اللاتى ارتكبن جريمة السرقة ، اتضح أن اغلبية كبيرة بنسبة نحو ٧٢٪ تتراوح أعمارهن ما بين٢٠ و ٤٠ عاما ٠٠ **واتضح ان الأغلبية الساحقة بنسبة نحو ٩٦٪ من الاميات** ٠٠ وكان نحو ٥٨٪ منهن غير عاملات ، ومن يعملن كن يعملن خادمات أو بائعات ٠٠ وكان نحو ٧٤٪ منهن متزوجات ونحو ١٤٪ مطلقات ٠٠ **وكانت اغلبية الازواج متعطلين ومن يعمل منهم كانوا يعملون عمالا أو بائعين متجولين** ٠٠ وكانت أغلبية هؤلاء النزيلات يحصلن على ايراد شهرى ما بين جنيهين وعشرة جنيهات ٠٠ وكان لنحو ٥٤٪ منهن سوابق ، وقد سرقن فى الغالب نقودا أو مصاغا أو ساعات بنسبة نحو ٦٦٪ ٠٠ وكانت أغلبية المجنى عليهم من الشخصيات الحقيقية بنسبة نحو ٧٠٪ منهم الذكور ومنهم الاناث ٠٠ **ولعل نوع السرقات ونوع المجنى عليهم يدلان على ان أكثر أنماطها هو : فى الاغلب الاعم نمط النشل**(١٣) ٠٠

وقد اتضح فى ضوء دراسة النشالات المحترفات منذ عام ١٩٢٣ حتى آخر ديسمبر ١٩٦٤ وعددهن ٢٣٨ نشالة ، أن عدد حوادث النشل المسجلة فى السجل الجنائى التى ارتكبتها ٢٣٢ نشالة منهن ٩٧٨ حادثة نشل ٠٠ أى أن متوسط ما ارتكبته النشالة الواحدة من هذه الحوادث نحو ٤ر٢ ٠٠ **وقد تبين أن أكثر من ثلاثة أرباع النشالات بدأن حياة النشل وهن فى سن الحداثة وفى سن الشباب** ٠٠ أى أن اقل من ربع النشالات فقط بدأن حياة النشل وهن فى سن أكثر من ٢٥ عاما ٠٠ واتضح أن نحو نصف عدد النشالات

قد ولدن خارج محافظة القاهرة ٠٠ وأن أغلبية النشالات **يقمن فى الأحياء الشعبية فى محافظة القاهرة** ٠٠ وان نسبة اللاتى يعملن من النشالات نسبة ضئيلة ٠ وأن أنواع العمل التى يقمن بها أنواع لا تتطلب مهارة كبيرة ٠٠ فالملاحظ أن **النشالات المتزوجات ونسبتهن كبيرة ، فى ضوء مكانة المرأة فى محيط هذه الفئة من النساء ، يعفون عادة من العمل ٠٠ ولعل النشل ذاته يعتبر فى نظر المحيطين بهن وفى نظرهن عملا ٠ فهو** ، أى النشل ، أولا وقبل كل شىء مصدر من مصادر الرزق ٠٠ والملاحظ أن الأعمال التى يقمن بها **ما هى الا ستار أو وسيلة تيسر لهن ،** فى الغالب ، ارتكاب الجريمة ٠ وقد استخدمت النشالات ، موضوع الدراسة ، ٢٤ أسلوبا اجراميا ٩٧٨ مرة ٠ وكانت الأساليب نشل يد طريق ونشل يد أوتوبيس ونشل يد ترام ونشل يد منزل ونشل يد مستشفى أكثر الأساليب استخداما ٠٠ وقد استخدمت هذه الأساليب بنسبة نحو ٦٨ر٨٣٪ ٠٠ ويرجع استخدام النشالات هذه الأساليب بكثرة الى أنه من السهل عليهن الاندساس بين الناس **فى الطريق المزدحم** ، خصوصا ، فى وسط السيدات اللاتى كثيرا ما يتزاحمن فى الطريق أمام محلات الازياء ٠٠ أما من حيث القيام بعمليات النشل **فى الاوتوبيس المزدحم وفى الترام المزدحم** فهو أمر ميسر لعوامل لا تخفى على القارىء ٠٠ **وللنشالات من صغر سنهن وشبابهن وسرعة حركتهن ومرونة أصابعهن فضلا عن الجراة** ، ما يعينهن على الافلات من المجنى عليهم أو غيرهم ٠٠ ولعل دخول النشالات فى المنازل أو فى المستشفيات أن يكون أمرا سهلا عليهن ٠٠ ففى المنزل يتيسر لهن اقحام أنفسهن كمدعوات فى حفلات الزواج ، كما يتيسر لهن الاندساس فى المآتم كمعزيات ، ويتيسر كذلك لهن استخدام حيلة السؤال عن شقة للايجار !! وفى المستشفى يتيسر للمرأة النشالة الاندساس بين الأطفال والسيدات المرضى والسيدات الحوامل(١٤) ٠٠

وفى ضوء دراسة تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات سجن القناطر فى ديسمبر ١٩٥٨ اللاتى حكم عليهن فى جرائم القتل ٠٠ تبين أن أغلبية أعمارهن تتراوح ما بين ١٥ ــ ٤٥ عاما بنسبة نحو ٧٢٪ ٠٠ وأن نحو ٥٢٪ منهن كن متزوجات ، و ٢٨٪ منهن كن أرامل ، ٨٪ فقط كن مطلقات و ١٢٪ منهن لم يتزوجن ، منهن اثنتان مخطوبتان ٠٠ وكانت الأغلبية الساحقة من الجانيات يقمن خارج القاهرة ٠٠ وكان أكثر من نصفهن يعملن **فلاحات وخادمات وبائعات ، ومنهن** « **دادة** » **واحدة** ٠٠ وكان المجنى عليهم من الذكور ومن الاناث ، ونسبة كبيرة منهم (٦٤٪) من الأقارب (مثل الزوج وابن الضرة وابن السلفة وأخت الزوج والأب وابن العمة وزوجة الأخ وابن الخالة والأخت) ٠٠ والباقى من الجيران ومن المخدومين ، ووجد منهم خادمة وصديقة وعشيق

وجندى شرطة .. وكانت دوافع ارتكاب جريمة القتل عديدة منها **الانتقام ، والغيرة ، والكسب المادى ، والعراك ، وسوء الخلق ، والأخذ بالثأر ، والتخلص من الزوج للزواج بآخر ، ثم الدفاع عن النفس** .. وقد ارتكبت الجرائم داخل المنزل بنسبة نحو ٦٨٪ فى مسكن الجانية أو فى مسكن المجنى عليه . وكانت أساليب ارتكاب الجريمة عديدة ، منها الخنق ، والمسدس ، والضرب بالعصا ، والضرب باليد ، وحشو الحلق بالرمل ، والحرق ، والغرق ، وكتم النفس ، واستخدام المطواة ، وقذف المجنى عليه من فوق المنزل ، والبندقية ،واستخدام الزرنيخ ، والفنيك ، وال د.د.ت ، والتونيا الخضراء ، واستخدام ماء البوتاس مع الخنق ، والبالطة ، والساطور ، والسكين ، والمسمار ، والشنومة ، والفاس .. **وكل هذه الأساليب أو معظمها أساليب بدائية يسر استخدامها المناخ الثقافى الاجتماعى الذى عاشت الجانيات فى ظله**(١٥) .

وفى ضوء دراسة أخرى تناولت ٥٠ نزيلة من نزيلات مؤسسة العجوزة للسيدات المتسولات بالقبة فى عام ١٩٦١ ، اتضح أن أغلبية هؤلاء النزيلات بنسبة نحو ٧٢٪ **كانت أعمارهن ما بين ٥٠ و ٩٠ عاما ، ومن ذوات العاهات (نحو ٧٠٪) وأن حوالى ربعهن مريضات ، وتبين أن ٨٠٪ منهن أميات ، ونحو نصفهن من المدخنات** .. وكانت نسبة من يعملن قبل التسول نحو ٤٦٪ فقط . وكن يعملن خادمات وطاهيات وبائعات ، أو كن يقرأن القرآن !! وقد تزوج معظم النزيلات بنسبة ٨٦٪ ، واستمر بعضهن متزوجات بنسبة نحو ١٨٪ فقط ، والباقى اما ترملن بنسبة نحو ٤٤٪ أو طلقن بنسبة نحو ٢٤٪ . وكانت نسبة كبيرة منهن قد هاجرن الى القاهرة (نحو ٥٦٪) .. وقد بدأت نحو ٧٠٪ من هؤلاء المتسولات التسول **فى سن الأربعين** .. وكانت دوافع التسول عديدة ، **أهمها وفاة الزوج أو مرضه المزمن ، وعدم وجود عائل ، وانخفاض مستوى المعيشة ، والطلاق ، ولعدم وجود عمل نتيجة لعاهة أو تشوه ، والمرض وبخاصة مرض العينين** .. ويلاحظ أن نسبة كبيرة من هؤلاء المتسولات بنسبة نحو ٤٨٪ يرين أن التسول مهنة شريفة ، وان ممارستها تيسر الانطلاق والحرية(١٦) ..

وفى ضوء دراسة غير منشورة تناولت فيها الحكم بالاعدام فى مصر لمدة خمسين عاما من عام ١٩٢٣ حتى آخر عام ١٩٧٣ ، وجدت أن الذين حكم عليهم بالاعدام فى هذه الفترة **٧١٤** شخصا ، منهم **١١** امرأة فقط والباقى من الرجال ..

وفى ضوء كل ما سبق ، نلاحظ أنه على الرغم من سيادة معظم الأدوار الاجتماعية التى يؤديها الذكور المصريون وتمييزها على الأدوار الاجتماعية التى

تؤديها الاناث المصريات ، **فان الاناث المصريات أقل عدوانا على المجتمع المصرى المعاصر من الذكور المصريين** • ونلاحظ أيضا أنه على الرغم من أن المرأة المصرية والشابة المصرية والأنثى المصرية من الأحداث ، موضوع الدراسة السابقة ، يرتكبن الجرائم بأنماطها العديدة وبخاصة الجرائم ضد الآداب والمخدرات والسرقة والقتل فضلا عن جرائم التشرد (وخاصة التسول) فان المجتمع المصرى هو المسئول الأول عن ذلك ٠٠ فقد ترك هذا المجتمع هؤلاء الاناث ينشأن فى أسر توجيهية غير سوية ويعشن فى أسر تناسلية غير سوية يشرف عليها الذكور وحدهم ٠٠ وكانت النتيجة أن أصبحن فى الآغلب الأعم أميات وأرامل ومطلقات وذوات عاهة ومريضات وضائعات ٠٠ تراهن يفتقدن القدوة الصالحة فى الرجل كأب أو كزوج أو كأخ أو حتى كمواطن عادى ٠٠ كما تراهن لا يجدن فى القانون أو أجهزة التنشئة الاجتماعية الأخرى كالمدرسة والمنظمة الدينية والنادى الاجتماعى والمؤسسات الاجتماعية الوقائية والعلاجية وأجهزة الاعلام والثقافة سندا ومعينا بما فيه الكفاية على مواجهة الحياة بحلوها ومرها مواجهة كريمة ٠٠

المراجع والتعليقات

١ ـ تقارير الأمن العام : أعوام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٤ و ١٩٧٥ .

٢ ـ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : تشرد الأحداث ، دراسة احصائية ، اشراف سيد عويس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، صفحتا ٢٠ و ٢٤ .

٣ ـ نجوى حافظ : الشباب الجانح في الجمهورية العربية المتحدة ، اشراف سيد عويس ، القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الأول ، مارس ١٩٦٩ ..

٤ ـ سيد عويس : ظاهرة النشل في محيط النساء في محافظة القاهرة ، القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الأول ، مارس ١٩٦٥ ..

٥ ـ تقارير الأمن العام : أعوام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ..

٦ ـ تقرير الأمن العام : عام ١٩٧٥ ..

٧ ـ صوفي وليم وأخريات : صور جرائم النساء في سجن القناطر ، اشراف سيد عويس دراسة غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ..

٨ ـ نوال محمد ابراهيم : الشابات الجانحات ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦١ ..

٩ ـ الشباب الجانح في الجمهورية العربية المتحدة ..

١٠ـ تشرد الأحداث : دراسة احصائية ..

١١ـ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغـــاء في القاهرة ، ١٩٦١ ، صفحات ٧٦ ـ ٨١ وصفحات ١٣٥ ـ ١٣٧ ..

١٢ـ صور جرائم النساء في سجن القناطر ..

١٣ـ سلوى محمد فهمي عبد العال : السرقة عند النســاء ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ ..

١٤ـ ظاهرة النشل في محيط النساء في محافظة القاهرة ..

١٥ـ فايزه حبيب أيوب : النساء القاتلات ، اشراف سيد عويس ، دراســة غير منشورة ، ١٩٥٨ .

١٦ـ عبلة حسن الأفندي : التسول عند النساء ، اشراف سيد عـويس ، دراسة غير منشورة ١٩٦١ ..

الفصل الخامس

الأنثى المصرية بين الحاضر والمستقبل ..

١ ـ صورة واقعية عن الأنثى المصرية المعاصرة ..

٢ ـ نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل ..

٣ ـ الأسرة المصرية وصراع الأجيال ..

١ - صورة واقعية عن الأنثى المصرية المعاصرة

اذا كنا نلاحظ أن للطفل المصرى ، ذكرا كان أو أنثى ، عند المصريين المعاصرين ، فى ضوء ما سبق ، مكانة اجتماعية ‥ فاننا نلاحظ أيضا أن هذه المكانة قد ترتفع أحيانا وقد تنخفض أحيانا أخرى ‥ والملاحظ أن مكانة الذكر المصرى الاجتماعية التى يكتسبها ، سواء كان أبنا أو أخا أو زوجا أو أبا أو كان من خارج الأسرة مكانة اجتماعية رفيعة على وجه العموم ‥ ويرجع ذلك الى بعض العوامل ، منها :

(أ) ان الأسرة المصرية أسرة أبوية ‥ أى أن رجالها وشبابها وحتى فتيانها ، هم المسئولون الحقيقيون عنها ‥ « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ‥ لان الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ‥ » (اف ٥ : ٢٢ - ٢٣) و « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ‥ » (٤ م النساء : ٣٤) ‥

(ب) ان الذكر المصرى يحمل اسم أسرته التوجيهية (أسرة الأب والأم والاخوة والاخوات) ، واذا بلغ أشده وتزوج يورث اسم هذه الأسرة الى أبنائه وبناته ‥

(جـ) ان الأسرة المصرية تتوقع من أبنائها الذكور حماية أعضائها من الأعداء ان وجد هؤلاء الأعداء ‥

(د) ان نسبة المتعلمين من الذكور فى المجتمع المصرى المعاصر أكبر من نسبة المتعلمات من الاناث(١) ‥

(هـ) ان نسبة العاملين من الذكور فى المجتمع المصرى المعاصر أكبر من نسبة العاملات من الاناث(٢) ‥

(و) ان الذكر المصرى فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى يستطيع أن يحمى نفسه على عكس الأنثى المصرية ‥

(ز) ان حقوق الذكر المصرى عديدة ‥ فالذكر المسلم مثلا يرث أكثر من الأنثى « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ‥ » (٤ م

النساء : ١١) . وهو يمنع الاقارب غير المقربين من الميراث ، ومن ثم يحفظ مال الأسرة ..

(ح) ومن حقوق الذكر المصرى المسلم (الرجـل) أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، « ... فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى وثلاث ورباع » (٤ م النساء : ٣) ..

(ط) ومن حق الزوج المصرى على زوجته (الأنثى) الطاعة والقوامة على الأسرة، وتدبير البيت وصيانته ، والطلاق عند الضرورة ، والتهذيب عنـد العصيان ..

(ى) ان فرحة ولادة الذكر فى المجتمع المصرى شاملة .. يفرح من أجلهـا الآباء والأمهات والاقارب المقربون وغير المقربين وحتى الغرباء .. أى أنه مفضل على الانثى . (يلاحظ أن الرجل فى الريف المصرى اذا سار فى الطريق تتبعه الاناث من ورائه . كما يلاحظ أنه قد يكون عدم انجاب الذكور سببا فى طلاق الزوجـة فى بعض الاحيان ، أو الزواج من أخرى) ..

(ك) ان امتياز الذكر المصرى فى المجتمع المصرى المعاصر يرجع الى ان بعض الوظائف الهامة مثل الحاكم والواعظ الدينى والقاضى والجندى ، يشغلها الرجال عادة من أعضاء هذا المجتمع ، فضلا عن أن حقه فى سن معينة فى أن ينتخب وينتخب **حق الزامى** ..

(ل) ويؤكد امتياز الذكر المصرى فى المجتمع المصرى المعاصر ، ويدل عليه دلالة ساطعة ما نجده من النفور والغضب الشديد اذا اضطر ذكـر مصرى لأن يقول « أنا امرأة » ، أو أن يقال له « أنت امرأة »(٣) ..

أى أن أهم العوامل لارتفاع مكانة الذكر المصرى هى :

(أ) عوامل ثقافية :

- حيث ان نسبة الذكور المصريين المتعلمين فى المجتمع المصرى أكبر من نسبة الاناث المتعلمات ..
- وحيث تكون لولادة الذكر فى المجتمع المصرى فرحة لها صدى كبير من أعضاء الأسرة والاقارب المقربين وغير المقربين وحتى الغرباء ..
- وحيث يكون عدم انجاب الأطفال الذكور سببا فى طلاق الزوجة فى بعض الأحيان ، أو الزواج من أخرى ..
- وحيث نلاحظ أن الرجل اذا سار فى الطريق (وبخاصة فى الريف) تتبعه الاناث من ورائه ..

- وحيث نجد نفور الذكر المصرى وغضبه الشديد اذا وصف بأنه « امرأة » !!

(ب) عوامل ثقافية دينية :

- حيث يكون نصيب الذكر المصرى فى الميراث فى ظل الدين الاسلامى (دين الاغلبية) ضعف نصيب الانثى ..
- وحيث يكون حقه فى الزواج بأكثر من زوجة الى أربع زوجات مرة واحدة ، فى ظل الدين الاسلامى ، مكفولا ..
- وحيث يكون للزوج المصرى حقوق مكفولة مثل طاعة الزوجة والقوامة على الاسرة ، وتدبير شئون البيت ، وصيانته، والطلاق عند الضرورة، والتهذيب ضد العصيان ..

(ج) عوامل اجتماعية :

- حيث ان الاسرة المصرية أسرة أبوية ..
- وحيث ان الذكور فى الاسرة يعتبرون المسئولين عنها ..
- وحيث ان الذكر المصرى يحمل اسم أسرته التوجيهية ، وعندما يبلغ أشده ويتزوج يورث هذا الاسم الى أطفاله ..
- وحيث يكون الذكور من أبناء الأسرة المصرية درعا وحماية لها من أعدائها ان وجد هؤلاء الأعداء ..
- وحيث يؤدى الذكر المصرى أدوارا اجتماعية لا تؤديها الانثى المصرية مثل أدوار الحاكم والواعظ الدينى والقاضى والجندى ..
- وحيث يكون حق الذكر المصرى فى سن معينة فى أن ينتخب وينتخب حقا الزاميا ..

(د) عوامل اقتصادية :

- حيث تكون نسبة عمالة الذكور المصريين أعلى جدا من نسبة عمالة الاناث المصريات ..
- وحيث نجد أن الذكر المصرى القادر يعمل فى كل الأعمال ويشغل كل الوظائف الهامة منها ..
- وحيث يمنع الذكر المصرى الاقارب غير المقربين من الميراث ، ومن ثم يحفظ مال الأسرة ..

ومكانة الأنثى التى تكتسبها سواء كانت زوجة أو ابنة أو أختا أو جارة أو زميلة هى ، على وجه العموم ، مكانة منخفضة .. على عكس مكانتها كأم ، فهى مكانة رفيعة للغاية .. وكل ذلك على الرغم من أن التراث الثقافى المصرى،



على المستوى النظرى ، على وجه العموم ، قد كفل للأنثى المصرية المحبة والرعاية ، كما كفل حقوقها فى التنشئة الاجتماعية السوية ٠٠ فنجد أن الدين الاسلامى (وهو دين الاغلبيه) مثلا ، قد جعل للزوجة المصرية المسلمة على زوجها المصرى المسلم حقوقا عديدة ، منها حقها فى اختيار هذا الزوج ، ونلاحظ أنها بزواجها لا تفقد اسمها ، ولا شخصيتها الذاتية ، ولا أهليتها فى التعاقد ، ولا حقها فى الملكية ، ولا يضيع من استقلالها المالى شىء ٠ وفضلا عن حقوقها على زوجها فى العشرة بالمعروف والعـــدل وحقوقهـا الجنسية والانفاق ، فان من حقها عليه أن يقدم لها مهرا وأن يكفل لها حياة كريمة(٤) ٠

ومع ذلك ، فاننا نلاحظ أن الأنثى المصرية ، فى ضوء الواقع الحى لمجتمعنا المصرى المعاصر ، فيما عدا الأنثى الام ، لا تكتسب المكانة الاجتماعيه اللائقة بها ٠٠ ويرجع ذلك الى بعض العوامل ، منها :

(أ) ان الاسرة المصرية أسرة أبوية وليست أسرة أموية ٠٠

(ب) ان نسبه العاملات الماهرات من الاناث المصريات ضئيلة جدا ، وهـن يعملن فى ظل سيطرة الذكر المصرى فى أغلب الاحيان ٠٠ واذا اعتبرنا ان الاناث الريفيات يعملن ، فانهن يعملن فى ظروف بائسة يسيطـر عليها الذكـور المصريون كذلـك « البنت مسيرها للبيت » (تعبير شعبى) ٠٠

(جـ) والملاحظ ان الأنثى المصرية القادرة محرومة من العمل فى أعمال معينة يقوم بها ، عادة ، الذكر المصرى القادر ٠٠ فنرى أن المجتمع يحـرم على الانثى المصرية القادرة العمل فى وظائف معينه كالحاكم والواعـظ الدينى والقاضى والجندى ٠٠

(د) ان نسبة الأمية بين الاناث المصريات نسبة مرتفعة للغاية قد تصل فى بعض القرى المصرى ، فى بعض الاحيان ، الى مائة فى المائة ، أو تقل عن ذلك قليلا ٠٠

(هـ) على الرغم من وجود حقوق للأنثى المصرية على المستوى الثقافى النظرى ، فاننا نلاحظ أنها :

- ترث أقل من الذكر ٠٠
- أنها لا تمنع الاقارب من غير المقربين من الميراث ٠٠
- أنها ترغم على الزواج فى بعض الاحيان ٠٠
- أنها لا تمارس حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها ٠ وهـذا نادر ٠٠

— أنها تطلق لأنها لا تنجب الذكور أو تطلق أحيانا لأتفه الاسباب ٠٠
— أنها تعيش فى ظل شبح « الضرة » ٠٠
— ان حقها فى سن معينة فى أن تنتخب وتنتخب **حق اختيارى** ٠٠

(و) ويحرم على الاناث المصريات فى سن معينه وفى ظروف معينه الاختلاط بالذكور ٠٠

(ز) واذا كانت الانثى المصرية تهيأ وتعد لتكون « ست بيت » ، **فهى تواجه دائما تقلبات** سعر السوق !! فاذا كانت بكرا فهى أغلى سعرا ، واذا كانت امرأة عزبة ، فهى أرخص سعرا ٠٠ ويا ويل الانثى البالغـــة التى لم تتزوج و « بارت » فان سعرها يكون فى الحضيض ٠ وذلك على عكس الـــذكر المصرى الذى يرغب فى الزواج أو الذى لم يتزوج ٠ ف « الراجل ما يعيبوش غير جيبه » (مثل شعبى) ٠٠

(ح) وقد يرى الرجل أن يتزوج من امرأة لكى تخدمه ، وذلك لانها امرأة متدينة ، أو لانها ذات جمال أو مال أو حسب أو نسب ، أو ربما لانها مقطوعة من شجرة ، ومفهوم « الخدمة » هنا يتضمن كل الادوار التى يفترض أن تقوم بها الزوجة مثل دور « العمل فى البيت » ، ودور « العمل فى الحقل » ، ودور « أم الأولاد » ، ودور « العشيقة » ٠٠ الخ ٠

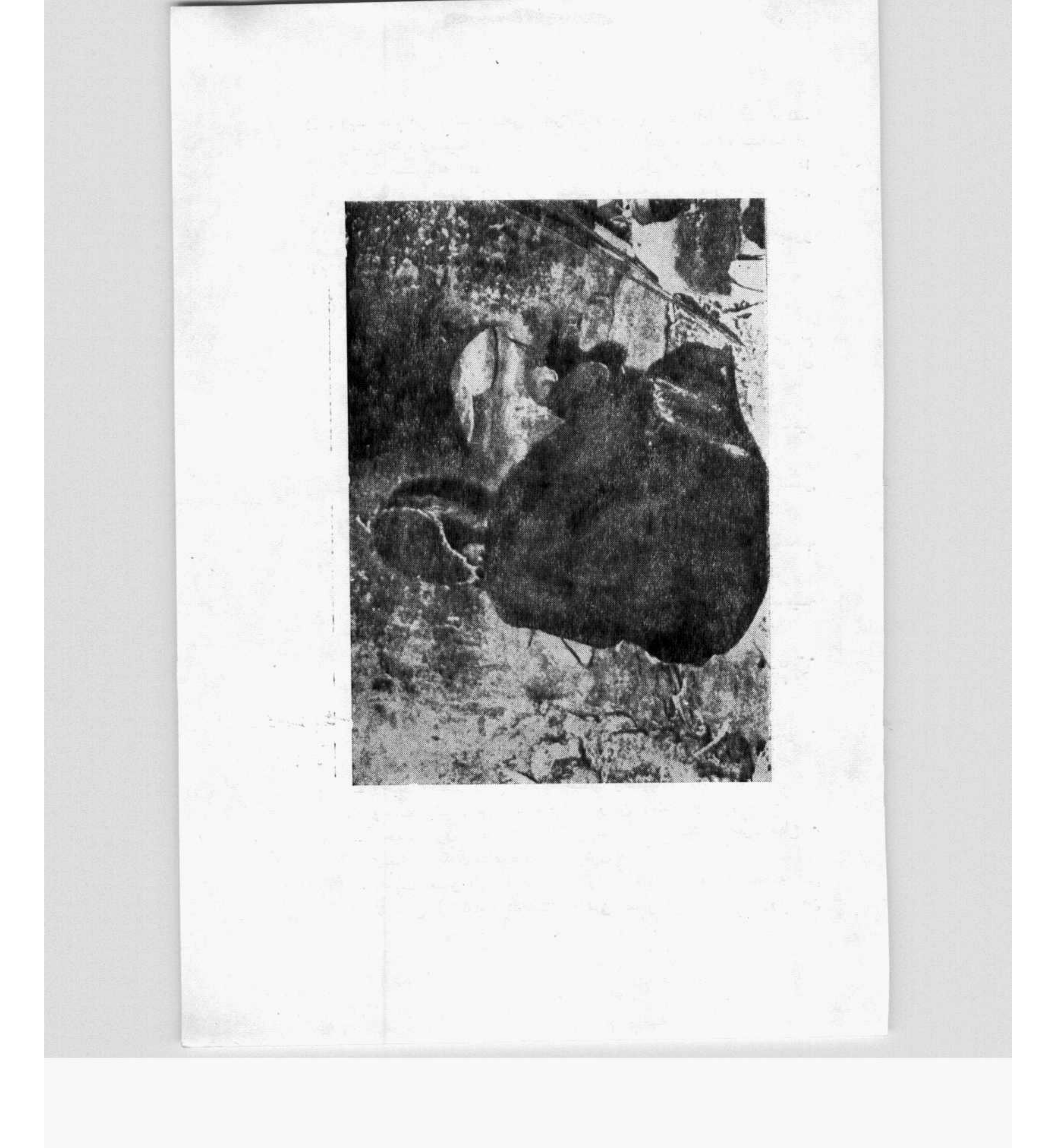
(ط) وتصبر الانثى المصرية وبخاصة الزوجة على المكاره (ومنها الزواج من أخرى دون ما مبرر) وعلى ألوان الضيم (ومنها الشتم والضرب) من أجل « لقمة العيش » أحيانا ، أو من أجل أن « يحميها راجل » ، أو تحقيقا للمثل الشعبى « قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى عند أحبابى » ، أو تحقيقا للمثل الشعبى القائل « ظل راجل ولا ظل حيط » ٠٠

(ى) وعلى الرغم من أن الزوجة المصرية المسلمة لا تفقد اسمها ، فان أبناءها ، ذكورا كانوا أو اناثا ، ينتسبون رسميا الى أبيهم ٠٠

(ك) والملاحظ أننا نجد فى ضوء التراث الثقافى أن النســـاء فى الغالب « ناقصات عقل ودين » ٠٠

(ل) ونجد أن اسم الأنثى المصرية وبخاصة اذا كانت زوجة أو كانت أما ، لا يجب أن يذيعه أحد ٠٠ وذلك لان اذاعته تعتبر خطيئة لا تغتفـر لمذيعها (اذا كان ذكرا بالغا) وبخاصة اذا كان من الغرباء ٠٠

(م) وعلى الرغم من أن « البنت حبيبة أمها » كما يقول المثل الشعبى المصرى، فاننا نلاحظ أن الابن الذكر أفضل عند الأم وعند الاب معاً ٠٠



(ن) ويستخدم فى تراثنا الثقافى « امرأة » (مرة) استخداما سيئا ·· فقد يعتبر سبا وشتيمة اذا وجه الى ذكر مهما كانت مكانته الاجتماعية أو كانت مستوياته الثقافية والمادية ·· وقد تعير به الانثى المصرية اذا نافسها ذكر مصرى ·· « اللى ينتخب مرة يبقى مرة » (هتاف شعبى فى احدى قرى المنوفية فى انتخابات سابقة) ·

أى أن أهم العوامل لانخفاض مكانة الانثى المصرية ما عدا قيامها بدور الأم ·· هى :

(أ) عوامل اجتماعية :

- حيث أن الاسرة المصرية هى أسرة أبوية وليست أموية ·· ومن ثم فالذكور هم المسئولون ·· وانتساب الابناء الى أبيهم وليس الى أمهم ·
- وحيث تعد الانثى لتكون « ست بيت » · ومن ثم فأدوارها الاجتماعية خارج أسرتها محدودة للغاية ··
- وحيث يحرم على الانثى المصرية بعض الاعمال الهامة ، ويقتصر العمل فيها على الذكور ··
- وحيث يكون حق الانثى المصرية فى سن معينة فى أن تنتخب وتنتخب حقا اختياريا ··
- وحيث تتزوج المرأة لخدمة الذكر الزوج · وتقوم بأدوار اجتماعيـة عديدة داخل البيت ··
- وحيث تنخفض مكانة الانثى المصرية اذا تزوج زوجها من أخرى ··
- وحيث تنخفض مكانة الانثى المصرية اذا لم تتزوج و « تبور » ··

(ب) عوامل ثقافية :

- حيث تكون نسبة الامية بين الاناث المصريات نسبة مرتفعة للغاية ·
- وحيث يتفاوت مهر الانثى حسب كونها بكرا أو عزبة ·
- وحيث تخطب الانثى المصرية لحسبها ونسبها ··
- وحيث ترغم الانثى المصرية فى الكثير من الاحيان على الزواج ··
- وحيث تكون الانثى الزوجة فى نظر الذكر الرجل مجرد متاع · ولعله أن يكون متاعه الوحيد المرموق ··
- وحيث تعيش الزوجة فى كنف زوجها فى ظل المعاملة السيئة التى لا ترقى الى المعاملة الرشيدة · فهى تصبر على المكاره (الزواج من

أخرى) وتصبر على ألوان الضيم (منها الشتم والضرب) ..

- وحيث تعيش الأنثى المتزوجة فى وجل وخوف من شبح « الضرة » ..
- وحيث تطلق الأنثى الزوجة لأنها لا تنجب الذكور .
- وحيث لا يستحب اذاعة اسم الأنثى المصرية اذا كانت زوجة أو أما .
- وحيث نجد أنه على الرغم من أن « البنت حبيبة أمها » فان الابن الذكر مفضل عند الأب والأم معا .
- وحيث ان الأنثى المصرية اذا سارت فى الطريق مع أحد رجال الأسرة، وبخاصة فى الريف ، تسير من ورائه ..
- وحيث يستخدم مفهوم « امرأة » (مرة) استخداما سيئا .

(جـ) عوامل ثقافية دينية :

- حيث ترث الأنثى أقل من الذكر ..
- وحيث لا تمارس الأنثى المتزوجة حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها . وهذا نادر ..
- وحيث يحرم على الاناث المصريات فى سن معينة وفى ظروف معينـة الاختلاط بالذكور ..
- وحيث تخطب الأنثى المصرية لدينها وجمالها ومالها (حديث) ..
- وحيث ينظر الى النساء على أنهن « ناقصات عقل ودين » ..

(د) عوامل اقتصادية :

- حيث نجد أن نسبة العاملات الماهرات من الاناث المصريات نسبة ضئيلة ..
- وحيث تعمل الاناث المصريات الماهرات منهن وغير الماهرات فى ظل سيطرة الذكر المصرى فى أغلب الأحيان ..
- وحيث تكون أعمال الأنثى المصرية خارج الأسرة محدودة ..
- وحيث لا تمنع الأنثى الأقارب من غير المقربين من الميراث (أى لا تحفظ مال الأسرة) ..

(المراجع والتعليقـات)

١ — فى ضوء التعدادات العامة ١٩٣٧ و ١٩٤٧ و ١٩٦٠ نلاحظ أن نسبة الأمية فى محيط الاناث كانت نحو ٩ر٩٤٪ و ٨ر٨٨٪ و ٦ر٨٤٪ على التوالى ٠٠ فى حين أن نسبة الأمية فى محيط الذكور كانت نحـــو ٤ر٧٧٪ و ٦ر٦٦٪ و ٩ر٥٧٪ على التوالى ٠ وبالنسبة لتعداد عام ١٩٦٦ بالعينة كانت نسبة الاميات نحو ٩ر٧٨٪ من مجموعهن ، فى حين أن نسبة الأميين فى نفس العام كانت نحو ٧ر٥١٪ من مجموعهم ، مـــع ملاحظة أن بيانات الحالة التعليمية بتعدادى ١٩٣٧ و ١٩٤٧ كانت على أساس خمس سنوات فأكثر ، وأرجعت الى عشر سنوات للمقارنـــة بتعدادى ١٩٦٠ و ١٩٦٦ ٠٠

ويلاحظ أن نسبة الأمية وسط النساء فى تناقصها هذا لا تسجل أرقاما تتلاءم مع حجم الاستثمارات المالية التى تنفق على نظام التعليم العام ٠ فعلى مدى ١٩ عاما — من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٦ لم تنخفض نسبة الأمية وسط النساء الا بمقدار ١٠٪ ، رغم علمنا أن ميزانيات التعليم فى تلك الفترة (١٩٤٧ — ١٩٦٦) ارتفعت عن الفين وخمسمائة مليون جنيه مصرى ٠٠

(أنظر احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ٠ وانظر أيضا عبد الحليم محمود السيد : تطور تعليم البنات فى مصر ، فى كتاب « تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة ، اشراف مصطفى سويف القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٤ ، صفحة ٦٢ » ٠ وانظر أيضا أمينة شفيق : مشاكل تعليم المرأة فى مصر ، القاهرة ، مجلة دراسات اشتراكية ، السنة الثالثة ، عدد ٨ ، أغسطس ١٩٧٤ ، صفحتا ١٥ — ١٦) ٠٠

٢ — يلاحظ أننا نجد فى ضوء تعداد عام ١٩٦٠ أن نسبة الداخلات فى قوة العمل بوجه عام هى نحو ٨ر٤٪ ، فى حين أن نسبة الذكور فى قـــوة العمل فانها تصل الى نحو ١ر٥٥٪ ٠ ومن حيث نسبة مساهمة الاناث فى قسم أصحاب المهن الفنية والعلمية ، نلاحظ أن هذه النسبة هى نحو ٦ر٢٤٪ فى حين أن نسبة مساهمة الذكور فى هذا القسم هى نحـــو



٤ر٧٥٪ ، ونجد أن نسبة مساهمة الاناث فى قسم المديرين ومن اليهم هى نحو ٢ر٥٪ ، فى حين أن نسبة مساهمة الذكور فى هذا القسم هى نحو ٨ر٩٤٪ (يلاحظ أن معنى مفهوم « قوة العمل » هنا يتجاهل انتاج ربات البيوت ولا يعتبر هذا الانتاج العظيم داخلا فى نطاق معنى هـذا المفهوم !!) ٠٠

وعلى الرغم من أنه فى الفترة الأخيرة قد زاد اقبال المرأة المصرية على العمل وتنوعت أوجه النشاط الاقتصادى التى تعمل فيها ، فاننا نلاحظ أن النشاط الزراعى فى عام ١٩٦١ (من سن ١٢ الى سن ٦٤) كـان يستحوذ على أكبر نسبة من العاملات (نحـــو ٤٣٪) ، بينما احتلت الزراعة المركز الثانى عام ١٩٦٩ ، وحل محلها فى المركز الاول قطاع الخدمات (نحو ٨ر٤٧٪) ، ولعل ذلك أن يرجع الى أن الزراعة لا تتطلب أى قدر من التعليم لذلك تحترفها الاميات ، وان الخدمات تتطلب هذا القدر من التعليم ٠ ومع ذلك ، فانه من الملاحظ أن تعداد السكان لعام ١٩٦٠ أظهر أن نحو ٣ر٨٩٪ من العاملات فى قطاع الخدمات يعملـــن بالخدمة المنزلية ٠٠

ويلاحظ أنه فى عام ١٩٧١ قد تبين أن أكثر من نصف قوة العمـل النسائية المصرية من الاميات (نحو ١ر٥٤٪) ، واذا أضفنا الى هـذه النسبه عدد اللائى يقرأن ويكتبن فقط (نحو ٥ر٨٪) ، فان النسبة ترتفع الى نحو ٦ر٦٢٪ من قوة العمل المسجله ٠٠ ولا يخفى أن هـذه الحالة التعليمية السلبية لها آثارها السلبية أيضا على الانتاج وعـلى الحياة العامة المحيطة بالانتاج ، وكل هذا بدوره يعكس مدى انخفاض المكانة الاجتماعية للانثى المصرية المعاصرة ، وان ذكر من آن لآخر دفاعا عن غير ذلك موضوع تساوى المرأة المصرية فى الاجر مع الرجل ٠ لان هذا التساوى يقتصر على من يسعدهن الحظ بالعمل فى دواوين الحكومة وما على شاكلتها ونسبة هؤلاء فى محيط الملايين من النساء المصريات ضئيلة جدا ٠ ومهما يكن من الأمر فان هذا النوع من المساواة لا يمكن فى ضوء المعاملة الرشيدة أن يكون كافيا ٠ (أنظر ناهد رمزى : تطور خروج المرأة المصرية فى مجال العمل ، فى كتاب « تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعـاصرة » صفحـــات ١٣٨ و ١٤٠ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٢٤ ٠ وأنظر أيضا أمينة شفيق : مشاكل تعليم المرأة فى مصر ، المرجع السابق ، صفحة ١٤) ٠٠

(ملاحظة : نشر فى الجرائد المصرية اليومية فى يوم ١٩٧٧/٤/٤ أن نسبة من يزاولن النشاط الاقتصادى من الاناث المصريات الى جملة الاناث المصريات قد ارتفعت من ٤ر٨٪ فى تعداد عام ١٩٦٠ الى ٢ر٩٪ فى تعداد عام ١٩٧٦) ..

٣ - من مظاهر تفضيل المجتمع المصرى المعاصر الذكر على الأنثى ، أننا نلاحظ فى احدى الدراسات المسحية الطبية التى أجريت فى محيط ٢٤٧٣ تلميذا و ١٧٣٣ تلميذة من تلاميذ المدارس الابتدائيه والاعداديـــة والثانويه العامة والثانوية التجارية والثانوية للتمريـــض فى الريف والحضر ، فى خلال الشهور الأربعة (مارس - يونيو) من عام ١٩٧٠ - بعض النتائج منها :

- أن نسبه حالات قصر الأطراف الحويصلى (مرض جلدى) تصل لدى البنات الى ٧ر١٣ لكل ألف من البنات ، و ٩ر٠ لكل ألف من البنين .
- أن نسبه الحول تصل الى ٤٢ لكل ألف من البنين و ٤٤ لكل ألف من البنات . وأن نسبة الحول بين البنات الصغيرات من عمر (٦ - ٨) تزيد عنها بين البنين من نفس العمر بفارق دال احصائيا ، حيث تصل النسبه الى ٤٩ لكل ألف من البنات ، بينما هى ٣٢ لكل ألف من البنين ..
- كان معدل تضخم الغدة الدرقية لدى البنات عامة نحو ١ر١٤٪ وهو أعلى بصورة واضحة منه فى حالة البنين (نحو ٣ر٣٪) ، والفرق بين المعدلين دال احصائيا ..

وكان أعلى معدل للتضخم بين البنات وهو نحـــو ٦ر٢٨٪ فى المرحله (١٢ - ١٤) ، أى فى سن البلوغ .. وبعد ذلك أخذ هـــذا المعدل فى التناقص التدريجى . أما بين البنين فقد كان أعلى معـــدل للتضخم هو نحو ٧ر٥٪ فقط ، وهو المعدل خلال المرحلـــة (١٥ - ١٧) ..

- كان معدل حالات اللغط الروماتزمى أعلى لدى البنات (٥ر٤٢ لكل ألف) منه لدى البنين (٦ر٢٦ لكل ألف) .. وفى كلا النوعين كان المعدل أدنى ما يكون فى المرحلة (٦ - ٨) ، كما بلغ أعلى حد له فى البنات فى المرحلة (١٢ - ١٤) ، وأعلى حد له فى البنين فى المرحلة (١٥ - ١٧) .

(أنظر بحث احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربيـــة :

دراسة مسحية على مستوى الجمهوريه ، المركز القـومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية ومنظمة الامم المتحدة للاطفال - اليونيسيف ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، صفحات ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٦ ..

- ومن الملاحظ أنه اذا أعدت مائدة الطعام ، **كان الرجال** المصريـــون أسبق اليها ، وترى النساء وبخاصة فى الريف يأكلن بعد أن يأكل الرجال ، واذا قدر وكان بينهن ولد صغير تراهن يستبشرن خيرا ، فمن أجل الولد (الذكر) فان « الملك يشيل الطبلية ، أو يشيل الصينية » تكريما وتعظيما !!

٤ - تبين من دراسة أجريت فى عام ١٩٣٨ عن « مشكلة الفقر فى مصر » أن من بين الأسر موضوع الدراسة وعددها ٣٤٠٤ أسرة ٣٣٣٣ أسرة ذات الزوجة الواحدة أما عدد الأسر المتعددة الزوجات ، فقد كان ٧١ أسرة فقط .. وقد تبين أن المرأة هى المسئولة الاولى عن معاش ١٢٩٦ أسرة من ال ٣٣٣٣ أسرة ذات الزوجة الواحدة ، **أى بنسبة نحو ٣٨ر٩٪** ، أما فى محيط ال ٧١ أسرة ذات الزوجات المتعددة . فقد كان الرجل هو المسئول الأول عن معاشها فيما عدا أسرة واحدة كانت المرأة هى المسئولة الأولى عن هذا المعاش .

(أنظر سيد عويس : نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر ، تاريخ شخصى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٣ ، صفحات ٩٤ - ٩٨).

٢ ـ نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل

وقد قمت بأجراء دراسة فى خلال العام الدراسى ١٩٧٤/١٩٧٥ فى محيط طالبات المعاهد العليا والجامعات ايمانا منى بأنهن وزملائهن الطلبة سيكونون قادة المستقبل فى مصرنا الخالدة ٠ وكانت هذه الدراسة تتطلب اجابات عن بعض الأسئلة التى تتعلق بمستقبل الطالبة ومستقبل أسرتها سواء كانت أسرة توجية (أسرة الاب والام والاخوة والاخوات) أو أسرة تناسل (أسرة الطالبة كزوجة وزوجها وأبنائهما) ، ثم بمستقبل المجتمع المصرى المعاصر ـ كواحدة من قادته الثقافيين الاجتماعيين فى المستقبل ستؤدى من أجله دورا أو أدوارا اجتماعية معينة ٠

والاجابات المطلوبة هى فى حقيقة الأمر الآراء التى يجب أن تعكس الخبرات الموضوعية لكل طالبة كما تعكس آمالها ٠ وفى ضوء هذه الاجابات أو الآراء أو الخبرات الموضوعية أو الآمال ، يمكن أن نصل الى بعض الاتجاهات العامة فى محيط الطالبات موضوع الدراسه نحو المستقبل ، مستقبلهن كأشخاص ومستقبل أسرهن ثم مستقبل مصرنا الخالدة ٠

وفى ضوء هذه الدراسة يتبين بعض الحقائق ، أهمها :

١ ـ كان عدد الطالبات ٥٠ طالبة ٠٠ وكان متوسط أعمارهن ١ر٢٣ عاما بانحراف معيارى ٢٢ سنة ٠٠ وكان نحو ٨٦٪ منهن من المسلمات و ١٤٪ من المسيحيات ٠ وقد نشئت نحو ٨٢٪ منهن فى المدينة ، و ١٢٪ فى القرية ، و ٦٪ فى المركز ٠ وجميعهن يقمن فى وقت الدراسة فى المدينة ٠٠ والاغلبية الساحقة لا يعملن بنسبة نحو ٨٦٪ ٠٠ والاغلبية الساحقة أيضا بنسبة نحو ٥ر٨٧٪ لم يتزوجن ، وتعيش نحو ٩٠٪ من هؤلاء مع أسراتهن ٠٠ أما المتزوجات فنسبتهن ضئيلة (نحو ٥ر١٢٪) ، وكلهن متزوجات من مصريين ، وأغلبيتهن لا يوجد لديهن أبناء ٠ ومن حيث مهن الآباء سواء كانوا على قيد الحياة أو كانوا متوفين، نجد أن نحو ٩ر٤١٪ منهم من موظفى الحكومة ، ومن هؤلاء ٣ر٩٪ على المعاش ٠٠ ونحو ٨ر٢٧٪ منهم يعملون فى مهن حرة ، ونحو ٦ر١١٪

منهم من العمال والفلاحين ، ونحو ٣ر٢٪ منهم من ذوى الأملاك !! ، والباقى بنسبة نحو ٣ر١٦٪ لم تذكر مهنهم . أما الأمهات سواء كن على قيد الحياة أو كن متوفيات فكلهن لا يعملن ما عدا ثلاث أمهات فقط : واحدة منهن ناظرة مدرسة والثانية مدرسة والثالثة أمينة مكتبة !! ..

٢ ـ وقد رغب نحو ٦ر٧٩٪ من الطالبات موضوع الدراسة فى ممارسة المهنة التى تخصصن فيها ، أما الباقى بنسبة نحو ٤ر٢٠٪ فانهن لم يرغبن فى ذلك .. وقد رغب نحو ٥٢٪ منهن فقط بعد الانتهاء من الدراسة الحالية الاستمرار فى مصر ، ونحو ٤٨٪ منهن لم يرغبن فى ذلك .. ومن الأخيرات نحو ٤ر٧١٪ يرغبن العمل فترة من الوقت فى بلد عربى ، ونحو ٦ر٢٨٪ يرغبن العمل فترة من الوقت فى بلد أجنبى ..

٣ ـ وقد تبين أن نحو ٣٣٪ من الطالبات موضوع الدراسة يملكن مكتبة خاصة ، والباقى وقدره نحو ٦٧٪ لا يملكن مكتبة خاصة !! ومن أهم الفنون التى تمارسها الطالبات موضوع الدراسة أو تهوينها نجد الموسيقى ، والقصة أو الرواية ، والمسرح ، والفنون التشكيليه ، وأشغال الابرة ، بنسب نحو ٨ر٣٦٪ و ٨ر٣٦٪ و ٢ر٩٪ ، ٢ر٥٪ و ٢ر٥٪ على التوالى .. وكان أكثر الاجابات عن أهم الكتاب الخمسة الذين تقرأ الطالبات موضوع الدراسة لهم ، هم الاساتذة أنيس منصور، واحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ والدكتور طه حسين والأستاذ يوسف السباعى بنسب نحو ٥ر١٤٪ و ٢ر١١٪ و ٥ر٩٪ و ٩ر٨٪ و ٩ر٨٪ على التوالى ..

٤ ـ وقد تبين أن نسبة نحو ٩٤٪ من الطالبات يرغبن فى اقتناء سيارة .. وأن نحو ٨٦٪ يرين المسكن الذى يسكن فيه مسكنا لائقا ، فى حين أن نسبة نحو ١٤٪ صرحن بأن هذا المسكن غير لائق ويرغبن فى السكنى فى حى أفضل أو فى فيلا مستأجرة أو فى شقة مستأجرة أكبر .. ولم ترغب واحدة من الطالبات أن تسكن فى شقة مستأجرة فى الريف أو أن تسكن فى بيت تملكه ..

٥ – وكان عدد المتزوجات من ال ٥٠ طالبة موضوع الدراسة ست متزوجات. منهن خمس طالبات قانعات بحياتهن الأسرية الحالية .. وذكرت أربع منهن أنهن يرغبن فى أنجاب طفلين فقط ، وذكرت واحدة أنها ترغب فى انجاب ثلاثة أطفال ، وامتنعت السادسة عن الاجابة ، مع ملاحظة أن ثلاث من هؤلاء الطالبات المتزوجات لديهن أبناء فعلا ويرغبن فى تعليمهم حتى المستوى العالى على الأقل .. وقد أفصحت اثنتان فقط أن زوجيهما يشاركان معهما فى تربية الأبناء .. كما أفصحت أربع منهن أن بينهن وبين أزواجهن نمطا من تقسيم العمل .. وفى محيط هؤلاء المتزوجات **يوجد** اختلاط بين الأقارب من الجنسين **ولا يوجد** هذا الاختلاط بين الأصدقاء من الجنسين ..

٦ – أما باقى الطالبات فقد اعترفت ٤٢ طالبة منهن بأنهن غير متزوجات ولم تذكر اثنتان بيانا عن ذلك .. ومن المعترفات بعدم الزواج نسبة نحو ٧٨٫٦٪ (٣٣ طالبة) يرغبن فى الزواج .. والباقى ونسبته نحو ٢١٫٤٪ (تسع طالبات) لا يرغبن فى الزواج .. وكانت أهم عوامل عدم الرغبة فى الزواج هى الرغبة فى التكريس للعلم ، وتجارب ماضية مؤلمة ، والوقت لم يحن بعد ، وعدم استطاعة تحمل المسئولية ، والتعود على حياة معينة يصعب توافرها .. وكانت نسبة العامل الأول أكبر نسبة ..

٧ – وقد أجابت ٣٣ طالبة من الراغبات فى الزواج (بنسبة نحو ١٠٠٪) بأنهن يرغبن فى الزواج من مصرى ، على أن يكون فى نفس مستواهن العلمى بنسبة نحو ٥٦٫٧٪ وأعلى من مستواهن العلمى بنسبة نحو ٤٠٪ ومن حيث انجاب الاطفال فان الأغلبية الساحقة بنسبة نحو ٨٣٫٣٪ يرغبن فى أنجاب أطفال لا يزيد عددهم على ثلاثة ، مع ملاحظة أن نسبة عالية نحو ٥٣٫٦٪ لا يرغبن فى انجاب أكثر من طفلين .. وكانت رغبة هؤلاء الطالبات بالاجماع فى تعليم بناتهن حتى المستوى العالى على الأقل ، مع ملاحظة أن نحو **٥٩٫٤٪** منهن يرغبن فى أن يكون تعليم **بناتهن** حتى المستوى الأعلى .. وكانت كذلك رغبة هؤلاء الطالبات بالاجماع فى تعليم أبنائهن حتى المستوى العالى على الأقل ، مع ملاحظة أن نحو **٨٠٫٦٪** منهن يرغبن ، أن يكون تعليم **أبنائهن** حتى المستوى الأعلى .. وكانت نسبة نحو ٩٧٪ من الطالبات الراغبات فى الزواج يرين أن مشاركة الازواج فى تربية الأبناء ضرورة ، ونسبة نحو ٧٥٫٨٪ يرين أنه سيكون بينهن وبين أزواج المستقبل نمط من تقسيم العمل

في المنزل .. وكانت نسبة من يوافقن على ممارسة الاختلاط بين الجنسين فى محيط الاسرة نحو ٩ر٩٣٪ ، أما نسبة من يوافقن على هذه الممارسة بين الاصدقاء من الجنسين فقد كانت نحو ٧٠٪ ..

٨ — ومن حيث ترتيب التحديات المعاصرة التى يواجهها مجتمعنا المصرى حسب خطورتها وأهميتها ، فقد رأت الطالبات موضوع الدراسة أن هذا الترتيب هو ، الحرب مع اسرائيل ، ثم الأمية بأنماطها ، ثم مشكلة السكان ، ثم الامراض المتوطنة ، ثم مشكلة المواصلات ، ثم تعاطى الحشيش ، ثم مشكلة البيروقراطية ، وأخيرا موقف الامبريالية العالمية .. والمقصود بالتحديات **المعاصرة** هى المشاكل والادواء التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر ..

٩ — أما من حيث ترتيب التحديات العصرية التى يواجهها مجتمعنا المصرى المعاصر حسب خطورتها وأهميتها ، فقد رأت الطالبات موضوع الدراسة أن هذا الترتيب هو تفوق التكنولوجيا الصناعية ، ثم تفوق التكنولوجيا العسكرية ، ثم تفوق العلوم الانسانية ، ثم تفوق مستوى الخدمات الصحية والاجتماعية ، ثم تفوق مستوى البحث العلمى فى محيط الظواهر المادية والانسانية ، وأخيرا المستوى الرفيع للفنون بأنماطها ..

١٠— وكان من رأى الطالبات موضوع الدراسة فى ترتيب الأدوار الاجتماعية حسب أهميتها لكى ينهض المجتمع المصرى المعاصر ويتغير الى الأفضل أن الأولوية لدور رجل الدين ، ثم دور المعلم ، ثم دور الطبيب ، ثم دور الاخصائى الاجتماعى ، ثم دور الباحث العلمى ، ثم دور المهندس ، ثم دور السياسى ، ثم دور العامل ، ثم دور الفلاح ، ثم دور الاديب ، ثم دور المحاسب الالكترونى ، ثم دور الفنان ..

١١— ومن حيث الادوار الاجتماعية التى ترغب الطالبات موضوع الدراسة فى تأديتها فى مجتمعنا المصرى المعاصر نال دور الزوجة نسبة نحو ٢ر٣٢٪ ، ودور الأم نفس النسبة أى نحو ٢ر٣٢٪ ، ثم دور القائد الثقافى بنسبة نحو ٣ر٢٥٪ ، وأخيرا دور السياسى بنسبة نحو ٣ر١٠٪ ..

١٢— وقد وافقت نسبة نحو ٩٨٪ من الطالبات موضوع الدراسة على أنه « اذا صلح أعضاء المجتمع صلح المجتمع » ، فى حين أن نسبة نحو ٥١٪

منهن وافقن على أنه « اذا صلح المجتمع صلح أعضاؤه » • ومن حيث العبارة التى تقول ان « المجتمع أى مجتمع يستحق المشاكل التى توجد فيه » فقد وافقت عليها نسبة نحو ٣٤٪ منهن فقط ، والباقى لم يوافقن •• وقد وافقت نسبة نحو ٩٣٪ من الطالبات على أنه « لكى يصلح المجتمع يجب أن تصلح أخلاق أعضائه » !! وكانت نسبة اللاتى وافقن على أنه « يجب أن نكرس شطرا من وقتنا لنسعد الانسان وننسى المجتمع من حين الى حين » نحو ٤٥٪ •• وعبارة « مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات تبنى الأسرة السوية » ، نالت موافقة نحو ٨٤٪ من الطالبات أما عبارة « مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات لن تتحقق فى مجتمعنا الا اذا دفعت المرأة ضريبة الدم » فقد نالت موافقة نحو ٢٠ر٥٪ من الطالبات •

١٣- وقد ذكرت نسبة نحو ٣٧ر١٪ من الطالبات موضوع الدراسة أن العمل العام الذى قمن به ويعتبر مفخرة لهن كان فى مجال التعليم ، وان نسبة نحو ٣٤ر٣٪ منهن ذكرن أن هذا العمل كان فى المساهمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وان نسبة نحو ٢٨ر٦٪ منهن ذكرن أعمالا أخرى فى مجالات أخرى أهمها فى مجال الخدمة الاجتماعية •• أما العمل العام الذى يحببن الطالبات موضوع الدراسة أن يقمن به ويعتبرنه مفخرة لهن فقد ذكرت نسبة نحو ٦٥ر١٪ أنه العمل فى مجال التخصص ، وذكرت نسبة نحو ٢٧ر٩٪ منهن أنه مجرد الحصول على الشهادة !! والنسبة الباقية (نحو ٧٪) ذكرن أعمالا أخرى منها الحصول على مكانة فى المجتمع واكتساب مهارة وخبرة !!

١٤- وقد تبين أن الام فى رأى نحو ٣٨ر١٪ من الطالبات من أهم الاشخاص الذين يعتبرنهم قدوة لهن فى الأسرة ، وكان الأب فى رأى نحو ٣٦ر١٪ هو أهم هؤلاء الأشخاص ، ثم أشخاص آخرون مثل العم والزوج والأخ كانوا فى رأى نحو ٢٥ر٨٪ من الطالبات من أهم الأشخاص الذين يعتبرنهم قدوة لهن فى الأسرة ••

وفى ضوء الحقائق السابقة يمكن للقارىء أن يستخلص ما شاء له من نتائج ولعل أهم هذه النتائج فى رأيى أن تكون كما يلى :

١ - ان الأغلبية الساحقة من الطالبات موضوع الدراسة قد نشئن فى المدينة •• وأن جميع الطالبات يقمن فى وقت الدراسة فى المدينة •• أما عددهن فهو خمسون طالبة ••

٢ ــ انه عى ضوء الحقائق التى تتعلق بالطالبات وبخاصة من حيث مهن الآباء والأمهات يتيسر لى القول انهن من الطبقة الوسطى المنخفضة ·· مع ملاحظة أن الأغلبية الساحقة من الامهات من ربات البيوت أى ليس لهن مكان فى قوة العمل النسائية فى مصر طبقا للمفهوم الفنى المعروف!! وانى أرى وأرجو أن يرى القارىء مثلى أنه من الغبن أن تكون ربات البيوت المصريات خارج نطاق قوة العمل النسائية · فهن فى بيوتهن ينتجن للمجتمع أعظم ممن ينتجون فى هذا النطاق ذكورا كانوا أو اناثا فى ضوء معنى هذا المفهوم ·

٣ ــ ان أغلبية ساحقة (حوالى أربعة الاخماس) من الطالبات يرغبن فى ممارسة المهنة التى تخصصن فيها ·· ويعنى ذلك أن المجتمع يتوقع قوة عاملة جديدة فى شخص هؤلاء الطالبات وغيرهن ممن على شاكلتهن ·· ومع ذلك فاننا نجد ما يقرب من نصف هؤلاء يرغبن فى العمل فترة من الوقت فى **بلد عربى أو أجنبى** ··

٤ ــ وحوالى ثلثى الطالبات موضوع الدراسة لا يقتنين مكتبة خاصة ·· أى أن هواية القراءة عنــــد هؤلاء محــدودة ولعلها أن تقتصر على الـكتب المدرسية · وحتى القارئات منهن يقرآن فى الغالب لـكتاب مشهورين ولكن لا يكتب الاحياء منهم ، الا فى النادر ، ما يحتاج اليه المجتمع المصرى المعاصر فى هذه الفترة من حياته حتى يبنى مستقبله المشرق · فما يكتب أو معظمه قد يدعو أحيانا الى التقليل من شــــأن المرأة أو السخرية منها ولا يؤكد الثقة فيها وحقها فى الكرامة والمكانة العاليه ··

٥ ــ وقد أكدت الأغلبية الساحقة من الطالبات موضوع الدراسة **قيمــــة المظهرية** السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر من حيث اقتناء الســيارة مثلا ·· ولعل الملاحظة رقم ٣ وهى رغبة ما يقرب من نصف الطالبات فى العمل فترة من الوقت فى بلد عربى أو أجنبى ان تؤكد ذلك ·· فالسفر يكون بالضرورة من أجل الحصول على النقود التى بها تشترى السيارة وغيرها من السلع الاستهلاكية ·· ومع ذلك فقد تبين أن أكثر من أربعة أخماس الطالبات راضـــيات عن المسكن الذى يسكن فيــــه ويعتبرنه مسكنا لائقا ·· أما غير الراضيات عن مسكنهن فانهن يرغبن فى السكنى فى حى أفضل أو فى فيلا مستأجرة أو فى شقة مستأجرة أكبر ·· ورفضت الطالبات جميعـــا حتى **اللاتى نشئن فى الريف أن يسكن فى الريف !!**

٦ - وقد تبين أن أغلبية ساحقة من الطالبات ، المتزوجات منهن وغير المتزوجات يرغبن فى انجاب أطفال لا يزيد عددهم على ثلاثة ، مع ملاحظة أن نسبة عالية لا يرغبن فى انجاب أكثر من طفلين ·· وهن يرغبن فى تعليم أطفالهن **وخصوصا الذكور** منهم حتى المستوى الأعلى ·· وهن يرين أن مشاركة الازواج فى تربية الأبناء ضرورة ·· ويرين ضرورة وجود **نمط من تقسيم العمل** بينهن وبين أزواجهن الحاليين أو أزواج المستقبل ·· وهن يوافقن على ممارسة الاختلاط بين الجنسين فى محيط الأسرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الاصدقاء من الجنسين ·· **والأغلبية** الساحقة من المتزوجات **قانعات بحياتهن الأسرية** ·· وما يقرب من أربعة أخماس الطالبات غير المتزوجات (الراغبات فى الزواج) يرغبن الزواج **من مصرى ، وأكثر من نصف هؤلاء** يرين أن يكون الزوج فى نفس مستواهن العلمى ··

وكل هذه الحقائق تؤكدها ظروف المجتمع المصرى المعاصر ·· انها حقائق متناقضة وتدل على البلبلة الفكرية ·· فالطالبات موضوع الدراسة أو معظمهن يوافقن على تنظيم النسل ولكنهن يفضلن الذكور على الاناث !! وهن يرين ضرورة وجود نمط من تقسيم العمل بينهن وبين أزواجهن الحاليين أو أزواج المستقبل ، ولكنهن يوافقن على ممارسة الاختلاط بين الجنسين فى محيط الأسرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الأصدقاء من الجنسين ·· وهن قانعات وشاعرات بالنقص اذ يرغب حوالى الخمسين منهن فى أن يكون الزوج فى مستوى علمى أعلى من مستواهن العلمى ·· ومع ذلك فاننا نرى أن أغلبية ساحقة من الراغبات فى الزواج (ما يقرب من أربعة أخماسهن) يرغبن فى الزواج من مصرى ··

٧ - ونلاحظ أن الوطنية المصرية الأصيلة تتجلى عند الطالبات موضوع الدراسة · فأول التحديات المعاصرة (أى المشاكل والأدواء) التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر عندهن هو « الحرب مع اسرائيل » ·· ان هذا التحدى هو أخطر التحديات فى الوقت الراهن عند الطالبات ·· ويلى هذا التحدى « وباء » الأمية بأنماطها ، أى أمية القراءة والكتابة والأمية العلمية والأمية الفنية ··· الخ · ويلى تحدى وباء الأمية بأنماطها ، مشكلة السكان ، تلك المشكلة التى تشكل أمام المخطط المصرى مهمة صعبة حيث يجب عليه أن ينسق أهداف التنمية القومية عامة مع أهداف السياسة السكانية بغير تضحية لا مبرر لها فى

أحد الجانبين . فالمشكلة السكانية تعنى ، كما يعلم القارىء ، ليس فقط الترحيب بانخفاض معدل وفيات الأطفال وارتفاع مستوى العمر بل تعنى أيضا انخفاض معدلات المواليد وارتفاع نسبة السكان فى المدن والمناطق الحضرية الى مجموع السكان .. وتؤكد الحقيقة الاخيرة رفض الطالبات جميعا حتى اللاتى نشئن فى الريف أن يسكن فى الريف (أنظر نتائج هذه الدراسة بند رقم ٥) . وتلى مشكلة السكان ، مشكلة الأمراض المتوطنة ، تلك المشكلة التى عاشت مع أعضاء المجتمع المصرى زمنا طويلا ، وهى تتضمن أمراض البلهارسيا والانكلستوما والملاريا ... الخ .. وتلى هذه المشكلة مشكلات المواصلات ثم تعاطى الحشيش وأخيرا مشكلة البيروقراطية (السلبية) على التوالى . ولعل الطالبات فى ضوء هذا الترتيب قد وفقن الى حد بعيد ..

٨ ـ والملاحظ أن بلاد العالم المتقدمة منها وغير المتقدمة تواجه تحديات العصر . ففى ضوء الظروف العالمية نجد العملاقين روسيا والولايات المتحدة قد سبقا الكثير من الدول فى مضمار التقدم العلمى والتكنولوجى وغيره من ألوان التقدم . ان البلاد الاوربية قد تأخرت كثيرا فى هذه المجالات عن هذين العملاقين ، ومن ثم فهى تواجه تحديات عديدة . ومن باب أولى قد تأخرت بلاد العالم الثالث (البلاد النامية) ومنها مصرنا الخالدة عنهما .. وقد رتبت الطالبات موضوع الدراسة التحديات (أى تحديات العصر) التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر حسب خطورتها وأهميتها .. فكان أول هذه التحديات فى رأيهن تفوق التكنولوجيا الصناعيه ، ويلى ذلك تفوق التكنولوجيا العسكريه ، ثم تفوق العلوم الانسانية ، ثم تفوق مستوى الخدمات الصحية والاجتماعية ، ثم تفوق مستوى البحث العلمى فى محيط الظواهر المادية والانسانية ، وأخيرا المستوى الرفيع للفنون بأنماطها .. وقد يختلف القارىء مع الطالبات موضوع الدراسة وقد يتفق معهن فى هذا الترتيب .. ومع ذلك فأن مستوى الصدق فيه (أى فى هذا الترتيب) يدعو الى التفاؤل ببعض أمهات المستقبل وببعض القائدات الرسميات للمجتمع المصرى فى وقت غير بعيد ..

٩ ـ ويتفق رأى الطالبات موضوع الدراسة مع رأى الأغلبية الساحقة فى المجتمع المصرى المعاصر فى أن الادوار **(أدوار رجل الدين ثم المعلم ثم**

الطبيب) فى هذا المجتمع لها الاولوية عن غيرها من الادوار الاجتماعية .. فكل هؤلاء يمارسون مهنا نبتت فى المجتمع المصرى منذ المـــاضى السحيق ، وربما كانت أول المهن فى العالم الانسانى بأجمعه . وقـد جعلت الطالبات دور الاخصائى الاجتماعى قبل دور الباحث العـلمى وقبل دور المهندس .. وجاءت الادوار الاخرى على خطورتها بعد ذلك فى الترتيب مثل أدوار السياسى والعامل والفلاح والأديب والمحاسب الالكترونى والفنان ..

ومهما يكن من الامر فهذه الآراء تعكس خبرات الطالبات موضـــوع الدراسة ، ولعل ابراز ذلك أن ييسر للمسئولين العمل على التصحيح ان لزم التصحيح .. **ولست أرى** أن يأتى دور المحاسب الالكترونى أو دور المهندس أو دور العامل أو دور الفلاح فى ضوء التحديـــات المعاصرة والتحديات العصرية ، كما ذكرت الطالبات ولست **أرى أيضا أن يكون دور الفنان آخر الادوار الاجتماعية فى الترتيب** .. ذلك لاننى اذ أدعو ملحا الى نشر الوعى العلمى كأساس للفهم الموضوعى والتفاهم بين أعضاء مجتمعنا ، **أدعو ملحا كذلك الى نشر الوعى الفنى بينهم ..** فالفنون على اختلاف صورها ومنابتها ، هى كما يعلم القارىء ، مـن الوسائل الانسانية التى تؤكد سبيل الاتصال السلمى والتفاهم الواعى بين الشعوب .. واذا كانت الحاجة ماسة دائماً الى المزيد من المعرفـة المنتظمه (العلم) ، فالحاجة ماسه دائما وباستمرار الى المزيد من الفن الصادق .. فالوصول الى حقيقة روح مصرنا الخالدة فى عمقها وفى أصالتها هو هدف الاهداف .. والملاحظ أن المناهج الى المعرفه الموضوعية لهـــذه الحقيقة ليست فى العادة عديدة .. ولن تكون خـيرا من **الفن** الصادق والمعرفة المنتظمه الوسيله الى هذه المعرفة الموضوعية ..

١٠- وعلى الرغم من أن الاغلبية الساحقة من الطالبات يرغبن فى ممارسـة المهنة التى تخصصن فيها، فان دورى الزوجة والام قد نالا اهتمامهن.. فالزواج ما زال هدفا تسعى اليه الفتاة المصرية ، ودور الام ما زال محتفظا فى مجتمعنا بكرامته وهيبته وعلو مقامه .. وقد تبين أن دور السياسى لم يحظ كثيرا باهتمام الطالبات .. واذا كان دور القائـد الثقافى قد حظى بربع الاصوات فانه من الملاحظ أن دور الزوجة أو دور الام يعتبر فى معظم المجتمعات ، أو ربما كلها ، **دورا غير رسمى مـن أدوار القيادة الثقافية فى المجتمع ..**

١١- كانت الأغلبية الساحقة من الطالبات ان لم يكن اجماعهن يرين انه « اذا صلح اعضاء المجتمع صلح المجتمع » ·· وحوالى نصف الطالبات فقط يرين أنه « اذا صلح المجتمع صلح أعضاؤه » ·· ولعل ذلك أن يرجع الى البلبلة الفكرية التى يعيشنها فى الوقت الراهن ·· فالملاحظ أنه اذا كان أعضاء المجتمع من انتاج الظروف الاجتماعية الاقتصادية والخبرات المنتظمة وغير المنتظمة ، فان أعضاء المجتمع هم الذين يغيرون هذه الظروف ، وان الخبرات المنتظمة وغير المنتظمة فى حاجة الى اعضاء المجتمع لكى ينقلوها الى الاخرين ·· واذا كان الانسان يصنع المجتمع فان المجتمع يصنعه أيضا ، فالعلاقة بينهما (الانسان والمجتمع) علاقة جدلية ··

وقد رأت حوالى ثلث الطالبات **فقط** الموافقة على أن « المجتمع أى مجتمع يستحق المشاكل التى توجد فيه » ، ووافقت أغلبية ساحقة من الاجماع على أنه « لكى يصلح المجتمع يجب أن تصلح أخلاق أعضائه » !! فاذا كان المجتمع اى الناس أى البشر الذين يكونونه لا يستحقون المشاكل التى توجد بينهم ، فانه يلاحظ أن الاخلاق الصالحة هنا عامل حاسم فى اصلاح المجتمع · ويبدو عند الطالبات موضوع الدراسة أو أغلبيتهن الساحقة أن الأخلاق الصالحة لا علاقة أخرى لها بالمجتمع الصالح أو المجتمع الطالح · فهى تؤثر فى هذا المجتمع أو فى ذلك وأيهما لا يؤثر فيها · أى أن الاخلاق الصالحة تؤثر فى المجتمع فيكون صالحا ولا تتأثر به ، والاخلاق الطالحة اذا جاز لنا أن نقول تؤثر فى المجتمع فيكون طالحا ولا تتأثر به · أى أن الأخلاق هنا قد تعنى أنها شىء أو أشياء باطنية فى الانسان · وهى فى ضوء اجابات الأغلبية الساحقة من الطالبات موضوع الدراسة تكاد أن تكون شيئا أو أشياء خلقية فى الانسان ، توجد عندما يولد وتبقى معه فى أثناء حياته تؤثر فى المجتمع ولا تتأثر بالمجتمع !! ولعل ما توحى به اجابات هؤلاء الطالبات السابقة فى هذا الصدد أن يكون مرجعه كما سبق أن ذكرت ، **الى البلبلة الفكرية التى تعيشها هذه الاغلبية فى الوقت الراهن** ·

وقد أبدت أغلبية ساحقة (نحو ٨٤٪) من الطالبات موضوع الدراسة الرغبة فى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات حتى تبنى الأسرة السوية · ويبدو أن المرأة المصرية غير مستعدة فى الوقت الحاضر لكى تدفع ضريبة الدم (أى تجند وتحمل السلاح وتحارب) ، فقد نال هذا الرأى موافقة حوالى **ربع الطالبات فقط** ··

١٢- وقد تبين أن نصيب الأب من حيث النسبة يتساوى تقريبا مع نصيب الأم من حيث أهمية الأشخاص الذين يعتبرنهم الطالبات موضوع الدراسة قدوة لهن فى الأسرة ٠٠ أى أنه على الرغم من مكانة الأم المصرية الرفيعة فى مجتمعنا المصرى المعاصر فان الأب فى محيط هؤلاء الطالبات الجامعيات هو القدوة والأسوة **أو هو يشترك** مع الأم فى هذه القدوة والأسوة ٠٠ ولعل ذلك لا يتعارض مع النتيجة السابقة وهى أن نحو ٨٤٪ من هؤلاء الطالبات قد أجبن بالايجاب عن العبارة « مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات تبنى الأسرة السوية » !!

٣ - الأسرة المصرية وصراع الأجيال

ان أشكال الأسرة المعترف بها توجد فى المجتمعات الانسانية المعروفة . ويبدو أن هذه الأشكال قد وجدت فى الازمان المبكرة قبل التاريخ ، فهى أقدم من المؤسسة الدينية (الكنيسة مثلا) ومن مؤسسة الدولة(١) ، أى أن الأسرة قد وجدت فى مجتمعنا المصرى ، القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة ، منذ أقدم العصور .

والأسرة ، كمفهوم ، من وجهة النظر الاجتماعية ، هى احدى الجماعات الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع ، وهى تعتبر من أهم هذه الجماعات .. فهى كما يقول « أوجست كونت » الوحدة الاجتماعية الأساسية التى تنشأ عن طريق ترابطها التجمعات الاجتماعية التى يكون التعاون الواعى أساس وجودها ، مثل الطبقات الاجتماعية والمدن(٢) ، ويمكن اعتبار الأسرة وحدة نشاط اجتماعى لأشخاص يعيشون معا فى تفاعل مستمر فى بناء حضارى معين ، وهى مسئولة عن عدد من الوظائف الاجتماعية والبيولوجية(٣) . وعند مابل ايليوت (Mabel Ellioc) وفرنسيس ميريل (Francis Merril) ان الأسرة يمكن تعريفها بأنها وحدة بيولوجية اجتماعية مكونة من زوج وزوجة وأبنائهما .. ويمكن اعتبار الأسرة أيضا نظاما اجتماعيا أو منظمة اجتماعية متعارفا عليها ، تقوم بسد حاجات انسانية معينة(٤) .

والأسرة كجماعة اجتماعية موجودة ، كما ذكرنا من قبل ، فى كل مجتمع، ويندر أن يفلت منها الطفل العادى فى أى جزء من أجزاء العالم . ومن وجهة النظر الحضارية نجد أن العادات التى يمارسها أعضاء هذه الجماعة الاساسية تختلف من مجتمع لآخر .. فانتشار وجود الأسرة فى المجتمعات الانسانية يعتبر العامل الأساسى للعنصر الاجتماعى لأى موقف ثقافى ، وان كل ثقافة يجب بالضرورة أن تحتوى على نماذج من العادات توائم هذه الحال(٥) .

وقد تطور نطاق الأسرة على مر الأيام ، وأخذ يضيق شيئا فشيئا حتى وصل الى الحد الذى استقر عليه الآن فى معظم الأمم المتمدينة فى العصر الحاضر .. فأصبحت الأسرة لا تشمل الا زوجا وزوجة ومن يعولانهما من الأبناء ، وهذا ما يعبر عنه بالأسرة النووية أو الاسرة الفردية (Muclear family).

والملاحظ أن هذا النوع يكثر فى الحضر • وقد يتسع نطاق الأسرة ويكبر فى بعض الأحيان ، فنجد فى الريف مثلا الاسرة المركبة (Composite family) وهى جماعة اجتماعية مكونه من أسرتين أو أكثر من الاسر الفردية ، تجمعها صله القربى ، ويعيش أعضاؤها عادة فى مسكن واحد • أو نجد الأسرة الممتدة (extended family) ، وهى جماعة اجتماعية مكونة من عدد من الأسر الفردية على صلة من القربى ، وهى عادة الاسر الفردية للرجـــل وأبنائه أو للمرأة وبناتها التى يعيش أعضاؤها فى مسكن واحد كبير أو فى عدد مساكن صغيرة متقاربة(٦) •

ونلاحظ فى الواقع أن كل شخص ، مهما كان مجتمعه ، قد ينتمى فى خلال حياته الى نوعين من الاسرة ، ذلك من حيث مكانته الاجتماعية فى محيط وحدة الأسرة • الاسرة الاولى ، هى ما يمكن أن نطلق عليها أسرة التوجيـــه (family of orientation) وهى تتكون من أبويه واخوته وأخواته • والأسرة الثانية هى أسرة التناسل (family of procreation) تتكون من زوجته وأبنائه وبناته • والملاحظ أن الشخص فى أسرة التوجيه يكون عادة خاضعا لأبويه أو لأحدهما ، أما فى أسرته التناسلية فانه يكون عادة مقيدا بواجباته نحو أبنائه وبناته • وقد يكون هناك فى هذا المجال ، كما يعلم القارىء استثناءات(٧) •

وتتكون الاسر فى المجتمعات المختلفة فى معظم الاحيان عن طريـــق الزواج ، وتوجد أربع صور عامة لنظام الزواج ، هى بترتيب شيوعها : نظام الزواج الفردى monogamy ونظام تعدد الزوجات polygamy ونظام تعدد الازواج polyandry ثم نظام الزواج الجماعى group Marriage ويشيع فى المجتمع المصرى المعاصر النظامان الاول والثانى ••

وكما تطور نطاق الأسرة على مر الايام ، تطورت وظائفها الاجتماعيـة كذلك •• فالاسرة فى مبدأ نشأتها كانت تقوم بمعظم الوظائف الاجتماعية من اقتصادية ودينية وخلقية وقضائية وتربوية وترويحية • وقد انتزع من الاسرة فى العصر الحاضر هذه الوظائف أو أغلبها • وهذا يعنى أن الصلات الاسرية او العائلية لم تعد تتحكم فى البناء الاجتماعى • وهذا يعنى ان الأسرة (وخاصه الأسرة الفردية) قد أصبحت أكثر تخصصا من ذى قبل ، بل يمكن القول بأنها أصبحت أكثر تخصصا مما كانت عليه فى أى مجتمع سابـق معروف(٨) • وأصبح من أهم وظائف الأسرة (الفرديـة) تنظيم الاشباع الجنسى بصورة يقرها المجتمع ، وحفظ النوع البشرى عن طريق انجـــاب

الأطفال ، والاسهام فى القيام بعمليات تنشئتهم الاجتماعية أى اعدادهم للحياة أعضاء صالحين فى المجتمع الذى ولدوا فيه ويعيشون • فالملاحظ أن الأسرة (وخاصة الأسرة الفردية) لم تعد وحدها تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لأطفال المجتمع ، بل أصبحت فى ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية تشترك معها أجهزة أخرى من أهمها الجيرة والمدرسة والمنظمة الدينية (المسجد أو الكنيسة) والنادى الاجتماعى والمنظمة السياسية وأجهزة الاعلام والثقافة (الجريدة والمجلة والكتاب والسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون •• الخ) •

وتجب ملاحظة أن الأسرة فى بعض البيئات ، وخاصة فى البيئات الريفية ، لا تزال فى الوقت الحاضر محتفظة ببعض وظائفها القديمة • وأصبحت أهم وظيفة للأسرة (وخاصة أسرة التوجيه) فى الوقت الحاضر هى القيام (الاشتراك فى الواقع فى القيام) بعمليات التنشئة الاجتماعية لاطفالها • فهى بحكم تكوينها تحتوى على جيلين يشتركان معا فى معيشة واحدة • فالزوجان يكونان جيلا سابقا ، والاطفال يكونون جيلا لاحقا •• ويعلم الجيل السابق الجيل اللاحق وينقل اليه النماذج الحضارية والثقافية المختلفة التى توجد فى المجتمع •• فالأطفال يدربون فى الأسرة على عمليات الأكل والاخراج ومواجهة الألم والكلام والنظافة واستعمال الملابس وأدوات الزينة فضلا عن عمليات التفاعل الاجتماعى المتعددة(٩) •

ولا يتأتى قيام الاسرة بهذه الوظيفة الهامة الا بتهيئة الوسائل السليمة المتعلقة بالحضانة والكفالة للاطفال وخاصة فى مراحل نموهم الأولى • وهذه هى مهام الأسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا ، أو مهام الأسرة السوية على حد قول « ميريام ف• ووترز Miriam V. Waters • والمقصود بالأسرة السوية فى رأيها ، الأسرة التى « تؤدى واجبات حيوية لصغارها ، فهى تعطى مأوى مريحا وغذاء سليما دون أن يعرضهم هذا العطاء للخطر أو يجلب لهم أى قلق • وهى التى تساعد أطفالها على أن ينمو نموا صحيا ، وتغرس فيهم حب الخير والكرامة الاجتماعية • وهى التى تربى أطفالها كى يستطيعوا مواجهة قوانين السلوك العامة فى المجتمع فى المستقبل ، وكى يستجيبوا للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة • وهى التى تدرب أطفالها على فن الحياة الجمعية ، فى نطاقها الضيق ، عندما تكون العلاقات الانسانية ما زالت بسيطة وحانية • وأخيرا هى التى يكون هدفها الأسمى هو فطام شبابها ، لا من الرضاعة ، ولكن من الاعتماد على الغير ومن الاعتماد على حنان الأسرة وبساطتها حتى يستطيع شباب الأسرة أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات خارجها فى محيط علاقات انسانية تكون عادة أكثر حزما وأقل حنانا وبساطة »(١٠)•

ولا ينكر أحد أهمية الأسرة السوية ، أو الأسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا • ولكن مثل هذه الأسرة المثالية الحقيقية لا يكثر وجودها فى هذه الأيام حيث تكون أعباء الحياة الحديثة عديدة ومتكررة • وما يترتب على ذلك من توترات نفسية مما يجعل من الصعب تحقيق راحة البال • فمعظم الأسر فى الوقت الحاضر غير مستقرة أو يشيع فيها نوع ما من الارتباك • والأسرة غير المستقرة أو التى يشيع فيها الارتباك تعتبر أماكن غير صالحة لتربية الأطفال(١١) •

ومما يؤكد ندرة الأسرة المثالية فى مجتمع كمجتمعنا ، ما نلاحظه فى محيط أسرنا وخصوصا فى محيط مجتمعات المدن • فالملاحظ أن الأجيال فى أسرنا قد أصبحت فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر أجيالا ثقافية أكثر منها أجيالا زمنية • وفى مجتمعات المدن المصرية على وجه الخصوص ، نلاحظ أنه يعيش فيها أكثر من جيل واحد • أى أن هذه المجتمعات تتألف من مجموعة من الأجيال • وذلك من حيث النظم ومناحى الفكر والاتجاهات والنزعات بين أعضائها • وقد أدى هذا الى تفاوت كبير فى النظرة الى الحياة وغاياتها ووسائلها المشروعة ، مما يعقد مهمة المشرع أو المصلح الاجتماعى(١٢) •

والملاحظ أن هذا التفاوت الكبير قد ينتهى به الأمر الى ما يعبر عنه بمفهوم « الصراع » بمعناه الاجتماعى • وهو عبارة عن عملية اجتماعية وموقف يحاول فيه اثنان أو أكثر من الكائنات البشرية أو الجماعات الاجتماعية أن يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه ، ومنع الآخر من تحقيق ذلك لو اقتضى الأمر القضاء عليه وتحطيمه • ويرتبط الصراع جوهرا بوجود حدود لمصادر الاشباع المختلفة ، وفى معناه السوسيولوجى يتضمن بالضرورة كائنات انسانية • وهو ذو درجات مختلفة من الشدة والانتشار تبعا لأهداف وأغراض أطراف الصراع • ويعد الصراع ظاهرة عامة تلحظ فى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، وفى الاقتصاد والسياسة واللغة والدين والمعايير الأخلاقية وبين الطبقات • وقد يكون داخل الجماعات الاجتماعية أو بينها •

ويرى بعض علماء الاجتماع أن الصراع نوع من التفاعل الاجتماعى بمعنى أنه عملية من العمليات الاجتماعية • ولذلك حاولوا أن يميزوا بينه وبين المنافسة ، بل ان البعض يعتبره نوعا من التنافس ، يحاول المتنافس أن ينظم فيه جهوده وقوته ، أملا فى الفوز • ولذلك يرون أنه أقسى عملية بين العمليات الاجتماعية أو انه نوع عنيف من التنافس • ومع ذلك فهناك فارق بين المنافسة والصراع ، فالوعى شرط ضرورى للصراع فى حين أن هذا الوعى

ليس ضروريا بالنسبة للمنافسة بل أن هناك أنواعا من المنافسة تكـــون لا شعورية • هذا ويعتبر كل من الصراع والمنافسة أشكالا للنضال أو الكفاح struggle • ومن الجدير بالذكر أن الصراع قد يكون مباشرا أو غير مباشر ، واضحا أو ضمنيا كامنا • وأنه قد يكون وظيفيا حيث يساعد فى التغيير والوحدة والتضامن • وقد يكون معوقا وظيفيا(١٣) •

واذا اعتبرنا أن الشعور بالعداوة هو ، أولا وقبل كل شىء ، شعـــور انسانى • وأنه ينم عن الصراع ، فالملاحظ أنه يكون كذلك مصدرا لهـــذا الصراع • وفى محيط الجماعات نلاحظ أنه كلما ازداد تباين الادوار الاجتماعية التى تقوم بها هذه الجماعات أو يقوم بها الأشخاص فى المجتمع ، ازدادت احتمالات وجود الصراع الجماعى • فالناس فى عصرنا الحالى ، عصر الربـــع الأخير من القرن العشرين ، فى أغلب الأحيان ، يعيشون فى ثقـــافات أكثر تعقيدا وأكثر تطورا عن ذى قبل • ومن ثم فان احتمالات وجود الصراع ، وربما وجود ألوان من الفوضى ، فى هذا الضوء ، احتمالات أكبر • والملاحظ فى المدنيات المعقدة أننا نجد أن الشعور بالعداوة الجماعى يزداد بالضرورة • ذلك لان كل تنوع أو تباين ، مثل تقسيم العمل وعدم التجانس ، يؤدى ، عادة ، الى ايجاد أنواع عديدة من المصالح الخاصة •

ويزداد احتمال وجود الصراع الجماعى كلما كانت التغيرات الاجتماعية فى المجتمع ، والتى يضطر أعضاء المجتمع الى أن يتكيفوا ازاءها ، تحـــدث بخطى أسرع وتتكون عنها آثار عميقة فى المدى البعيد ولفترة طويلة من الزمان • فنرى الناس وهم مضطرون الى القيام بعمليات التكيف ازاء الظروف الجديدة قد يبدون ألوانا متزايدة من النشاط العدوانى فى ناحية من النواحى على الرغم من أن وضعهم المستهدف قد يكون ، فى العادة ، أفضل من الوضع السابق • وقد يتضح ذلك بخاصة اذا حيل بينهم ، أقصد الناس ، وبين المنافذ التى اعتادوا أن ينفسوا عن شعورهم بالعداوة عن طريقها(١٤) •

ومن الملاحظ أننا نجد أن المجتمع الذى يواجه ظاهرة التغيير الاجتماعى السريع يواجه فى الواقع التغيير فى تراثه الاجتماعى بعناصره الثقافية المادية وغير المادية • وهو تغيير يحدث عادة بنسب متفاوتة • فيلاحظ أن العناصر الثقافية المـــادية (الآلات ووسائل المواصـــــلات ووسائل الاتصال والمبـــانى والاثاث ••• الخ) فى التراث الاجتماعى تتغير عادة بسرعة أكبر من العناصر الثقافية غير المادية (اللغة والعادات والاعراف والمعتقدات •• الخ) • أى أنه بينما تتطور العناصر الثقافية المادية فى المجتمع المتغير بخطى أوسع نجد أن

العناصر الثقافية غير المادية فى تطورها تتخلف · وهذا ما يعبر عنه بظاهرة « التخلف الثقافى » (Cultural lag) ويصاحب ظاهرة التخلف الثقافى عادة ظاهرة أخرى يعبر عنها بظاهرة «الخلل الاجتماعى» (Social disorder).

والمقصود بالظاهرة الاخيرة ما يصيب المجتمع من مظاهر القلق والاضطراب والتناقض فى العلاقات الاجتماعية بين أعضائه · سواء أكان مجتمعا صغيرا كالاسرة ، أم كبيرا كالامة بأسرها ، أم أكبر وأشمل كالمجتمع الدولى · وينجم عن هذه الظاهرة فى ضوء ما سبق الصراع بين القديم والجديد ·

ويبدو هذا واضحا ، كما سبق أن بينا ، بين أعضاء الأسرة الواحدة ، حيث لا توجد فيها أجيال زمنية فحسب ، بل أجيال ثقافية كذلك · كما تتحقق هذه الظواهر بين المجتمعات القروية والمجتمعات الحضرية التى تتفوق عليها فى مجالات الحضارة المختلفة · وفى نطاق المدينة أو القرية الواحدة تنشأ هذه الظاهرة أيضا بين الجماعات القديمة المتخلفة وبين الجماعات الجديدة المتقدمه · ويتبلور الصراع عادة ويكون واضحا جليا بين القيم الاجتماعية القديمة المعوقة وبين القيم الجديدة التى تعكس بالضرورة صور الظروف الاجتماعية الجديدة · وما القيم الاجتماعية القديمه الا رواسب لا تزال تعمل فى نفوس الناس وتوجه سلوكهم وتتحكم فى حياتهم · ومن المسلم به أن التقاليد ليست جزءا منفصلا عنا ، ولذلك يتمسك بها الناس على الرغم من التطور فى مضمار الحضارة ، ومهما كان تيار هذا التطور قويا جارفا ·

ويلاحظ أن ظاهرة التغيير الاجتماعى السريع فى مجتمعنا المصرى المعاصر حقيقة لا ريب فيها ، وان ما ينجم عنها من « تخلف ثقافى » ومن « خلل اجتماعى » وما يصاحبهما من تناقض أو صراع أو قلق واضطراب ، يجب أن يعتبر أمرا عاديا ومسائل متوقعة ونتائج طبيعية لتلك الظاهرة(١٥) ·

وفى ضوء بعض الدراسات التى قمت بها قبل عام ١٩٦٦ فى محيط الأسرة المصريه من حيث بنائها أو تكوينها (أو نطاقها) فى ضوء المجتمع المصرى المتغير ، لاحظت بعض الملاحظات ، منها ما يلى :

- أن بناء الأسرة أو تكوينها (أو نطاقها) أخذ يضيق شيئا فشيئا ، حتى أصبحت الاسرة لا تشمل الا زوجا وزوجة ومن يعولان من أبناء · ومن ثم نجد أن نوع الأسرة الفردية وبخاصة فى الحضر قد بدأ يتكاثر ·وهو يتكاثر على الدوام كلما اتسعت رقعة الحضر فى مجتمعنا · وهذه الرقعة تتسع ويزداد اتساعها على مر الأيام ··

- انه بظهور الأسرة الفردية فى مجتمعنا قد اختفت أنواع أخرى من الاسر وظهرت معالم أنواع أخرى من الاسر الجديدة • فنجد مثلا وفى وضوح بداية اختفاء الأسرة المركبة « بمعناها التقليدى المعروف » • اى الأسرة التى تتكون من أسرتين أو أكثر من الأسر الفردية وتجمعها صلة القربى ويعيش أعضاؤها فى مسكن واحد • ونجد هذا النوع فى الوقت الحاضر فى الريف المصرى وفى بعض أحياء المدينة (مثل الأسر التى تكون قد نزحت فى الغالب من الريف الى المدينة ولم يمر على ذلك أمد طويل) •

- وهناك نوع آخر من الأسر بدأ يتلاشى كذلك هو « الأسر الممتدة » ، أى الأسرة التى تتكون من عدد من الاسر الفردية على صلة من القربى ، وهى عادة الأسر الفردية للرجل وأبنائه أو للمرأة وبناتها التى يعيش أعضاؤها فى مسكن واحد كبير ، أو فى عدة مساكن صغيرة متقاربة • والملاحظ أن هذا النوع لا يزال موجودا فى مجتمعنا ولكن خارج نطاق المدينة فى معظم الأحيان •

وازدياد نسبة وجود الأسر الفردية فى المجتمع المصرى ، أى أنه كلما اختفت الأسر المركبة والأسر الممتدة فى هذا المجتمع — يؤكد ظهور نوعين واضحين آخرين من الاسر ، وذلك من حيث وظائفهما الثقافية الاجتماعية العامة ، هما : «أسرة التوجيه » (أى أسرة التشخص التى تتكون من أبويه واخوته وأخواته) ، « وأسرة التناسل » (أى أسرة الشخص التى تتكون من زوجته وأبنائه) • والملاحظ أن هاتين الاسرتين مختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وان تشابهتا من حيث التكوين ، كما يلاحظ أنهما فى ضوء الظروف السائدة يتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بمرور الزمن •

- ان جل الأطفال المصريين يولدون فى أسر توجيهية سواء كانت أسرا فردية أو غير ذلك • ولكن يلاحظ ، كما سبق القول ، أن معظم أسر التوجيه وخصوصا فى المناطق الحضرية هى أسر فردية • وكذلك يمكن القول بأن جل أعضاء المجتمع البالغين ينتمون الى أسر التناسل • ومعنى هذا أننا نتوقع وجود أطفال لا يولدون فى أسر توجيه (الاطفال غير الشرعيين) ، وكذلك وجود أعضاء بالغين (ذكورا كانوا أو اناثا) لا يتزوجون لسبب أو لآخر • وقد يزداد عدد هؤلاء وهؤلاء بمرور الزمن •

وفى ضوء الملاحظات السابقة ظهرت أمامى فى ذلك الحين أكثر من علامة استفهام • وأننى أتجاسر وأحاول أن أضع النقط فوق الحروف وأحدد مجالات تساؤلاتى فى بعض الموضوعات ، منها :

- ما الموقف ازاء تيار ازدياد الاسر الفردية ؟ هل نوقف التيار ؟ وهل اذا أردنا ذلك نستطيع ؟ هل ننظم تدفقه ؟ وهناك سؤال أخير جدير بأن يكون السؤال الاول ، وهو هل نحس بهذا التيار ؟ واذا كانت الاجابة عن هذا السؤال بالايجاب ، هل حاولنا التعرف على مداه ومجالاته عن طريق الاحصاء والبحوث ؟

- ماذا نتوقع من آثار للتكوين الجديد لأسرنا فى مجتمعنا المتغير ؟ هل ستتغير أساليب اختيار الزوج أو الزوجة ؟ هل يصاحب هذا التكوين الجديد وجود تناقض أو صراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى الحياة الاسرية ، وخصوصا فى مجال الاسر المركبة والممتدة ، ومن ثم نتوقع يسرا فى سبيل مواجهه ظاهرة الثار مثلا ؟ ماذا سيكون من أمر العلاقات بين الزوج والزوجة وبين الاب والابن والام والابنه وبين هؤلاء جميعا ؟ ماذا سيكون من أمر الادوار الاجتماعية التى سيؤديها أعضاء الاسرة عادة ؟ ماذا سيكون من أمر دور الحماة ؟ وأخيرا هـــل سيكون تصدع الاسرة الفرديه ، من حيث التركيب (أى اذا ما فقدت هذه الاسرة الاب ، أو الأم بسبب الموت أو الهجران أو الطلاق أو السجن الطويل ، أو اذا مرضا أو مرض أحدهما بمرض مزمن) متوقعا بسبب صعوبه وجود الاب البديل (الجد والعم والخال مثلا) أو بسبب صعوبة وجود الأم البديلة (الجدة والعمة والخالة مثلا) ؟

- ماذا نعرف عن الأطفال غير الشرعيين ؟ هل يزداد عددهم أو ينقص ؟ ماذا أعددنا لمواجهة الزيادة المتوقعة وخصوصا فى نطاق المدن التى تنشأ حديثا والتى يزداد عددها على مر الأيام(١٦) ؟

ولعل القارىء المدقق أن يلاحظ مواطن الصراع بين الاجيال سواء كانت الاسرة فردية أو مركبة أو ممتدة ، وبخاصة فى مجتمع كمجتمعنا المصرى المعاصر ، اذا اهتممنا اهتماما خاصا بالصراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى محيط الاسرة المصرية واتجاهات الأدوار الاجتماعية فيها أو نظرتها نحو بعضها البعض • وليلاحظ القارىء قولى « وبخاصة فى مجتمع كمجتمعنا المصرى المعاصر » ، فهو مجتمع متغير وغير مستقر • أى أن ازدياد وجود الاسر الفردية فيه وبخاصة فى الحضر **لا يعنى غلبتها المطلقة** على الانواع الاخرى من الاسر ، وان اتجاه أسرة التوجيه وأسرة التناسل نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بمرور الزمن **لا يعنى أن هذا الانفصال قد أصبح أمرا واقعا** •

والملاحظ أن الصراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى محيط الأسرة المصرية هو فى الواقع صراع ثقافى • وهو فى الأغلب الأعم صراع قيمى بين الآباء والأبناء • فالقيم هى المسئولة عن الأحكام التى يصدرها الانسان على أى موضوع أو موقف ويرى فيها الانسان شيئا من الحق أو الخير أو الجمال• ومن الواضح أن استجابة الشخص لموقف معين أو اصداره حكما على قضية معيارية ينبع أساسا من القيم التى يتمثلها • فالملاحظ أن كل شخص عادى مهما كانت مكانته الاجتماعية فى الواقع له جهاز معين من القيم الاجتماعية يمثل عنده أنبل الأمور ، وأقدس الأشياء • ويبذل الشخص العادى فى سبيل الدفاع عن هذا الجهاز النفس والنفيس • ومع ذلك فالقيم الاجتماعية غير ثابتة أى أنها متطورة دائما ، متغيرة أبدا • ولكن يلاحظ أن تطور القيم الاجتماعية عند أى شخص وتغييرها يحتاجان عند هذا الشخص الى استعداد لذلك • وحتى اذا وجد هذا الاستعداد ، فان الحاجة الى الامكانات التى تساعد على هذا التطور وهذا التغيير ضرورة حيوية • أى أن وجود الاستعداد مع عدم وجود الامكانات لا جدوى منه • ويمكن أن نقول ان العكس صحيح(١٧) •

والملاحظ أن الصراع القيمى هو على وجه العموم كأى صراع اجتماعى ، أى هو كما سبق أن أوضحنا ، صراع بين القديم والجديد • وفى الأسرة يكون هذا الصراع بالضرورة صراعا بين الأجيال • وفى ضوء نتائج الدراسات الواقعية التى قمت باجرائها فى محيط الشباب المصرى ، وبخاصة ما يتعلق منها بنظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحو المرأة المصرية المعاصرة وبنظرة الشابات المصريات غير المتزوجات نحو الرجل المصرى المعاصر (أنظر الفصل الثالث : النظرة نحو المرأة المصرية المعاصرة) — يجد القارىء ألوانا شتى من الصراع بين الأجيال •• منها على سبيل المثال ، ودون ما تكرار ، **ما يتعلق بمعاملة الآباء ومعاملة الأمهات وبالاختلاط واختيار الأصدقاء أو الصديقات واختيار الزوج أو الزوجة •**

وأرجو أن يلاحظ القارىء أنه اذا اعتبرنا أن الصراع بين الأجيال فى محيط الأسرة المصرية المعاصرة هو صراع بين القديم والجديد ، أو هو صراع ثقافى ، أى أنه فى الأغلب الأعم صراع قيمى بين الآباء والأبناء ، فاننى لا يمكن أن أوافق على أن المشكلة الاجتماعية التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر فى هذا المجال لا يكون أساسها اختلاف الطبقات وصراعها - بقدر ما يكون هذا الأساس التفاوت بين الأجيال التى تعيش فى وقت واحد وصراعها(١٨) ، ان هذه المشكلة أكبر من ذلك وأعمق • انها مشكلة بناء المجتمع الجديد ، وهى عملية جذرية شاملة • أى أن زواياها عديدة ، تتضمن البناء الاجتماعى والبناء

الاقتصادى والبناء السياسى والبناء الايديولوجى أو الثقافى غير المـــادى جميعا • وتعنى هذه العملية مواجهة الكثير من التحديات • وليست هـذه التحديات هى ، فحسب ، تحديات عمليات الانتاج ، ورفع مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسى ، وغرس المبادىء الاشتراكية والديمقراطية بأنماطها العديدة ، ومواجهة الاستعمار وأذنابه فى الداخل وفى الخارج ، وتطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص ، بل هى أيضا خلق المناخ الثقافى الاجتماعى الايجابى الذى فى ظله يمكن أن تواجه كل هذه التحديات • وخلق هـذا المناخ الايجابى ، كما يعلم القارىء ، ييسر تطهير المتناقضات الثقافية فى مجتمعنا المعاصر ، كما ييسر التخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها • ومن ثم بتيسر وضوح الرؤية عند أعضاء هذا المجتمع ، أى يتيسر بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضل فى نفوسهم ، وذلك بغرس الحاجة الملحة الى كل ذلك • وهذا يعنى تيسير الظروف المواتية لتفجير طاقاتهم الانسانية الكامنة لتعمل كلها فى سبيل توفير الامكانات المادية والمعنوية جميعـــا التى تيسر تحقيق الأهداف كل الأهداف ••

المراجع والتعليقات

1. Encyclopaedia Britannica, U.S.A., 1968, volume 9, P. 54.
2. Timasheff, Nicholas, S. "Sociological Theory : Its Nature and Growth", New York, Raudom House, 1953, P. 24.
3. Warm, Stanley H., "Essentials of Sociology", Barron's Educational Series Inc., 1946, P. 75.
4. Elliot, Mabel and Merril, Francis E., "Social Disorganization", New York, Harper and Harpers Publishers, 1950, P. 329.
5. Gillin, John, "The Ways of Men", New York, Appleton — Century Crofts, Inc. 1948, P. 207.
6. Murdock, George P., "Dictionary of Sociology and Related Sciences", Ames, Iowa : Littlefield Admas and Co., 1955, P. 114.
7. "The Ways of Men", P. 421.
8. Persons, Talcott and Colloborators, "Family: Socialization and Interaction Process", Glencoe, Illinois, Free Press, 1955, P. 9.
9. "The Ways of Men", PP. 420 - 421.
10. Teeters, Negley K. and Reinemann, John Otto, "The Challenge of Delinquency", New York Prentice Hall, 1952, PP. 149 - 150.

١١ — المرجع السابق : صفحة ١٤٩ ·

١٢ — سليمان حزين : خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخيــــة والثقافية فى الشرق العربى ، حلقة الدراسات الاجتماعيـــة للدول العربية ، بيروت ، ١٩٤٩ ، صفحة ٢٧ ·

١٣ — أحمد الخشاب : مفهوم « صراع » فى علم الاجتماع ، معجم العلـوم

الاجتماعية القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، صفحتا ٣٤٧ — ٣٤٨ .

١٤ — سيد عويس : محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، صفحتا ٥٧ — ٥٨ .

١٥ — سيد عويس : مفهوم « خلل اجتماعى » ، معجم العلوم الاجتماعية ، صفحة ٢٤٥ ..

١٦ — سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ١٩٨ — ٢٠٣ .

١٧ — سيد عويس : مذكرات يوغسلافية ، انطباعات وحقـــائق وآراء . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٤ ، صفحتا ١٠٨ — ١٠٩ .

١٨ — خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى ، صفحة ٢٧ .

خاتمـــة

الآن وقد تم الكتاب الحالى : « حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية » ، أرى لزاما على أن أؤكد للقارىء ، كما أكدت له من قبل فى المقدمة ، أن الدراسات التى يضمها هذا الكتاب لا تهدف الى التعرف على « الشخصية القومية » للمرأة المصرية المعاصرة • لان محاولة ذلك فى ضوء غموض هذا المفهوم (أى مفهوم الشخصية القومية) ومثاليته أمر ليس هينا بل هو أمر مستحيل • فالملاحظ أن مفهوم « الشخصية القومية » أو مفهـــوم « الطابع القومى » national character قد يعنى ببساطة « محاولة عزل الدوافع المشتركة بين أعضاء أحد المجتمعات الذين يشتركون فى نفس العادات أو فى نفس الثقافة ، ووصف هذه الدوافع » • ومفهوم « الشخصية القومية » أو مفهوم « الطابع القومى » هو مفهوم أنثروبولوجى ، واننا نجد أنه يستخدم فى بعض الأحيان **استخداما فضفاضا** لكى يعنى أن يكون مرادفا لكل أنماط السلوك الثقافى المتعلم • ويعنى تطبيق هـــذا المعنى أن ارتبـــاط « الطابع » بالثقافة هو بصورة عامة ارتباط بذاته • ومن الواضح أن مفهوما بهذا المعنى الشامل ، **فى ضوء ظروف المجتمع المصرى « المتغير » ، لن يسمح بجمع حقائق ميدانية دقيقة(١) •**

وفى هذا الضوء نلاحظ أن الكتاب الحالى قد ضم بين دفتيه نماذج متعددة من الأنثى المصرية • منها الأنثى التى تعيش فى القرية والتى تعيش فى أحد أحياء المدينة المتخلفة ، ومنها الانثى التى تطلب العلم فى المعهد العالى أو فى الكلية الجامعية ، ومنها الأنثى التى ترتكب الجرائم • وقد تكون هذه الانثى مجرد فتاة أو شابة أو امرأة متزوجة أنجبت أطفالا أو لم تنجب أطفالا أو امرأة غير متزوجة ، كما قد تكون من الأحياء أو من الأموات ••

والقارىء لهذا الكتاب يلاحـــظ اهتمامى الكبير بابراز المناخ الثقافى الاجتماعى الذى تعيش فى ظله هذه النماذج المتعددة من الأنثى المصرية سواء كان هذا المناخ قديما أو معاصرا • أى أن الكتاب قد أكد على أهمية البعـــد التاريخى فى الدراسات التى يضمها كلما اقتضى الأمر ذلك • وذلك لأننى أرى ، أنه لكى تتضح الرؤية أمامى وأمام القارىء ، أن كل شىء له تاريخ •

وأنه لكى نفهم الحاضر يجب علينا أن نفهم الماضى البعيد أو الماضى القريب على السواء ٠

والقارىء لهذا الكتاب يلاحظ ، أيضا ، وجود عناصر ثقافيه اجتماعية متعلقة بظاهرة الموت وبالموتى فى المجتمع المصرى المعاصر ، وان هذه العناصر الثقافيه الاجتماعيه كانت موجودة فى الماضى السحيق واستمرت حتى وقتنا الحاضر ٠ ومن خلال هذه الملاحظة يجد القارىء **ان المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية فى العصر المصرى القديم كانت أعلى من مكانتها الاجتماعية فى الوقت الحاضر** ٠ وذلك على الرغم من أن كل ما هو ايجـــابى فى التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظرى ، **على وجه العموم** ، ينصف المرأة المصرية ، ويؤكد كرامتها وهى تؤدى أدوارها الاجتماعية العديدة كأم وكزوجة وكأخت وكابنه وكزميلة ٠٠ ولكن التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظـرى ، كما يعلم القارىء ، شىء يختلف كثيرا فى ضوء ظروف المجتمع المصرى بأنواعها ، أى فى ضوء ظروف هذا المجتمع الثقافيه والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ـ عما يمارس فعلا فى الواقع الاجتماعى الحى ٠ والأمثلة على تأكيد هذا الاختلاف لا تخفى على القارىء ٠

ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أن نسبة المتعلمين من الذكور فى المجتمع المصرى المعاصر أكبر من نسبة المتعلمات من الاناث ، وان نذكر أيضا ان نسبة العاملين خارج نطاق الاسرة من الذكور فى هذا المجتمع أكبر من نسبة العاملات من الاناث ، مع ملاحظة أن نسبة العاملات الماهرات من الاناث المصريات ضئيلة جدا وهن والعاملات غير الماهرات يعملن فى ظل سيطرة الذكر المصرى فى أغلب الاحيان ٠ ولعل ما يؤكد امتياز الذكر المصرى فى المجتمع المصرى المعاصر **حتى اذا كان طفلا أو حتى اذا كان معتوها !!** أننا نجد النفـــور والغضب الشديد بارزا اذا اضطر ذكر مصرى الى ان يقول « أنا امرأة » أو ان يقال له « أنت امرأة » !! ولعل من العوامل الهامة التى تقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق الاهداف المنشودة من المجهودات التى تبذل فى مجالات تنظيم الاسرة فى مجتمعنا المصرى المعاصر أن عدم انجاب الاطفال الذكور قد يكون أحـــد العوامل فى طلاق الزوجة فى بعض الاحيان ، او فى الزواج من اخرى فى بعض الاحيان الاخرى ٠

وبالاضافة الى ذلك ما نلاحظه فى الوقت الراهن **من وجـــود الصراع الثقافى بين الاجيال فى الأسرة المصرية** وخصوصـا فى الأمور التى تتعلـق

بمعاملة الآباء ومعاملة لأمهات وبالاختلاط واختيار الأصدقاء أو الصديقات واختيار الزوج أو الزوجة ٠

ومصدر معظم الحقائق لكل الدراسات التى يضمها الكتاب هو الواقع الاجتماعى الحى للمجتمع المصرى المعاصر فى ضوء خبراتى به وهى محدودة ٠ لانها لا تقول كل شيء ، لانها لا تستطيع أن تقول الا بعض الاشياء ٠ وهى خبرات تتضمن فى بعض الأحيان بعض الانطباعات وبعض الاراء ، وان كان همها الاول أن تقتصر على الحقائق عن طريق ما آجريته من البحوث الميدانيه على اختلاف مستوياتها ، وان تعتمد على نتائج هذه البحوث ٠

واذا كنا نلاحظ أن كل ما هو ايجابى فى التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظرى المتعلق بموضوع الكتاب يختلف عما يمارسه أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، فالملاحظ ان هذا الاختلاف موجود أيضا فى مجالات أخرى ٠ نلاحظ ذلك اذا درسنا أهداف مجتمعنا المصرى المعاصر على المستوى النظرى ، وبخاصة ما تعلق منها بالقيم الاجتماعية الايجابية كالدعوة الى محبه الناس بعضهم بعضا ، والى الوطنية ، والى الاهتمام بدعاء الوالدين ، والى احترام الكبير ، والى احترام العامل ، والى العطف على الصغير ، والى العمل المنتج والسعى من أجل الرزق ، والى التعاون ، والى الاعتصام ، والى محاسبه الضمير ، والى حسن الخلق ، والى الحق والعدل والايمان ، والى العلم ، والى السلام ، والى المثابرة ، والى الكفاح ، والى العدالة والشعور بالانتماء وغيرها — فاننا نجد أنها لا تمارس ، كلها او بعضها ، فى واقع هذا المجتمع فى محيط بعض الفئات أو الجماعات(٢) ٠ ربما يرجع ذلك الى آثار ظاهرة التغيير الثقافى الاجتماعى السريع الذى يواجهه مجتمعنا المصرى المعاصر فى الوقت الحاضر وعدم مواجهة هذه الآثار مواجهة جذرية وشاملة ٠ أو قد يرجع ذلك الى عدم وضوح الرؤية فى بعض الامور مثل الاتفاق على سمات المواطن الصالح مثلا ، واختلاف الرأى على هذه السمات اختلافا جذريا فى بعض الأحيان ٠ أو قد يرجع ذلك الى بعض العناصر الثقافية غير الايجابية التى تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى لا تزال ، ومنها النفاق، والتملق ، وحب المظهرية أو العجب والتفاخر ، والمغالاة ، والدعوة الى الصبر السلبى ، وعدم المبادرة ، واللامبالاة، والحيرة ، والاستسلام ، وتحكم الاموات فى الاحياء ومنهم (أى الأموات) الأولياء والقديسون ، وغير ذلك : أو قد يرجع الاختلاف بين كل ما هو ايجابى نظرى وما يمارس عمليا فى المجتمع المصرى المعاصر الى أن النظام التعليمى التربوى فى محيط أجهزة التنشئة الاجتماعية المصرية كالاسرة والمدرسة والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية ومنظمات شغل أوقات الفراغ

وأجهزة الاعلام والثقافة فى واد ، والفكرية التى تهتدى أو يجب أن تهتدى بها هذه الأجهزة وتبلور أهدافها فى ظلها تعيش فى الضباب ، أقصد أن هذه الفكرية تكون فى واد آخر ٠ اننى لا أستطيع الجزم بهذه الآراء ، أو ببعضها أو بأى منها ٠ اننى لا أنفيها ولكنى أرغب فى تأكيدها أو تأكيد بعضها على هدى البحوث الثقافية الاجتماعية التى أنادى باجرائها حتى يعمل المسئولون، فى ضوء ما تسفر عنه نتائج هذه البحوث ، من أجل التغيير الى الأفضل ٠

وقد يرى البعض أن حرب أكتوبر المجيدة قد أكدت ارتباط ممارسة بعض القيم الاجتماعية الايجابية فى مجتمعنا بفكرية ايجابية واضحة المعالم والأهداف ٠ ومن ثم فان هذه الحرب قد حققت أهدافها المطلوبة ٠ واننى أرى هذا الرأى ولا أعارضه ٠ ولكنى أرى فى الوقت نفسه أن التعميم غير ذى موضوع ٠ وأقصد من ذلك أنه اذا كان جيش مصرنا الخالدة المظفر كجماعة من جماعات مجتمعنا المصرى أو كتجمع من تجمعات هذا المجتمع أو حتى كاحدى فئاته الكبيرة ، قد نجح فى مهمته عندما ساعدته الظروف ، عن وعى علمى ، فارتبطت ممارسة أعضائه لبعض القيم الاجتماعية الايجابية فى مجتمعنا بفكرية ايجابية واضحة المعالم والأهداف ــ فان ذلك لا يعنى أن هذا الارتباط موجود فى محيط جماعات المجتمع المصرى أو تجمعاته أو فئاته الأخرى ٠ ان نجاح جيش مصرنا الخالدة المظفر بهذا الأسلوب العلمى عبرة لنا ودرس يجب أن يكون نبراسا وهاديا ٠ ومن ثم فان التحدى الحقيقى فيما يتعلق بالمجالات الثقافية الاجتماعية الأخرى كالعلاقة بين الرجل المصرى والمرأة المصرية مثلا ، أو كالمشاكل التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر كمجتمع نام ــ يكون ، أى هذا التحدى ، **فى مواجهة المشكلة الكبرى** ألا وهى اختلاف ما هو ايجابى فى التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظرى المتعلق بموضوع العلاقة بين الرجل المصرى والمرأة المصرية مثلا ، أو بموضوع المشاكل التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر كمجتمع نام ــ عما يمارسه أعضاء هذا المجتمع ٠

وأرجو أن يلاحظ القارىء أننى من أجل مصرنا الخالدة كتبت هذا الكتاب عن المرأة المصرية المعاصرة ، وأرجو أن يكون ما يضمه بين دفتيه مفيدا ومثمرا ٠ ولعله أن يكون قد كشف عن أشياء جديدة لم تكن معروفة من قبل ٠ ولعل هذا الكشف أن يؤهله ليكون مرجعا يرشد الأقوال والأفعال فيما يتعلق بالمرأة المصرية المعاصرة ، ومن ثم ييسر السبيل الى تغيير واقعها الى الأفضل ٠ فالضرورة فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر تحتم هذا

التغيير • فلن تقوم لهذا المجتمع قائمة الا اذا ارتفعت مكانة المرأة فيه ، والا اذا استخدم الأسلوب العلمى فى سـبيل تحقيق هذا الهدف القـومى وفى سبيل تحقيق كل الأهداف القومية الأخرى •

واذا كنت قد عانيت من أجل اعداد هذا الكتاب منذ شهر نوفمبر عام ١٩٧٢ حتى الآن ، فان المعاناة من أجل مصرنا الخالدة راحة نفسية لا تعادلها راحة أخرى • فهى راحة ضمير ، وهى راحة أداء الواجب ، وهى راحة العمل من أجل الآخرين ، أى أن المشقة كانت قبل اعداد هذا الكتاب أشد ، وان التعب كان قبل الانتهاء منه أعظم • ومن أجل مصرنا الخالدة يهون كل صعب ويرخص كل ثمين •

نوفمبر عام ١٩٧٧

المراجـــع والتعليقات

١ ـ سيد عويس : حول مفهوم الشخصية المصرية ، مجلة قضايا عربية ، بيروت ، العدد رقم ٥ ، أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٤ ٠

٢ ـ أرجو أن يلاحظ القـــارىء ان بعض هذه القيم مثل « التعـــاون » و « الشعور بالانتماء » قد يمارسها الأخيار من أعضاء المجتمع كمـــا يمارسها الأشرار منهم ٠ فالجماعة الخيرة قد تتعاون في ســـبيل البناء والعمل الصالح ويشعر أعضاؤها بالانتماء اليها ويفخرون من أجـــل ذلك ٠ والجماعة الشريرة (كالعصابة مثلا) يتعاون أعضاؤها أيضـــا ويشعرون بالانتماء اليها ويفخرون من أجل ذلك ولكن في سبيل الهدم والعمل الطالح ٠


مراجع الكتاب

أولا – المراجع العربية :

١ – القرآن الكريم .

٢ – الكتاب المقدس .

٣ – أبو زكريا يحيى بن شرف النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٥٦ .

٤ – ابو معشر الفلكى : طوالع الرجال والنساء والالطع الحدسى ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية .

٥ – أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ .

٦ – أحمد الخشاب : مفهوم « صراع » فى علم الاجتماع ، معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٧ – أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

٨ – أديب نجيب سلامة : لقاء مع الدكتورة مارى مسعود ، القاهرة ، جريدة ليساجى ، السنة ١٧ ، العدد ٨٧٢ ، ١٤/٩/١٩٧٥ .

٩ – أمينة شفيق : مشاكل تعليم المرأة فى مصر ، القاهرة ، مجلة دراسات اشتراكية ، السنة الثالثة ، عدد ٨ ، أغسطس ١٩٧٤ .

١٠ – ايتين دريوتون وجاك فانديه : مصر ، عربه عباس بيومى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

١١ – ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، ١٩٥٨ .

١٢ ـ الأسقف ايسوذورس : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، عين شمس ، ١٩٢٣ ·

١٣ ـ بيرم التونسى : ديوان بيرم التونسى بأجزائه الثلاثة ، القـــاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٧٣ ·

١٤ ـ التعدادات العامة : أعوام ١٩٣٧ و ١٩٤٧ و ١٩٦٠ و ١٩٦٦ ·

١٥ ـ تقارير الأمن العام : أعوام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و١٩٦٩ و١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ·

١٦ ـ جريدة الأهرام : مع المرأة ، القاهرة ، ٧ نوفمبر ١٩٧٥ ·

١٧ ـ جمعية الكراريس البريطانية : مغنى الطلاب فى مواضيع الكتاب ، أى فهرس المواضيع فى الكتب الالهية ، بيروت ، ١٨٨٤ ·

١٨ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : السكان والتنمية ، دراسة عن زيادة السكا نوتحديها للتنمية فى مصر ، القـــاهرة ، ١٩٧٣ ، (باللغة الانجليزية) ·

١٩ ـ جون ولسون : الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخرى ، القـــاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٥ ·

٢٠ ـ جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ ·

٢١ ـ حامد عمار : فى بناء البشر ، دراسات فى التغير الحضـــارى والفكر التربوى ، مركز تنمية المجتمع فى العـــالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٤ ·

٢٢ ـ رفعت السعيد : تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ، القـــاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٦٩ ·

٢٣ ـ سلوى محمد فهمى عبد العال : السرقة عند النساء ، اشراف سـيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ ·

٢٤ ـ سليمان حزين : خطط الاصلاح الاجتماعى والأوضاع التـــاريخية والثقافية فى الشرق العربى ، حلقة الدراسات الاجتماعيـــة للدول العربية ، بيروت ، ١٩٤٩ ·

٢٥ ـ سمير عبد القادر : ضرب الزوجات أمام مجلس العموم ، القاهرة ،

جريدة الأخبار ، ١٩٧٥/٩/٢٥ ٠
٢٦ - سهير القلماوى : برنامج اثنين عـــلى الهوا ، التليفزيون المصرى ، ٥ مارس ١٩٧٥ ٠
٢٧ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الأول ، القـــاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتها ٠
٢٨ - السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ٠
٢٩ - فقه السنة ، الجزء السادس ، القاهرة ، مكتبة الآداب ومطبعتهـــا ، ١٩٥٩ ٠
٣٠ - سيد عويس : الانشاد فى الحضرة الصوفية (تقديم) ، القاهرة ، مطبعة الكيلانى ، ١٩٧٠ ٠
٣١ - سيد عويس : تقرير أولى عن أعمال لجنة السياسة العلمية للمركز (دراسة غير منشورة) ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٩ ٠
٣٢ - سيد عويس : حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقـــافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ٠
٣٣ - سيد عويس : حول مفهوم الشخصية المصرية ، مجلة قضايا عربية ، بيروت ، العدد رقم ٥ ، سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٤ ٠
٣٤ - سيد عويس : الخدمه الاجتماعية ودورها القيـــادى فى مجتمعنـــا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ٠
٣٥ - سيد عويس : الخلود فى التراث الثقـــافى المصرى ، القـــاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ٠
٣٦ - سيد عويس : دراسة لـ ٢٥ أسرة من الأسر التى ترعاها جمعيـــة تدعيم الأسرة بالدقى ، عام ١٩٧٤ (دراسة غير منشورة) ٠
٣٧ - سيد عويس : ظاهرة التشل فى محيط النساء فى محافظة القاهرة ، القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الأول ، مارس ١٩٦٥ ٠
٣٨ - سيد عويس : عطاء المعدمين ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراســات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

٣٩ – سيد عويس : علم الاجتماع فى بلد اشتراكى ، القـــاهرة ، مجلة الطليعه ، ديسمبر ١٩٧٠ ٠

٤٠ – سيد عويس : محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القـاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ٠

٤١ – سيد عويس : مذكرات يوغسلافية ، انطباعات وحقـــائق وآراء ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٤ ٠

٤٢ – سيد عويس : المرأة كسلعة ، القاهرة ، مجلة الهلال ، العدد الثالث ، مارس ١٩٦٥ ٠

٤٣ – سيد عويس : مفهوم « خلل اجتماعى » ، معجم العلوم الاجتماعيه ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ٠

٤٤ – سيد عويس : من التعبيرات الشعبية المصرية المعاصرة ، القـاهرة ، المجلة الاجتمـــاعية القومية ، العدد الثالث ، المجلد الحـادى عشر ، سبتمبر ١٩٧٤ ٠

٤٥ – سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارســـال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ٠

٤٦ – سيد عويس : نشأة مهنة الخـــدمة الاجتماعيـــة فى مصر ، تاريخ شخصى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٣ ٠

٤٧ – سيد عويس : هتاف الصامتين ، ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧١ ٠

٤٨ – سيد كريم : المرأة المصرية فى عهد الفراعنة ، القاهرة ، مجلة الهلال، العدد الثامن ، السنة ٨٤ ، أغسطس ١٩٧٦ ٠

٤٩ – صديق حسن خان : حسن الاســـوة بما ثبت من الله ورســـوله فى النسوة ، القاهرة ، مطبعة الامام ٠

٥٠ – صلاح الدين عبد المتعال : أثر التغير الاجتماعى فى البناء الاجتماعى للأسرة المصرية ، دراسة مقارنة بين البناء الاجتمـــاعى للأسرة فى الريف والحضر المصرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، اشراف أحمد الخشاب ، القاهرة ، ١٩٧١ ٠

٥١ـ صلاح عيسى : حكايات من مصر ، بيروت ، الوطن العربى ، ١٩٧٣ ٠

٥٢ـ صوفى وليم وأخريات : صور جرائم النساء فى سجن القناطر ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ٠

٥٣ـ عائشة راتب : برنامج مفتوح ، التليفزيون المصرى ، ١٤ مارس ١٩٧٥ ٠

٥٤ـ عبد الحليم محمود : الاسلام والعلم ، القاهرة ، مجلة الأزهر ، يونيو ١٩٧٠ ٠

٥٥ـ عبد الحليم محمود السيد : تطور تعليم البنات فى مصر ، فى كتاب « تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة » ، اشراف مصطفى سويف ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٤ ٠

٥٦ـ عبد الرحمن فهمى : خواطر سريعة ، القاهرة ، جريدة الجمهورية ، ٣٠ يناير ١٩٧٥ ٠

٥٧ـ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبة صبيح ٠

٥٨ـ عبلة حسن الأفندى : التسول عند النساء ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٦١ ٠

٥٩ـ العفيف الأخضر : نصوص حول الموقف من الدين (تقديم) ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٢ ٠

٦٠ـ الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ٠

٦١ـ فايزة حبيب أيوب : النساء القاتلات ، اشراف سيد عويس ، دراسة غير منشورة ، ١٩٥٨ ٠

٦٢ـ فتوح أحمد فرج : المأثورات الشعبية الأدبية للطفولة والأطفال ، دراسة ميدانية بالسنبلاوين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، اشراف نبيلة ابراهيم ، مارس ١٩٧٦ ٠

٦٣ـ فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية فى ج٠ ع٠ م٠ ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ٠

٦٤ ـ كمال الحسنى : حديث أذيع فى محطة الشرق الأوسط فى مساء يوم ١٩٧٥/٥/٨ ٠

٦٥ ـ مجدى نجيب : الحياة الحب الموت ، رحلة فى وجدان الفنان الشعبى ، القاهرة ، مجلة الاذاعة والتليفزيون ، العدد ٢٠٨٢ ، فبراير ١٩٧٥ ٠

٦٦ ـ محمد سلام مدكور : بحث احتياجات الطفولة فى ج٠ ع٠ م٠ ، دراسة غير منشورة ٠

٦٧ ـ محمد صقر خفاجة : هيردوت يتحدث عن مصر ، مراجعة أحمد بدوى ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ٠

٦٨ ـ محمد عزة دروزة : المرأة فى القرآن والسنة ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ ٠

٦٩ ـ محمد عفيفى : للكبار فقط ، فى عالم المرأة ، القاهرة ، جريدة الأخبار ، ٦ يناير ١٩٧٥ ٠

٧٠ ـ محمد عمارة : الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده ، القاهرة ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ ٠

٧١ ـ محمد عمارة : التمدن والحضارة والعمران ، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، الجزء الأول ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

٧٢ ـ محمد عمارة : السياسة والوطنية والتربية ، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، الجزء الثانى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

٧٣ ـ محمود خطاب : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة ، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ٠

٧٤ ـ محمود خطاب : فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين ، القاهرة ، المطبعة الحسينية بكفر الطماعين ٠

٧٥ ـ محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ، مع النص الكامل لكتابه : تخليص الابريز ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ٠

٧٦ - مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، القـــاهرة ، مطبعــة دار العالم العربى ٠

٧٧ - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغاء فى القاهرة ، مسح اجتماعى ودراســـة اكلينيكية ، اشراف حسن الســاعاتى ، ١٩٦١ ٠

٧٨ - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تشرد الأحداث ، دراسة احصائية ، اشراف سيد عويس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ٠

٧٩ - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ومنظمة الأمم المتحـــدة للأطفال - اليونيسيف : بحث احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربية ، دراسة مسحية على مستوى الجمهورية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ٠

٨٠ - المنــاوى : مولد المناوى ، القاهرة ، شركة الشمرلى ، ١٩٧١ ٠

٨١ - منير مجلى : الجزيرة المسحورة ، نصوص من الأدب المصرى القديم ، القاهرة ، مطبوعات الجديد ، ١٩٧٢ ٠

٨٢ - مى شاهين : فتش عن الأم ، القاهرة ، جريدة الأخبار ، ١٩ ينـــاير ١٩٧٥ ٠

٨٣ - نادية عبد الحميد : العين ، حارسة ومحروسة ، القـــاهرة ، جريدة الاهرام ، ١٩٧٣/٨/١٣ ٠

٨٤ - ناهد رمزى : تطور خروج المرأة المصرية الى مجال العمل ، فى كتاب « تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة » اشراف مصطفى سويف ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتمـــاعية والجنائية ، ١٩٧٤ ٠

٨٥ - نجوى حافظ : الشباب الجانح فى الجمهورية العربية المتحدة ، اشراف سيد عويس ، القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الاول ، مارس ١٩٦٩ ٠

٨٦ - نجيب اسكندر ابراهيم ورشدى فام منصور : التفكير الخرافى ، بحث تجريبى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ ٠

٨٧ - نوال محمد ابراهيم : الشابات الجانحات ، اشراف ســيد عويس ، دراسة غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦١ ٠

ثانيا - المراجع الأجنبية :

1. Elliot, Mabel and Merril, Francis E., "Social Disorganization", New York, Harper and Brothers Publishers, 1950.
2. Encychopaedia Britannica, Chicago, William Benton, 1968, Vol. 9 and vol. 21.
3. Gardiner, A. H. and Sethe, K. : Egyptian Letters to the Dead, London, 1928.
4. Gaudefroys-Demombynes, Maurice, "Muslim Institutions" London, George Allen and Unwin Ltd., 1950.
5. Gillin, John, "The Ways of Men", New York, Appleton-Century-Crofts, Inc. 1948.
6. Haldane, J.B.S., "What Is Life?" London, Lindsay Drummond, 1949.
7. Kuhn, H. Manford and Mc Partland, S. Thomas, "An Empirical Investigation of Self-Attitudes", in Jerome G. Manis and Bernard N. Meltzer, "Symbolic Interaction : A Reader in Social Psychology", Boston, Allyn and Bacon, 1969.
8. Murdock, George P., "Dictionary of Sociology and Related Sciences", Ames, Iowa, Littlefield Adams and Co., 1955.
9. Parsons, Talcott and Collaborators, 'Family : Socialization and Interaction Process", Glencoe, Illinois, Free Press, 1955.
10. Piankoff, A. and Clère, J. "A letter to the Dead on a bowl In the Louvre", Reprinted from, 'The journal of Egyptian Archeology", Vol. XX, Parts III and IV. 1934.
11. Rémondon, Roger, "Un Papyrus Magique Copte", Extrait du Bulletin de L'Institut Français d'Archéologie Orientale, T. L 11, Le Caire, 1953.
12. Robertson, Roland, "Sociology of Religion", Penguin Books, Great Britain, 1972.
13. Teeters, Negley K. and Reinemann, John Otto, "The Challenge of Delinquency", New York, Prentice Hall, 1952.
14. Timasheff, Nicholas, S. "Sociological Theory : Its Nature and Growth", New York, Raudom House, 1953.
15. Warm, Stanley H., 'Essentials of Sociology", Baron's Educational Series Inc., 1946.

من مؤلفات المؤلف

١ - مذكرات يوغسلافية : انطباعات وحقائق وآراء ، القـــاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٤ ٠

٢ - من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، عام ١٩٦٥ ٠

٣ - الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعــارف بمصر ، عام ١٩٦٦ ٠

٤ - الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٦ ٠

٥ - محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة ، دار الـكتاب العربى للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٨ ٠

٦ - حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقــافية المصرية المعــاصرة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، عام ١٩٧٠ ٠

٧ - هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمـــع المصرى المعاصر ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٧١ ٠

٨ - الخلود فى حياة المصريين المعاصرين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٧٢ ٠

٩ - نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر : تاريخ شخصى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٧٣ ٠

١٠ - عطاء المعدمين : بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عام ١٩٧٣ ٠

١١ - حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية ٠

محتويات الكتاب

الموضـــوعات	رقم الصفحة
الاهـــــداء ..	٧
المقـــــدمة ..	٩
الفصل الاول : بعض المفاهيم المتعلقة بالمرأة المصرية :	
١ – المفهوم العام للمرأة المصرية المعـاصرة	٣٥
٢ – مفهوم المرأة المصرية فى التراث الثقـافى المصرى	٥٠
٣ – مفهوم الطفـل فى المجتمع المصرى	٦٢
٤ – بعض المفـاهيم الأخرى	٧٧
الفصل الثانى : بعض الحقائق الثقافية الاجتماعية المصرية المستمرة :	
١ – عادات ثقافية اجتماعية مصرية قديمة ومستمرة	٩٧
٢ – شكاوى النساء المصريات وطلباتهن المرسلة الى الموتى	١٠٦
٣ – المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية فى المـاضى من رسائلها الى المـوتى	١١٥
٤ – المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية فى الوقت الحـاضر من رسائلها الى المـوتى	١٢٧
٥ – أكثر من يعد بالنذور من النساء المصريات	١٥٤
الفصل الثالث : النظرة نحو المرأة المصرية :	
١ – حول موضوع جسم المـرأة المصرية	١٦١
٢ – نظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحـو المرأة المصرية المعـاصرة	١٨١
٣ – نظرة الشابات المصريات غير المتزوجات نحو الرجل المصى المعـاصر	١٨٩
٤ – رأى الشباب المصرى المعاصر فى اختيار الزوج أو الزوجة	٢٠١
٥ – نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحونفسها : تجربة منهجية	٢١٢

الموضـــوعات رقم الصفحة

الفصل الرابع : من أنماط سلوك المرأة المصرية المعاصرة :

١ ـ من التعبيرات الشعبية النابية عنـــد النســـاء المصريات المعـــاصرات ٢٢٧
٢ ـ من التعبيرات الشعبية الحانية عنـــد النســـاء المصريات المعـــاصرات ٢٣٤
٣ ـ من جرائم الأنثى المصرية المعاصرة ٢٣٩

الفصل الخامس : الأنثى المصرية بين الحاضر والمستقبل :

١ ـ صورة واقعية عن الأنثى المصرية المعـاصرة ٢٥٣
٢ ـ نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل ٢٦٧
٣ ـ الأسرة المصرية وصراع الأجيـــال ٢٧٨

الخاتمـــــة ٢٩٠

مراجع الكتاب ٢٩٧

من مؤلفات المؤلف ٣٠٧

رقم الايداع ٤٨٥٠/١٩٧٧

مطبعة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٤٠٧٩٧ ـ القاهرة